

مُشكلاتُ وعوائق

الدَّعوة والدُّعاة

(١٦)



الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٣ـ ٢٠٢٢

ⓒ محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز محمد
موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -
المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ
١٦ مج.
ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-١٥٩٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)
١- الدعوة الإسلامية ٢- الدعاة أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٤٢/٧١٧٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٧١٧٩ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١-١٥٩٩-٠٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)

تم هذا المشروع برعاية





موسوعة دليل الداعية (١٦)

مشكلات وعوائق

الدعوة والدعاة

مشروع بحثي قام به مكتب
الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأليف
أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٣ - ٢٠٢٢

المجلد الثالث عشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

«إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]»[(١)].

وأشهد أن نبينا محمداً ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد:

في حقل الدعوة إلى الله تمر بالدعوة والداعية مشكلات، تؤثر هذه المشكلات سلباً في استمرار الدعوة، أو على أقل تقدير تؤخر ثمرتها.

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ويفتتح بها كلامه وخطبته، وقد رواها ابن ماجة، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١٨٩٢)، وأبو داوود، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٢١٢٠)، والترمذي، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (١١٠٥)، والنسائي، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (٣٢٧٧)، وصححه الألباني في خطبة الحاجة.

وإِن من الواجب معرفَة الدعاة سنة الله مَعَ دعاة الْحق قَدِيماً وحديثاً، وَكَيف امتحن الله الرُّسُل وأتباعهم، فإِن هَذِه الْمعرفَة مما يعين على أخذ الحيطة والوقاية من الوقوع فِي تلك المشكلات، ويُخَفف على الدعاة وَطْأَة المشاكل والمحن إِذا مَا أوذوا فِي سَبِيل دعوتهم -وَلَا بُد أَن يؤذوا- قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك! فقال له رسول الله ﷺ: **(أو مخرجي هم؟)**، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي»[1].

وإذا استعرضنا مشاكل الدعْوَة عبر التَّارِيخ الطَّوِيل اعْتبارا من عهد نوح عليه السلام إلى العصر الحديث تبين لنا:

أَن غالب المشاكل الَّتِي واجهتها الدعْوَة فِي الماضي البعيد والقريب كَانَ مصدرها أَعدَاء الدعْوَة، الَّذين يعادونها علناً، مِمَّا جعل الدعاة يحذرونهم ويحتاطون لمكائدهم وَلَا يفاجؤون بهَا إِذا ظهرت؛ بل يقابلونها بِكُل ثِقَة وثبات دون اضْطِرَاب أَو قلق.

وأن نوعية المشاكل والمحن فِي الْمَاضِي -قَرِيباً كَانَ أَو بَعيداً- تتجلى فِيمَا يَلِي:

١- إِيذَاء الدعاة فِي أنفسهم وَأَتْبَاعهم وتعذيبهم.

٢- صرف الدعوة عن سبيلها القويم بتقدِّيم بعض المغريات كالأموال والمناصب والرياسة وغير ذلك.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٦٠).

٣- الْقَضَاء على الدعْوَة فِي مهدها بقتل صَاحب الدعْوَة أَو حَبسه أَو نَفْيه وإخراجه من أرضه وإبعاده فِي الْآفَاق.

٤- التشويه والافتراء على الدعوة.

٥- وجود من ينخر في العمل الدعوي من داخله.

هكذا كانت نوعية المشاكل فِي العصور الماضية وكلها باءت بالفشل، إِذْ جعل الله الْعَاقِبَة للرسل وأتباعهم ونصرهم على أعدائهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

وفي العَصر الحَدِيث فتواجه الدعْوَة الإسلامية ودعاتها مشاكل ومحناً ذاتيةً ومستوردةً وداخليةً وخارجيةً؛ من غير المسلمين ومن المنتسبين إِلَى الإسْلَام بل أحياناً من المنتسبين إِلَى الدعْوة نَفسهَا.

فالدعْوَة الإسلامية فِي الْعَصْر الحَدِيث تواجه تحدياً صعباً إذ قد تنوعت المشاكل وتعددت، مِمَّا جعل دعاة الْحق يحتارون فِي أمر الدعْوَة ومشاكلها المتنوعة وَكَيْفِيَّة التغلب عَلَيْهَا حَتَّى صَار هَذَا التفكير شغلهمْ الشاغل[(١)].

ومن جانب آخر فلا ضير على «من يتصدى للدعوة أن يتكلم عن الأخطاء والأمراض التي توهن العمل وتضعف الصف، فإن الكلام في مثل هذه الأمور ليس من التشاؤم ولا من التثبيط، ولكنه من الإصلاح الذي تحتاجه الدعوة باستمرار»[(٢)].

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعرض نماذجاً من المشكلات والعوائق الدعوية، مع محاولة تلمس الحلول لها، سواء كانت ذاتية أو خارجية.

---

(١) ينظر: مشاكل الدعوة والدعاة، محمد أمان بن علي جامي ص٣ وما بعدها باختصار وتصرف وزيادات.

(٢) خواطر في الدعوة، د.محمد العبدة.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في الآتي:

١- حاجة الدعاة إلى التعرف على المشكلات الدعوية وسبل علاجها، أو لتفادي أسبابها قبل وقوعها.

٢- حاجة الدعوة والدعاة إلى البصيرة بأنفسهم ومشكلاتهم الخاصة التي تعيقهم في دعوتهم، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

٣- الحاجة إلى النظرة الشمولية لأنواع العوائق والمشكلات الدعوية، وعدم تحميل جهة واحدة المشكلات كلها.. حيث إن الدعوة فيها مشكلات وعوائق تبدأ من الدعاة، ومنهج الدعوة أو المؤسسات الدعوية نفسها، وليست أحياناً بدايتها من أعداء الدين.

منهجية الدراسة:

والمنهجية التي سلكناها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

• عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.

• الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام، والاستدلال.

• الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب العلماء عامة في صياغة البحث ومسائله.

• الالتزام بإيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم نستشهد بحديث اتفق على ضعفه.

• الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.

• اجتهدنا قدر الاستطاعة أنْ لا نذكر قاعدة ولا حكماً، ولا أمراً من أمور الدعوة إلا وندلل عليه من القرآن وما يفسره من السنة وأقوال أئمة السلف، وأفعالهم.

• الالتزام قدر المستطاع بعدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.

• محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة.

• الاستفادة من الكتب والمقالات والدراسات المعاصرة نقلاً مباشراً، أو الاستفادة من أفكارها وإعادة صياغتها، مع مراعاة الأمانة العلمية في نسب الفكرة أو النص أو البحث لأصحابه.

خطة الدراسة:

يشتمل على: مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع وخطته ومنهجية البحث.

تمهيد: حول المشكلات والمعوقات الدعوية:

أولاً: أبرز العقبات الداخلية المؤثرة على الدعوة.

ثانياً: أبرز العقبات الخارجية المؤثرة على الدعوة.

الفصل الأول: مشكلات وعوائق منهجية:

المبحث الأول: البعد عن المنهج الإسلامي علماً وعملاً:

المطلب الأول: أهمية التزام المنهج الإسلامي علماً وعملاً.

المطلب الثاني: الخلل المنهجي ودوره في صد الناس عن الحق.

المطلب الثالث: دور بعض الدعاة في تعزيز الابتعاد عن المنهج الإسلامي.

المطلب الرابع: دور التكيف مع الواقع في تعزيز البعد عن المنهج الإسلامي.

المطلب الخامس: وسائل دفع النزاع.

المبحث الثاني: الإقصاء في العمل الدعوي:

المطلب الأول: خطورة الإقصاء في العمل الدعوي.

المطلب الثاني: مظاهر الاقصاء في العمل الدعوي.

المطلب الثالث: أسباب الإقصاء في العمل الدعوي.

المطلب الرابع: كلمة لمن وقع عليه الإقصاء من الدعاة.

المطلب الخامس: علاج مشكلة الإقصاء في العمل الدعوي.

المبحث الثالث: الفوضوية في العمل الدعوي:

المطلب الأول: مفهوم الفوضوية وخطرها.

المطلب الثاني: مظاهر الفوضوية في العمل الدعوي.

المطلب الثالث: أسباب الفوضوية في العمل الدعوي.

المطلب الرابع: آثار الفوضوية.

المطلب الخامس: أهمية الترتيب والتنظيم في الدعوة.

المطلب السادس: علاج مشكلة الفوضوية.

المطلب السابع: ثمرات الترتيب وترك الفوضوية.

المبحث الرابع: العنف في العمل الدعوي:

المطلب الأول: مفهوم العنف.

المطلب الثاني: الإسلام دين السلام والرفق لا العنف.

المطلب الثالث: حفظ الإسلام للنفس.

- المبحث الخامس: دور المؤسسات الدعوية في علاج المشكلة.
- المبحث السادس: الإسلام يدعو إلى تفريغ طائفة تدعو إلى الله تعالى.
- المبحث السابع: تنويع الإنفاق في مجال دعم الدعوة والدعاة.

- **الخاتمة.**
- **فهارس فنية:** ثبت المراجع، فهرس المحتويات.

وفي الختام نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يكون هذا العمل لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً، وأن يثيبنا على اجتهادنا بكرمه وتفضله وعفوه، ويجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

المشرف العام على الموسوعة
أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة





التأهيل
تأهيل الدعاة
مقدمات حول تأهيل الدعاة.
القائمون على تأهيل الدعاة.
التأهيل التربوي الإيماني.
التأهيل العلمي.
التأهيل المنهجي الدعوي.
التأهيل المهاري.
مشكلات وعوائق الدعوة والدعاة
مشكلات وعوائق منهجية.
مشكلات وعوائق تربوية.
مشكلات وعوائق سلوكية.
مشكلات وعوائق سننية.
مشكلة وعائق قلة الموارد المالية.
قضايا منهجية في الدعوة إلى الله
قضايا منهجية متعلقة بالعقيدة.
قضايا منهجية متعلقة بفقه الدعوة.
قضايا منهجية في التعاملات الدعوية.
قضايا منهجية في آليات الدعوة.
قضايا منهجية في التعامل مع المتغيرات الدعوية.
إدارة الدعوة والعمل المؤسسي
مقدمات حول الإدارة الدعوية.
وظائف الإدارة الدعوية.
مهارات الإدارة الدعوية.
العمل المؤسسي الدعوي.

تمهيد
حول المشكلات والمعوقات الدعوية

تتنوع المعوقات المشكلات في طريق الدعوة إلى الله تعالى بتنوع مصادر هذه المعوّقات ووسائلها، ويرتفع أثرها وينخفض بحسب ما ينجم عنها من إعاقة وتثبيط للداعية والدعوة والمدعو على حد سواء.

ومن ناحية أخرى تتفاوت هذه المشكلات والمعوِّقات من بيئة إلى أخرى بحسب قوة هذا العامل المسبب للمشكلة، كنقص الإمكانيات المادية، وافتقار المدعو للقدوة العملية، وضعف تعاون الجهات الرسمية مع الدعاة.. وغيرها من المعوِّقات التي كلما زادت قوة تأثيرها السلبي؛ زادت إعاقتها وصرفها للجهود الدعوية عن تحقيق أهدافها المرجوة.

ولذا فإن التعرف على المشكلات لا ينبغي أن يتركّز على جانب واحد من الجوانب، كما أن سبل العلاج لا بد وأن تنبني على فكرة اتساع النظرة وتعدد الرؤية، ليكون العلاج متكاملاً، وهذا يعني أن على الداعية أن ينظر إلى مشكلات ومعوّقات الدعوة وإلى سبل الارتقاء بالدعوة نظرة متكاملة.

إن معوّقات الدعوة كثيرة ومتفاوتة التأثير، فمنها ما يعيق الداعية عن القيام بواجب الدعوة إلى الله، ويضعف أثر الجهود الدعوية، ومنها ما يقلل عدد المستفيدين منها، ويصرف المدعو عن السماع للنصيحة والتأثر بها، ومنها ما يجعله يتشكك في الدعوة وأهلها، ومنها ما يشتت الجهود الدعوية ويصرفها في غير وجهها الصحيح.

وعند تقصي هذه المعوّقات والمشكلات يلاحظ كثرة عددها، وهي تدور حول

القائمين بالدعوة ذاتها، أو تتعلق بالمدعوين، أو في البيئة الدعوية السياسية والاجتماعية والثقافية[١].

وفي نظرة إجمالية لمشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحاضر نجدها قسمان:

◈ أولاً: داخلية، وأبرز العقبات الداخلية المؤثرة على الدعوة:

١- تعدد أجهزة الدعوة، كياناً، وتوجيهاً، وإشرافاً، وهو أمرٌ له خطره المتمثل في تضارب الاتجاهات، وما يترتب على ذلك من شقاقٍ، وبلبلةٍ تهز ثقة الناس.

٢- ترك ساحة الدعوة فوضى لكل أحد من الهواة، يتجول فيها من غير مرجعيةٍ صحيحةٍ، فتقع الدعوة بين الإفراط والتفريط.

٣- مناهضة أجهزة الإعلام والثقافة العامة -بوعي وبدون وعي- للدعوة، ومن ذلك: التعريض بالدعوة ورجالها، والنيل من مكانتهم، ومحاولة التأثير على صورتهم عند الجماهير بما يضعف استجابتهم لهم.

٤- ميل كثيرٍ من العاملين في مجال الدعوة إلى الهروب من الميدان، والاتجاه إلى مجالاتٍ أخرى يرونها أكثر سخاءً في العطاء الدنيوي، وهذا أكبر دليل على أن فكرة الرسالة والإحساس بها لم تنشأ في نفوسهم، ولم يُعْنَ بتنميتها فيهم من خلال مراحل الإعداد!!

◈ ثانياً: خارجية، وأبرز العقبات الخارجية المؤثرة على الدعوة:

١- تلك النزعات والمذاهب والفلسفات المادية -التي تفد من الشرق ومن الغرب على السواء-، وتلتقي على غايةٍ واحدةٍ، قلعُ بذور الدين والتدين من العقول

---

(١) مقال: أهمية معرفة معوقات وعقبات الدعوة، د. هند بنت مصطفى شريفي، منشور على موقع الألوكة باختصار وتصرف.

والقلوب، وأصحاب هذه الاتجاهات يحاولون إضفاء صفة العلم عليها؛ لما للعلم اليوم من سلطان على العقلية المعاصرة وخاصة في بلاد العالم الصناعي، حيث قدم العلم إنجازاتٍ جعلت تلك المجتمعات تقيم منه إلهاً تعبده، وتتعبد في محرابه.

وفي مقدمة هذه التحديات ما يتستر ويتخفى تحت شعار العلم متخذاً منه قِنَاعاً من جهةٍ ومعبراً يعبر منه إلى عقول الشباب المعاصر من جهةٍ أخرى!

٢- الاتجاه العلماني الذي يدعو إلى فصل الدين عن الدولة، وهو اتجاه قد يكون له ما يبرره في بلادٍ نبذت الدين كليةً، أو فشلت في محاولة التوفيق بين نظرة العلم ونظرة الدين الذي تدين به للحياة، لكن هذا إذا ساغ في أي مجتمع يستظل بأي دين فإنه في مجتمع يستظل بالإسلام لا يزيد عن تقليدٍ جاهلٍ أو محاولةٍ مغرضةٍ تريد حرمان المجتمع الإسلامي من أعظم مقوماته، ومن أعمق دوافعه، ومن أقوى حصونه في الصمود والدفاع عن نفسه في مواجهة أعدائه؛ وهو الإسلام.

٣- الانفصام بين الجامعات والمراكز التي تتولى شؤون البحث العلمي في بلادٍ إسلاميةٍ متعددة، وبين روح الإسلام ونظرته للعلم والعلماء، وهي ثمرةٌ مُرَّةٌ جاءت نتاجاً غير صالح لما كان من فصلٍ متعمدٍ بين التعليم الديني والتعليم المدني أرسى الاستعمار قواعده، ورسخ أصوله، وأحدث ثغرة هائلة في بنية المجتمع الإسلامي المعاصر، يجسدها هذا الانفصام بين مراكز التوجيه والقيادة الفكرية فيه وبين الإسلام على درجات متفاوتة.

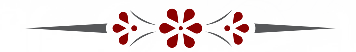
٤- الميل إلى التحلل من الدين، والتخفف من تبعات التدين، وهي ظاهرةٌ عامةٌ في كل المجتمعات تعكس روح العصر، ومن الغريب أنها بدأت تنحسر في

المجتمعات المتقدمة وظهرت عندهم نزعاتٌ تطالب بالعودة إلى الدين، هذا بينما هي في المجتمعات النامية ما زالت تأخذ صورة المد، ولم تنحسر بعد.

٥- تمكن الملاحدة وغيرهم -في بلاد العالم الإسلامي- من أن يكون لهم وجودٌ منظمٌ، أو معترفٌ به في شكلِ أحزابٍ أو تجمعاتٍ تمارس نشاطها علانيةً أو تحت الأرض.

هذه التجمعات الإلحادية تركز نشاطها على الشباب، وتستثمر الظروف الصعبة التي تعانيها بعض تلك المجتمعات لحساب مبادئها الهدامة، وأغراضها المشبوهة وقد مكنها ما أُضْفِيَ عليها من شرعيةٍ في بعض تلك البلدان من أن تستعلن، وتفصح عن مبادئها، وتدعو إليها جهاراً نهاراً[1].

وهذه المشكلات والعوائق الداخلية والخارجية يمكن تقسيمها موضوعيّاً إلى خمسة أنواع؛ كما في الفصول التالية بإذن الله تعالى.



(١) مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها؟ للدكتور محمد حسين الذهبي، بحث ضمن أبحاث مؤتمر توجيه الدعوة والدعاة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.



الفصل الأول

مشكلات وعوائق منهجية

من أخطر ما يهدد الدعوة المشكلات المتعلقة بمنهج الدعوة حيث إن تأثيرها أعم بكثير من كل المشكلات الأخرى، ويترتب عليها كثير من المشكلات السلوكية والتربوية والمالية حتى السننية، فالبصيرة بالدعوة وسلامة المنهج من أهم مقومات الدعوة الناجحة، وكذلك الخلل في البصيرة والمنهج من أهم العوائق الدعوية ومن أسباب فشل الدعوة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والعوائق والمشكلات المنهجية كثيرة نذكر أهمها، في ستة مباحث:

المبحث الأول: البعد عن المنهج الإسلامي علماً وعملاً.

المبحث الثاني: ضعف الوعي الدعوي.

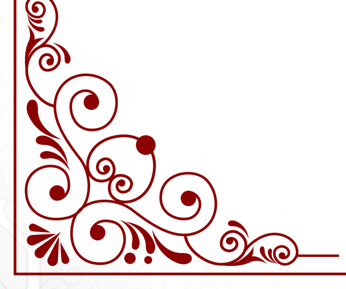
المبحث الثالث: الغلو في الدين.

المبحث الرابع: التساهل في الدين.

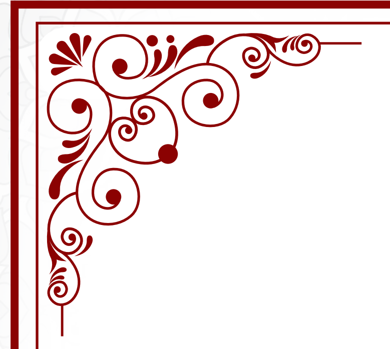
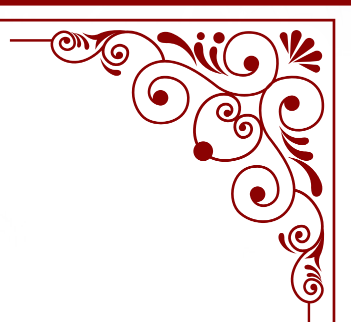
المبحث الخامس: استعجال النتائج واستبطاء الثمرة.



المبحث السادس: النظرة السلبية للمجتمع.





المبحث الأول

البعد عن المنهج الإسلامي علماً وعملاً

إن أصل البعد عن المنهج الإسلامي علماً وعملاً ينطلق من **القصور في فهم الإسلام بشمولية وتكامل، والتزام جميع شرائعه كافة**، مما يؤدي إلى القصور في الجوانب العلمية والعملية والدعوية والإصلاحية، فيتأثر بذلك عامة المسلمين بطبيعة الحال، ويؤثر ذلك في واقعهم، بل قد يصل الأثر إلى الدعاة أنفسهم من خلال مجاراتهم لهذا الواقع.

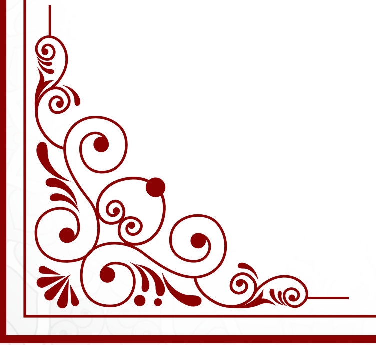
وبيان هذه المشكلة وعلاجها نوجزه في أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية التزام المنهج الإسلامي علماً وعملاً.

المطلب الثاني: الخلل المنهجي ودوره في صد الناس عن الحق.

المطلب الثالث: دور بعض الدعاة في تعزيز الابتعاد عن المنهج الإسلامي.

المطلب الرابع: دور التكيف مع الواقع في تعزيز البعد عن المنهج الإسلامي.






المطلب الأول
أهمية التزام المنهج الإسلامي علماً وعملاً

إن الله ﷻ أنزل الكتاب وأرسل الرسول ﷺ وأكمل الدين وأتمَّ النعمة، وجعل دينه صالحاً لكل زمان ومكان؛ فجعل له قواعد كلية، وأصولاً علمية يرجع إليها أهل كل زمان إن التبس عليهم حكم شيء لم يكن في سابق العهد وسالف الزمان.

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وعن سلمان رضي الله عنه، قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل «**لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم**»(١).

وقد أمر الله سبحانه المسلمين بالدخول في الإسلام كافة، وأخْذ الكتاب كله، والعمل بجميع شرائعه، وحذَّرهم ما فعلت يهود؛ بأخذ بعض الكتاب وترك بعضه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به، المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك.

فعن ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وطاووس، والضحاك، وعكرمة، وقتادة،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة (٢٦٢)

والسدي، وابن زيد رَحِمَهُمَاللَّهُ، في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ ﴾، يعني: الإسلام(١).

وقال القاسمي: أي: «استسلموا لله وأطيعوه ولا تخرجوا عن شيء من شرائعه كَآفَّةً»(٢).

وقال السعدي: هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ ﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه؛ من أفعال الخير، وما يعجز عنه يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته(٣).

وقال تعالى ذامًّا يهودَ لما أخذوا بعض الأحكام وتركوا بعضها، قال سبحانه: ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ ﴾ [البقرة: ٨٥].

قال شيخ الإسلام: والمقصود أن الله أمر بالدخول في جميع الإسلام... فكل ما كان من الإسلام وجب الدخول فيه، فإن كان واجباً على الأعيان لزمه فعله، وإن كان واجباً على الكفاية اعتقد وجوبه وعزم عليه؛ إذا تعين، أو أخذ بالفضل ففعله، وإن كان مستحبًّا اعتقد حسنه، وأحب فعله(٤).

فهذا هو الواجب على جميع المسلمين علمائهم وأمرائهم وعوامهم، ولما قصَّر بعض المسلمين في ذلك وقع الخلل، وفرَّق المسلمون دينهم -إلا من رحم الله-، وأخذوا بعض الشرائع دون بعض، وقدَّم كل منهم ما يوافق هواه ومعتقده.

---

(١) محاسن التأويل ٢/ ٨٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم (٢٤٤٢).
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٩٤.
(٤) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٦٧.

المطلب الثاني
الخلل المنهجي ودوره في صد الناس عن الحق

إن الله جعل الدين مراتب ودرجات، وجعل منه واجبات عينية، وأخرى كفائية، وأمر المؤمنين بسد هذه الكفايات، وحث على إصابة أعلى الدرجات، وأثوب الأعمال والطاعات، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: **(إيمان بالله ورسوله)**. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **(الجهاد في سبيل الله)** قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **(حج مبرور)**[(١)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: **(إيمان بالله، وجهاد في سبيله)**، قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: **(أعلاها ثمنا، وأنفسها عند أهلها)**، قلت: فإن لم أفعل؟ قال: **(تعين ضايعاً، أو تصنع لأخرق)**، قال: فإن لم أفعل؟ قال:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل (٢٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٣).

(تدع الناس من الشر، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك)[(١)].

ومن هذه الكفايات ما نفعه متعلق بعامة المسلمين؛ كالإمامة والدعوة والجهاد، ومنها ما نفعه متعلق بفئة من المسلمين؛ كتغسيل الموتى، والسعي في حوائج المنكوبين، والواجب على المسلمين سد جميعها، وتقديم الأولى في تحريض الشباب على الوقوف على ثغره، وإصلاح الخلل والتقصير الواقع فيه.

وإنما أُتي المسلمون من أمرين فيما يخص المنهج:

✍ الأمر الأول: تجزئة الدين:

أي: عدم أخذ الإسلام بشموليته علماً وعملاً ودعوة وإصلاحاً؛ ومن ذلك تراهم يعتنون ببعض الواجبات الكفائية دون بعض؛ دعوة وتدريساً وعملاً، بل ربما يقدمون من هذه الكفايات ما حقه التأخير، ويؤخرون ما حقه التقديم.

وعلى سبيل المثال: من فروض الكفايات الدعوة وتعليم الناس والإمامة والجهاد والحسبة وغير ذلك، فترى بعض الدعاة ومن ورائهم من بعض المسلمين يعتنون ببعض هذه الكفايات؛ كالدعوة مثلاً، ويتركون أمور الإمامة وإصلاح الولاة لإقامة مقاصد الولايات التي يعم بها نفع المسلمين وحفظ الدين وردع المنافقين -كما سبق بيان ذلك في مبحث التعامل مع أئمة الجور- فيحصل الخلل، ولا يتم الإصلاح على الوجه الذي ينبغي، لأن هذه الكفايات بمثابة الجبال في حفظ الدين وصلاح أحوال المسلمين، إن فقدت أو اختلت أثَّر ذلك على دين المسلمين وأحوالهم.

✍ الأمر الثاني: قلة الفقه بالأولويات والمقاصد:

عدم ترتيب الأوليات وفق مقاصد الشريعة وضرورياتها الخمس؛ وهي: حفظ

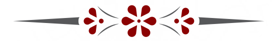
(١) صحيح البخاري، كتاب العتق، باب: أي الرقاب أفضل (٢٥١٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٤).



الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فيُقدم في الدعوة والإصلاح والعلم والعمل ما يتعلق بمقصد متأخر، ويؤخر ما حقه التقديم.

وسبب ذلك اقتصار بعض الدعاة على تعلم بعض العلوم دون بعض، والعناية ببعض الأبواب دون بعض، فاقتصروا على تعلم بعض أبواب الفقه، والحديث، والعقيدة، والرقائق، ولم يعتنوا بعلم المقاصد، والسياسة الشرعية، وأبواب الجهاد، والحسبة وغيرها من علوم يكمل بها فهم الدين ومقاصده الكلية، ومراتبه ودرجاته.

وكلا الأمرين راجعٌ إلى الشمولية في فهم الدين، والعمل به، والدعوة، والإصلاح، وإدراك مراتب الدين وأولوياته.



المطلب الثالث

دور بعض الدعاة في تعزيز الابتعاد عن المنهج الإسلامي

لا شك أن الواجب على الدعاة الدخول في الإسلام كافة، وفهم جميع شرائعه، وقواعده الكلية، وأن يراعوا في دعوتهم الأولى فالأولى، على وفق مقاصد الشريعة وأولوياتها، لا بحسب ما يرون، وأن تكون رؤاهم وأطروحاتهم نابعة عن هذا الفهم الشامل المنضبط بضوابط الشرع ومقاصده، ولكن الواقع على خلاف ذلك.

فالانغلاق على فهم بعض جوانب الدين، والعناية ببعض الفروض الكفائية دون بعض، وليس ذلك على سبيل التخصص والخدمة وتفهم الأمر بشموليته وحاجة المسلمين إلى الفروض الكفائية الأخرى، وإنما على سبيل الاقتصار في الإصلاح والدعوة والعمل على بعض هذه الكفايات، وأن فيها الكفاية للأمة، وبها وحدها

يحصل التمكين، وعودة الشريعة، وعز المسلمين، مما ولد انغلاقاً على بعض الرؤى والأفكار، وترتب عليه شيئ من الولاء والبراء، فتفرقت الأمة وتحزبت، كل حزب يأخذ ما يحلو له من جوانب الدين وكفاياته زاعماً أن هذه هو الحل، وتلك هي الرؤية.

وترتب على ما سبق وضع رؤى منقوصة، وحلولاً قاصرة؛ لخروج الأمة من أزمتها، وبالغ كل فريق في الدفاع عن رؤيته، وحلوله، زاعماً أنه ليس له حاجة بالواجب الكفائي الذي يقوم به أخوه العامل لدين الله؛ مما أدى إلى ضعف هذه الرؤى والحلول وعدم قدرتها على الخروج بالأمة من أزمتها، فتكيف كثير من الدعاة مع الواقع المفروض، وأخذ يبحث بعضهم في دين الله عما يبرر به هذا الواقع، فأخذوا يستدلون له؛ كما حدث عند ظهور الاشتراكية، والديمقراطية، ووقف آخرون عاجزون عن الإسهام في حل ناجع ينفع أمتهم ويقيمها من كبوتها.

فترتب على ما سبق إلْف عدد من الدعاة لهذا الواقع، بمخالفاته ومنكراته، بصبغته غير الإسلامية، بل تسرب إلى بعضهم أفكار دخيلة ليست من الإسلام في شيء، غير الطامة الكبرى التي أصابت عوام المسلمين من فقد الثقة بالطرح الإسلامي، والوثوق بقدرته على الإسهام في حل مشاكل الأمة ومعضلاتها، ولو عاد المسلمون إلى الإسلام بشموليته علماء ودعاة وأمراء وساسة وقضاة وعواماً، لكان لهم وللإسلام شأن آخر!

وما أجمل عبارة د. مصطفى السباعي عندما وصف حال العاملين للإسلام وتجزئتهم للدين، فقال: «اليوم وقد وصل بنا الحال إلى هذا نتلفت إلى المستمسكين بالإسلام لنرى مدى تنبههم للخطر واستعدادهم لدفعه، فإذا بهم كما كان أمثالهم بعد عصور الخير والازدهار في الإسلام: يجزئون الإسلام، كلٌّ كما يهوى، وكما يخيل له جهله بحقيقة الإسلام.



فهؤلاء يرون الإسلام في كتب يدرسونها في أحكام الشريعة قد انقطعت الصلة بين كثير منها وبين الحياة التي يحياها المسلمون اليوم.

وآخرون يرون الإسلام عكوفاً في زاوية يرددون اسم الله تعالى بلا وعي ولا استحضار لجلاله.

ومنهم من يتصدى للهداية والإرشاد في زعمه، فإما هو جاهل بأحكام الدين التي لا يجوز أن يجهلها مسلم، وإما هو متاجر بمن يتبعه من مريدين أو مسترشدين، يباهي بهم أهل الدنيا، ويأكل بهم أموال الدنيا، ويتقرب بهم إلى أهل الدنيا، وهو مع ذلك يزعم أنه يريد الآخرة، ويقصد وجه الله!، ثم هو مع ذلك كله لا يذكر من أحكام الإسلام إنكار المنكر، والأمر بالمعروف، والدفاع عن دين الشعب ممن يريد اغتياله، وعن حقوقه ممن يدوسها.

وآخرون قصروا أعمارهم على مسائل من عقائد الدين، جرى فيها الخلاف قديماً وأدت إلى فتنة ودماء، وهم يريدون اليوم تجديد ما مضى، ويشغلون المسلمين في مسائل أمسك عنها السلف الصالح، واعتبر السؤال عنها بدعة ليست من سنن الدين، ثم هؤلاء لا يذكرون جهاداً في سبيل الله، ولا مقاومة لأعداء الإسلام، ولا دفاعاً عن حقوق المسلمين الذين تحل بهم نكبات المتآمرين على الإسلام في بقاع مختلفة من العالم، بل لا يكادون يدرون بها، وربما أنكروا على من يذكِّرهم بها، وكل همهم تكفير هذا، وتفسيق هذا، ونسبة جمهور المسلمين إلى الابتداع إن لم يصموهم بالإشراك ومفارقة التوحيد.

وآخرون ادعوا العمل بالكتاب وهم بعيدون عن أهدافه ومراميه، ويزعمون التمسك بالسنة وهم غارقون في البدع، موغلون في الخرافات، أبعد الناس عن خلق

الرسول ﷺ وهديه وجهاده وتضحيته وحزنه على ضلال الضالين.

وهؤلاء لا تؤرقهم فتنة الناس عن دينهم، ولا مؤامرات أعداء الإسلام على شريعتهم، بل لا تكاد تجد عند هؤلاء خبراً عن ذلك، وإذا أُحرج أحدهم فذُكر في مجلسه شيء من مآسي المسلمين لم يزد على أن يقول بلسانه دون أن يحزن قلبه؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه أمثلة لتجزئة الإسلام في عصرنا الحاضر، ولكن لا تزال فئة من هذه الأمة، زرعها الله بيده، وغرسها في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي، ثم رباها على عينه، فهي تزداد قوة برغم ما ينزل بها من محن، وعدداً برغم ما يراد لها من إفناء، فهِمَت الإسلام كلاً لا يتجزأ، فعملت به كله من غير إهمال لناحية من نواحيه»[(١)].

إنها محنة واحدة على مدار التاريخ، منذ الفرقة التي ضربت على ديار الإسلام، والنكبة التي أحلت بالمسلمين من تنحية الشريعة وتسلط المناهج الوضعية على ديار الإسلام وأهلها.



المطلب الرابع

دور التكيف مع الواقع في تعزيز البعد عن المنهج الإسلامي

مع هذا الانفصام الجاهلي النكد بين ما يتعلمه الداعية من أحكامٍ وعقائدَ وبين واقعٍ ماديٍّ ضربت عليه العلمانية بأطنابها، جلس فئةٌ من الدعاة حيارى، لا مجال لهم لتطبيق ما تعلموه على هذا الواقع المتنصل من شعائر الإسلام ومقاصده وأولوياته،

(١) مقدمات حضارة الإسلام ص ١٦٢-١٦٥.



فما كان من بعضهم إلا التكيف مع هذا الواقع، والوقوع في هزيمةٍ نفسيةٍ، بل وتطويع النصوص أحياناً لهذا الواقع البعيد كل البعد عن حقيقة هذا الدين ومراميه.

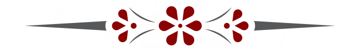
وفئةٌ هي التي ثبتت على قواعد الدين وأصوله، ونظرت في المآلات، وأدركت كيد الأعداء، ومقاصدهم من هذه الأفكار والمذاهب الوضعية، وأنها نشأت في الأصل لتكون بديلاً عن الأحكام والعقائد، فعلموا أنها لا يمكن أبداً أن تجتمع مع دين الله على مائدةٍ واحدةٍ وفي بيتٍ واحدٍ، بل إما إسلامٌ وإما علمانيةٌ، إما معاملاتٌ شرعيةٌ وإما رأسمالية، إما صلح ومهادنة على وفق مقاصد الشرع وإما قانون دولي على وفق مصالح الغرب!

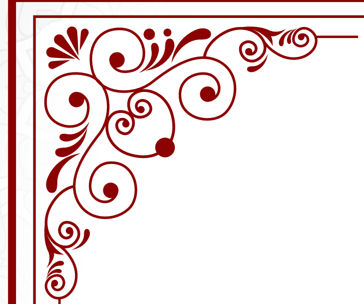
ملتزمين وواعين لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٨، ٩].

لا بد للدعاة أن يتذكروا قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فإن أعظم وهن دخل على المسلمين هو تجزئة الدين، وتجزئة الدفاع عنه، فلا بد من رفض كل تجزئة للإسلام مهما بدت الدعوة إليها براقة، واجتناب الذين يحاولون تجزئة القضاء على الدين من خلال تجزئته مهمَّاً تظاهروا بالغيرة عليه، فقد ارتضى الله لنا هذا الدين كاملاً فلا يقبله منا مجتزئاً.

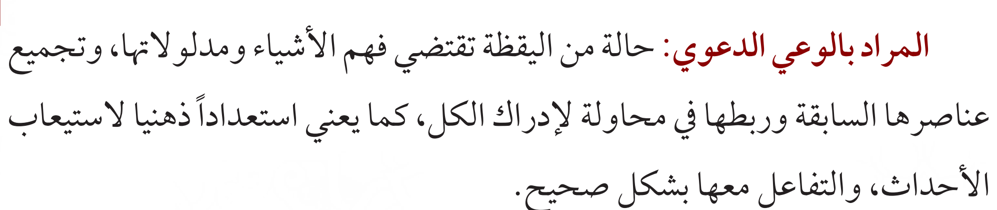
إن أعظم البلاء والفتنة أن يرضى هؤلاء المجزؤون لدين الله عما هم عليه،

ويحسبون أنهم وحدهم الناجون، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨].





المبحث الثاني
ضعف الوعي الدعوي



المراد بالوعي الدعوي: حالة من اليقظة تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها، وتجميع عناصرها السابقة وربطها في محاولة لإدراك الكل، كما يعني استعداداً ذهنيا لاستيعاب الأحداث، والتفاعل معها بشكل صحيح.

وهذا الوعي يستدعي بحثاً في العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار والمكائد الموجهة ضد الأمة، والسبل المشروعة لاستبانة سبيل المجرمين، وحماية الدعوة من كيد المبطلين.

وإذا كان الداعية إلى الله ضعيف في وعيه وإدراكه لما يدور حوله من فرص والمخاطر المحيطة بالدعوة إلى الله فلا شك أن دعوته ستكون من الضعف بمكان انتشاراً وتأثيراً.

وبيان هذا الموضوع في خمسة مطالب[1]:

(١) مادة هذا البحث تم تلخيصها وجمعها من: كتاب معالم في أصول الدعوة د. محمد يسري، وبحث بعنوان: كيفية تشكيل الوعي الإسلامي، منشور على موقع مركز التأصيل للدراسات والأبحاث بتاريخ الجمعة ٢٤ جمادى الأول ١٤٣٧ هـ، ومقال: فوائد الوعي د./ حمزة الفتحي على موقع صيد الفوائد. وكتاب تجديد الوعي د. عبدالكريم بكار، وصناعة الوعي د. عدي عدنان البلداوي.





المطلب الأول

أهمية تشكيل الوعي وفوائده

للوعي أهمية كبيرة ولعلنا نقتصر على أبرزها:

◆ **أولاً: حسن العمل:**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

لأن الواعي ينطلق من منطلق الإدراك لما ينفعه ويعود عليه بحسن العاقبة، ولذلك يحسن من أدائه، ويضاعف من كفاحه حتى يبلغ المبلغ النبيل، والمكانة الرفيعة. والذي يعي فضل الآخرة على الدنيا يكابدها جدًّا وعملاً ومسارعة، لعلمه أن ما يسعى له يستوجب ذلك!

◆ **ثانياً: جمال الاستعداد:**

فالوعي إشارة ترقب واستعداد، ونذارة تفهم ومبادرة، حضراً وسفراً، سعة وضيقاً، سلماً وحرباً، فمثلاً حين الصراع الدنيوي، واشمئزاز الأعداء من المسلمين، وعظنا الله ونبهنا بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهذا سلوك وخطة واستراتيجية لا ينتبه لها إلا العقلاء.

◆ **ثالثاً: سعة العقل:**

بالوعي يطيب تفكيراً وعملاً وتركيزاً، وأخذاً وعطاءً، ويورثه مثل ذلك حلاوة الاستمتاع العقلي، وقد حرم فئام من ذلك!

وقد يكون ذلك من كبر النفس، والذي عناه المتنبي بقوله:

وإذا كانت النفوس كباراً　　تعبت في مرادها الأجسامُ[1]

(١) هذا البيت للمتنبي، ينظر: ديوان المتنبي ص ٢٤٩.

فكبر النفس عزماً وعقلاً، وهو مما يستثقله الجسم، أو يقال أن علو الهمة فرع علو العقل ويقظته..!

والله تعالى جعل التفكر والتدبر علاج لبعض غرائز النفس كالعجلة والكفران والطغيان، قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٢].

◆ رابعاً: تمييز المواقف:

فالوعي لحيازته البصيرة، وتعرفه على المحاسن والمثالب، وبالتالي يحسن الاختيار، ويملك آلية الفرز والاجتباء، كما حصل لنبينا ﷺ في الحديبية، رضي بغبن الصلح، وصلافة قريش لمعنى دعوي وإسلامي أخلاقي راق، استطاع أن يبث الإسلام بعده، فيأتي في فتح مكة بعشرة آلاف مقاتل، حيث سكن الناس، واطمأنت البيئة، فما دعي عاقل إلى الإسلام إلا وأجاب، ولذا سماه الله ﴿ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١ - ٣].

◆ خامساً: سبر الأشخاص:

فيفقه منهم العدو من الصديق، والكريم من اللئيم، والجاد من المقصر، وهلم جرَّاً... ويفقه ميول الأتباع والأصحاب، فينزل كل شخص منزلته! انظر لاختيار رسول الله ﷺ لخالد رضي الله عنه في القيادة، والتوجيه بأسامة رضي الله عنه ليقود جيشاً فيه أكابر الصحابة، ونهيه أبي ذر رضي الله عنه عن القيادة! حينما سأله: «يا رسول الله ألا تستعملني؟» قال: فضرب بيده على منكبيه، ثم قال: **(يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها)**[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٥).



وفي رواية قال له: (يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين ولا تولين مال يتيم)[١].

◆ سادساً: فقه العلوم:

ولهذا قال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[٢].

فبالعلم يظهر الوعي بما ينفع ولا يضر، وما يعليه، ولا ينزله، فيجتنب المعلومات المذمومة، ويتقلل من علوم الآلة، ويركز في الجوهر وما ينفع دنيا وأخرى، وهو المقرب الى المولى تعالى، يركز العلم النافع على ما يقيم به الداعية دينه، ويقيم به دين أمته ومجتمعه، ويجعل الداعية حريصاً على تلمس جوانب النقص في نفسه ومجتمعه، ويتعلم ما يسدُّ ذلك النقص، مبتعداً عن غرائب المسائل وما لا يترتب على العلم به عمل.

قال ابن القيم: «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمدّه حسن القصد وتحرّي الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا وطلب محمدة الخلق وترك التقوى»[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (١٠٣٧).

(٣) إعلام الموقعين ١/ ٦٩.

كما أن سوء الفهم أصل كل بلية، يقول ابن القيم: «سوء الفهم عن الله ورسوله ﷺ؛ أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد»[١].

«فالتحرك السليم نتاج الفهم السليم، والتحرك الخاطئ نتاج الفهم الخاطئ، وقد تُرفضُ في كثير من الأحيان أفكارٌ سليمةٌ ومواقف حكيمة!! بسبب الفهم الخاطئ والسقيم لها»[٢]، كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولاً سليماً وآفته من الفهم السقيم[٣]

◆ سابعاً: ضبط المشاعر:

وذلك لتقاصر العاطفة عن حراكه العقلي، وتدفقه الفكري، الذي من خلاله يزم العاطفة، ويضبط المشاعر، لأنه لا أقتل للعقل من انجرار العواطف في كل شيء، ومن ملك عواطفه ملك عقله، وزم الناس، وفقه التعامل معهم! ولذلك صح قوله: **(ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)**[٤].

◆ ثامناً: الخروج من المأزق:

مأزق الفشل والخطأ والحزن والإحباط، والتراجع، والتي تتكون من قلة العلم، وهجر القرآن، أو تلاوته بلا تدبر، وأخذ الحياة بعفوية، وعدم التعاطي الناجع مع ظروف الحياة، والخلط بين المواقف والأشخاص، وتجاهل السنن الإلهية التي جعلها الله لفقه حركة الكون!

---

(١) الروح لابن القيم ص ٦٣.

(٢) نواسف الفهم السليم، مقال، د. جمال زواوي أحمد، منشور على الشبكة الدعوية.

(٣) هذا البيت للمتنبي، انظر محاضرة الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٦٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٤) ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٢٦٠٩).



المطلب الثاني

مراحل تكوين الوعي

إن الوعي يتكون عبر ثلاث مراحل:

☑ **المرحلة الأولى: الوعي بالذات:**

وفيها يتشكل الوعي بالذات كشيء مستقل عن الآخرين، وفي العادة يأتي هذا الوعي في إطار جمعي له نفس الخصائص والسمات الفكرية والشعورية والسلوكية، بحيث تمثل هذه الخصائص عامل ربط وانسجام بين أفراد جماعة أو أمة ما، وعامل تميز عن الغير المخالف لهذه الخصائص والسمات.

وهنا يمكن أن نشير إلى الإشكاليات التي وقعت فيها بعض التواجهات الإسلامية في تحديد طبيعة ذاتها إزاء المجتمع، فهناك من رأى أنه جزء من المجتمع المسلم، وهناك من رأى أنه شيء منفصل داخل المجتمع، وآخرون رأوا أنفسهم شيء بديل عن المجتمع القائم، وهذا الوعي هو الذي جعل مواقف التيارات الإسلامية تتباين في تعاملها مع المجتمع والواقع.

☑ **المرحلة الثانية: الوعي بالبيئة المحيطة والظروف الحالية:**

وهذه مرحلة تالية للمرحلة الأولى وانعكاس لها، فإن الإنسان عادة ما يرى بيئته ويقيم أوضاعه من خلال الجماعة التي ينتمي إليها بخصائصها وسماتها، وإذا كانت هذه الجماعة لدى البعض تتمثل في الأسرة أو القبيلة إلا أنها تتمثل كذلك في المذاهب الدينية والفكرية والسياسية في مراحل متقدمة من الانتماء الأوسع.

وكلما زاد وعي الجماعات والتيارات الإسلامية ببيئاتها ومحيطها وظروفها كلما

زاد اندماجها وتكيفها مع المجتمع لإيصال رسالتها بعيداً عن الانعزال والانزواء والرؤى الفوقية المثالية، وهي مرحلة نشأت مع بروز وسائل الإعلام والانفتاح الثقافي والاجتماعي مع مطلع تسعينيات القرن الماضي، حيث أصبح نشر الأفكار وتداولها وتواصل المجتمعات سهلاً وميسراً، وقد استفادت منها الجماعات والحركات الإسلامية التي رأت في نفسها جزءاً من المجتمع لا بديلاً عنه، كما أن الجماعات التي كانت ترى ذاتها شيئاً منفصلاً فقدت بعض بريقها ما اضطرها لمراجعة أفكارها وأدبياتها.

☑ **المرحلة الثالثة: الوعي بالعالم وحركة التاريخ:**

وهذه المرحلة من الوعي تأتي عقب المرحلتين السابقتين، شريطة أن يسمو المرء في انتمائه إلى ما هو أبعد من الانتماء الفئوي، إلى الأفق الفكري والسياسي بشكل عام، وفي هذه المرحلة يكون الوعي عميقاً ومركباً حيث يبتعد المرء عن السطحية والرؤية الضيقة التي نشأ عليها، وهذه المرحلة هي التي فرضتها حالة ثورات الربيع العربي على الحركات الإسلامية وهي تؤسس لواقع جديد بكل تعقيداته وتشابكه وتقاطعاته، في حين بات التيار الإسلامي متصدراً للمشهد سياسيّاً وإعلاميّاً وفكريّاً وحركيّاً.



المطلب الثالث
وسائل تشكيل الوعي

تتنوع وسائل تشكيل الوعي في العصر الحديث، نظراً لكثرة وسائل النشر والإعلام والتثقيف، وهي تتوزع ما بين وسائل متاح امتلاكها للتيارات الإسلامية وبين وسائل هي ملك للسلطة. ومن الوسائل المتاحة:

- **وسائل الإعلام المرئية والسمعية:** التي باتت مؤثرة وحاضرة في المجتمع



بقوة. ما يفرض على الحركات والجماعات الإسلامية امتلاكها والدخول فيها بمهنية وفنية واحتراف.

- **الشبكة الإلكترونية:** بكل ما فيها من تنوع في مضامينها وخدماتها، حتى باتت مواقع التواصل الاجتماعي هي صاحبة الفضل في توجيه الشارع للثورة.
- **وسائل النشر الورقي:** من صحف ومجلات وكتب، فهي لا تزال مرجعاً للفكر والوعي العميق ولا غنية عنها أبداً مهما بدت البدائل.
- **الأحزاب والحركات السياسية:** وهي أطر تجمع الناس لتحقيق مصالح وأهداف جمعية مشتركة في إطار الحراك المجتمعي.
- **مراكز البحوث والدراسات والتوثيق والمعلومات:** وهي مراكز متخصصة تنظر للأمور من منطلق العلم والمعلومة والموضوعية بعيدا عن اللغة الخطابية والأماني الشعورية.
- **المساجد والمحاضن الدعوية والتربوية:** وهي بيئات إيمانية يمكن تشكل الوعي فيها باتزان واعتدال وعلى أساس من التصورات والعقائد والأخلاق الإسلامية الصحيحة.
- **المنتديات الثقافية والفكرية والصالونات الأدبية والحوارية التي يشارك فيها أبناء المجتمع:** ومن شأن هذه المنتديات رفع مستوى التعاطي الفكري والذوق الأدبي لدى المجتمع.

أما الوسائل المملوكة للسلطة والتي ينبغي التأثير فيها من خلال الحضور السياسي:

- **المناهج التربوية في المؤسسات التعليمية بكافة مستوياتها.**
- **الوسائل الإعلامية والثقافية:** من قنوات وإذاعات ومؤسسات بحثية أو ثقافية.

المطلب الرابع

أساليب تشكيل الوعي

هناك أساليب عديدة لتشكيل الوعي في الأمة، وهي قابلة للتجديد والاختيار بحسب البيئة وبحسب الفئة.

وفي العموم فإن تشكيل الوعي الجمعي لا يمكن أن يتم في غيابها:

١- أسلوب المثال التاريخي:

في هذا الأسلوب يتم استدعاء القدوات التاريخية الراسخة في الوجدان والمعرفة لتمثل نوعاً من النموذج المنشود في السيرة والنجاح، ولهذا نجد أن القرآن الكريم اهتم بقصص الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والصالحين ليجعل منها نبراساً للاحقين.

٢- أسلوب التحفيز والاستثارة:

وهو أسلوب يقوم على التحدي وإثبات الذات في مواجهة العقبات، ما يعطي الشعوب إيماناً بقدراتها وإمكانياتها ومكنونها الإيجابي، وهذا الأسلوب يتم استخدامه من قبل أصحاب السلطة أو السياسيين في الأزمات أو الصراعات أو الكوارث.

٣- أسلوب بناء القناعات:

وهو يقوم على المخاطبة العقلانية والأدلة العلمية من خلال مواقع التعليم أو منتديات الحوار، وهذا غالباً ما تعتمده المؤسسات التعليمية والتربوية والفكرية، وبشكل متدرج عبر مراحل زمنية متوالية، وميزة هذا الأسلوب ديمومة تأثيره وعمق بقاءه.

٤- أسلوب نقل الخبرة:

وهو أسلوب تعتمده الشعوب المستجدة على ظروف أو تحدياتٍ ما، وهنا يمثل



نقل الخبرة إلى بيئة محلية نوعاً من المخاطرة التي قد يرفضها البعض، فيتطلب الأمر إلى مقاومة القوى الرافضة وصناعة التغيير بتدرج وحنكة مع بيان الوجه الإيجابي في الموضوع.

٥- التخصص في تشكيل الوعي:

الإشكالية التي تواجه التيار الإسلامي عموماً هو أنه مطالب بإدارة أساليب تشكيل الوعي بين خصوصية المنضوين إليه وعمومية أبناء المجتمع بكل تبايناتهم الدينية والمذهبية والقومية، خاصة مع الانفتاح والتداخل الذي يتم على الميدان.

وهنا يكون من الصعب تعميم أسلوب على آخر، أو اعتماد أسلوب دون غيره، وإنما الجمع بين الأساليب واستخدام كل منها في الإطار الأنسب، وهنا تأتي أهمية التخصص وتوزيع الأدوار أكبر من أي فترة مضت.

فالأحزاب الإسلامية معنية بمهمة تشكيل وعي عام جماهيري، وليس تشكيل وعي خاص لفئة، فخطابها هو خطاب تحت المجهر وموجه بالضرورة لجميع أبناء الوطن، فيجب أن تشكل الوعي السياسي لمجتمع متباين.

في حين أن على الجماعات الدعوية الإسلامية تشكيل وعي عام نخبوي لرواد هذه الحركات ومناشطها؛ وليس بالضرورة أن ينفصل عن الوعي الآخر لكنه يختص عنه بقدر من الفهم الأدق والأعمق وفي ضوء الخطاب الدعوي الإيماني.





المطلب الخامس

المعنيون بتشكيل الوعي

❍ أولاً: أهل العلم والدعوة:

وهم المعنيون بتشكيل الوعي أولا فبما يؤصلونه ويقعدونه ويؤسسونه من مناهج نظر واستدلال وبحث وتفكير، يؤثرون دون شك في قدرة المجتمع على الوعي، ويسهمون بذلك على وضع أرضية ملائمة للوعي الصحيح.

لذا ينبغي إعادة صياغة مفهوم المعلم والعالم وقائد العملية التعليمية صياغة صحيحة في مجتمعاتنا ومحاضننا الدعوية؛ وتقييم الوضع القائم في ضوئها، فهناك خلل واضح في العملية التعليمية يقرُّ به الجميع بدون استثناء، حتى المسلمين.

❍ ثانياً: أهل الفكر والرأي:

ونقصد بهم أولئك القادرون -بما وهبوا من عقل وبما اكتسبوه من خبرة- أن يقرأوا الأمور بشكل صحيح، وأن يشكلوا رؤية هادفة ومشروعاً واقعيًّا بصياغة سليمة وحية.

وهم على قلتهم لا يزالون غير ممكنين من أدوارهم في ظل صخب التنافس السياسي والجدل الإعلامي، لذا يجب على القوى الإسلامية إعادة المكانة لهؤلاء بعيدا عن أي تعصب أو نكران.

❍ ثالثاً: أصحاب القرار والسلطة:

وذلك لكونهم المسؤولين عن مخاطبة المجتمعات بحقائق واقعها وما يتصل بها من مخاطر وتهديدات وتحديات، وغالباً ما يسعى أصحاب القرار والسلطة في حال بعدهم عن الدين والمصداقية إلى تزييف الحقائق وإنكار الوقائع وتزييف الأمور.



لذا يجب تقديم الأكفاء الأمناء الأقوياء.. بما في ذلك القوة الأدبية لمصارحة الشعوب ومكاشفتها، وعلى القوى السياسية الإسلامية أن تبتعد عن ترشيح شخصيات هزيلة أو مصلحية لمجرد الولاء والتبعية، كما أظهرت الفترة السابقة.

رابعاً: موجهي الرأي العام من سياسيين وإعلاميين ومثقفين:

وميزة هؤلاء أنهم أصحاب لغة بسيطة وعاطفية وكارزما تمكنهم من إيصال الأفكار والآراء بشكل سريع ومباشر ومقبول، وهذا ما يوضح أهميتهم في الوقت المعاصر، وتصارع القوى الفكرية والسياسية لاستقطابهم، ومن المؤسف أن تظل القوى الإسلامية بعيدةً عن تربية وتأهيل وتقديم كوادر صالحة في هذه المجالات، خاصة وأن الحرب الشرسة عليهم تتطلب هذا القدر من النخب.

خامساً: الأسرة:

وذلك أنها محل تنشئة النفس السوية، والروح المتزنة، المشبعة بالألفة والرحمة والمودة. فجميع علماء النفس يتفقون على أن غالبية ما يقع من خلل في الشخصية والنفسية يكون منشأه الأساس التربية الأولى التي يتلقاها الطفل من أسرته، لذلك فإن التقدم يكون بقدر ما تعطي الأسرة حظها من الخدمات وبرامج الرعاية والحقوق والاهتمام التثقيفي والتأهيلي.

إن نجاح تشكيل الوعي في أي مجتمع يعتمد بشكل أساس على قدرة المذكورين من الاتصال بالجماهير وإقناعهم، وهذا يتطلب مهارات متنوعة تتحدد وفقاً لطبائعهم النفسية وخصائصهم الشخصية ومستوياتهم الثقافية والإمكانات المتاحة لهم.

ومن هذه المهارات مثلاً: المهارات القيادية والإدارية، ومهارات التفكير والتخطيط الاستراتيجي، ومهارات الاتصال والإقناع، ومهارات التفاوض وإدارة الخلاف، ومهارات

إدارة الأزمات وحل المشاكل، ومهارات التحليل والنقد.

وعندما كان على رأس هذه الأمة خيارها ديناً وخلقاً وعلماً؛ كان وعيها بذاتها وحاضرها ومستقبلها إيجابيًّاً ومؤثراً وقويًّاً، ما جعلها رائدة الأمم وصاحبة أكبر حضارة إنسانية تضم أطيافاً من المجتمع الإنساني متعدد الأعراق والأجناس واللغات والثقافات.

وأخيراً:

منوط بقادة المسلمين ومفكريها وعلمائها اليوم تصدر المشهد، والاتحاد والاجتماع على مشروع إسلامي شامل لبلدانهم، لإعادة ثقة الأمة بخيارها، ثم لإعادة وعيها إلى سابق عهدها المجيد، فإن خذلوها في هذا الحلم تحملوا وزر ما سيلحق بالأمة من ويلات بات يقدح شررها هنا وهناك.





المبحث الثالث
الغلو في الدين

آفة الغلو من الآفات الخطيرة جدًّا، وهي سبب كبير من أسباب التفرق بين الدعاة والجماعات، ولذا سيتم الحدث عن تلك الآفة من خلال النقاط التالية[١]:

أولاً: مفهوم الغلو:

«**الغلو**: مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء في حده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك»[٢]، «وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان»[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، **فالغلو هنا**: «مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع»[٤].

والغلو في الدين أي: الميل والانحراف عن الطريق المستقيم، أو أن يزيد في الدين ما ليس منه؛ بحيث يتجاوز الحد المشروع، أو يتشدد في العبادة، أو يتعسف في أدائها، حتى يخرج بها عن الصفة المشروعة، فكل من تعبد الله بغير ما شرع نوعاً أو عدداً أو صفة فهو من الغلاة، ومن هنا أصبحت البدع في الدين نوعاً من الغلو والتطرف.

ثانياً: أدلة النهي عن الغلو:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧].

---

(١) ينظر: كتاب: آفات على الطريق لسيد نوح، أسباب الغلو والتطرف ومعالجتهما في ضوء الكتاب والسنة لفضيلة الشيخ د.: إبراهيم بن ناصر الحمود، وفضيلة الشيخ د.: يوسف بن محمد السعيد.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٢٨٩.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبدالله آل الشيخ ص ٢٥٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٢١٦.

وقال رسول الله ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) قالها ثلاثا[١]، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي هلك المتعمقون المغالون، المجاوزون الحدودَ في أقوالهم وأفعالهم»[٢].

وقال النبي ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)[٣]، أي التشديد فيه ومجاوزة الحد والبحث عن غوامض الأشياء والكشف عن علله وغوامض متعبداتها **(فإنما هلك من كان قبلكم)** من الأمم **(بالغلو في الدين)** والسعيد من اتعظ بغيره وهذا قاله غداة العقبة وأمرهم بمثل حصى الخذف[٤].

➤ ثالثاً: مظاهر الغلو في الدين:

ومظاهر التنطع أو الغلو في الدين كثيرة، نذكر منها:

١ - كثرة الافتراضات، والسؤالات عما لم يقع، أو عما عفا الله عَزَّ وَجَلَّ عنه، وسكت، حيث يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢].

٢ - المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو تضييع الواجب، كمن بات يصلي الليل كله، ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٢٦٧٠).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢٢٠.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب قدر الحصى (٣٠٢٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٤٤)

(٤) فيض القدير ٣/ ١٢٥.

٣ - العدول عن الرخصة في موضعها إلى العزيمة، كمن يباح له التيمم عند العجز عن استعمال الماء، فيترك التيمم، ويصر على استعمال الماء فيفضي به ذلك إلى ضرر في بدنه.

٤ - الاشتغال بمسائل الفروع على حساب الأصول، أو استفراغ الجهد في المختلف فيه، مع إهمال المجمع، أو المتفق عليه، كمن يركز على الخلاف في مسائل السواك، ويهمل قضية تعطيل شرع الله في الأرض، وأكل الربا.

٥ - التكفير بالمعصية، أو بالكبيرة، وكذلك جعل الأصل في الأشياء الحظر، أو الحرمة، مع أن القاعدة أن الأصل في الأشياء الإباحة، أو الحل، إلا ما جاء النص بخلافه.

٦ - إحياء الكلام في المسائل التي فرضتها ظروف معينة، ثم انتهت بانتهاء هذه الظروف، مثل الكلام في مسائل خلق القرآن، والخلاف الذي نجم بين الصحابة، ونحو ذلك.

➢ رابعاً: أسباب الغلو في الدين:

ويقع الغلو في الدين لأسباب عدة، وبواعث كثيرة نذكر منها:

١ - البيئة، فقد ينشأ الداعية في بيئة شأنها الغلو، أو التنطع وليست لديه حصانة فكرية، فيحاول الاقتداء، والتأسي، أو على الأقل المحاكاة والتشبه.

٢- التكوين النفسي والفكري للدعاة، كأن يحرمون من المربي أو الموجه الذي يرشدهم، ويوجههم إلى بعد النظر، واتساع الأفق، فينشئون على الوقوف عند الشكليات والقشور، مهملين اللباب والجوهر، وذلك هو عين الغلو.

٣- الذكاء مع الفراغ، وعدم البصيرة بالأولويات، إذ إن من سمات النفس البشرية أن صاحبها إن لم يشغلها بالحق، شغلته بالباطل.

٤- الاعتماد على النفس في تحصيل العلم، أو المعرفة، بعيداً عن العلماء والمربين أصحاب سعة الاطلاع والتجربة والبصيرة.

٥- الأخذ أو التلقي عن الجاهلين، فقد تكون لدى المسلم الرغبة في تحصيل العلم أو المعرفة، ولا يعرف على يد من يكون الأخذ أو التلقي، فيقع في أيد الجاهلين.

ولا جرم أن نشير هنا إلى أن المراد بالجهل بالدين ليس هو الجهل المطلق، إذ هذا الجهل المطلق يفضي بصاحبه عادة إلى الانحلال والتسيب لا إلى الغلو، وإنما المراد به الجهل بالاجتهاد وأسلوبه أو طريقته، إذ هو المفضي إلى الغلو.

٦- خلو الساحة أو الميدان من العلماء الذين يضبطون الفكر والتصور بل والسلوك لا سيما إذا كانت هناك حماسة أو قوة إيمان وعاطفة تدفع إلى العلم بدين الله، والتمكين له في الأرض، وشاهدوا غياب العلماء من الميدان أو الساحة إيثاراً للعافية، والسلامة، فتقدموا هم لحمل الراية، واعتمدوا على أنفسهم في الفقه أو الاستنباط، فكان الوقوع في الغلو.

٧- تعطيل شرع الله في الأرض، فآفة الغلو، نشأة كرد فعل مضاد فانبرى بعضهم للعمل دون أن يكون معه موجه أو مرب، فتردى في آفة الغلو.

٨- الحظوظ النفسية، من حب الذيوع والشهرة، أو الثناء والمحمدة، أو المغنم والجاه، لأن الغلو يحمل كل شاذ وغريب، والشواذ والغرائب من بين ما يكسب الذيوع والشهرة، أو الثناء والمحمدة، بل ربما توصل، إلى المغنم والجاه.

٩- الرغبة في تحقيق مزيد من القرب من الله مع الغفلة عن السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، كما ورد في الثلاثة الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ، وتقالُّوها.



١٠- الكراهية للإسلام مع التظاهر بحبه، على نحو ما وقع من عبد الله بن سبأ اليهودي، ومغالاته في شأن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أنه حل في الإله، أو هو الإله، وأنه لم يمت، وإنما رفع إلى السماء، وأن الرعد صوته، والبرق نوره وسناؤه، وما تبع ذلك من الغلو في شأن الأئمة، وادعاء العصمة لهم.

١١- الشدة أو الإكراه والضغط، سواء من البيت، أو المجتمع، أو الدولة.

١٢- الهجوم العلني والتآمر الخفي على الأمة الإسلامية، وهذا يجعله يأتي بشعور قوي وأكيد بضرورة التصدي، والمواجهة، التي ربما تصل إلى الغلو.

خامساً: آثار التنطع أو الغلو في الدين:

١- كراهية الناس، ونفورهم من المتنطع أو المغالي في الدين.

٢- الفتور أو الانقطاع.

٣- تضييع العمر، وتبديد الجهد في غير ما طائل ولا فائدة.

٤- التقصير في حقوق الآخرين، سواء على مستوى الحقوق الدعوية والأسرية والاجتماعية الأخرى.

٥- القلق والاضطراب النفسي، وذلك لأن المغالين أضيق الناس صدراً، وأشدهم قلقاً واضطراباً، وأكثرهم فوراناً وغضباً، بل ربما استخداماً للقوة، لحمل الآخرين على ما يريدون.

٦- الفرقة والتمزق، فالمغالين لقصور الفهم لديهم، لا يلتقون على رأي واحد، ولا يقبل الآخرون رأيهم، وحينئذ تكون الفرقة، ويكون التمزق.

٧- كيد أعداء الإسلام للدعوة، فالغلو يعطي المتربصين بالدعوة الفرصة لتوجيه الضربة بعد الضربة من أجل القضاء على هذا العمل.



٨- الحيلولة دون كسب الأنصار، وذلك لما جره الغلو من العنف أو الشدة التي تحول دون كسب الأنصار.

سادساً: علاج الغلو في الدين:

وعلى ضوء ما قدمنا من أسباب الغلو في الدين ندرك طريق العلاج ويتلخص في الخطوات التالية:

١- معرفة النصوص من القرآن والسنة في التحذير من الغلو والتطرف في الدين، وفهم النصوص وفق فهم السلف.

٢- التبصير بفقه العبودية، والدعوة إلى الله، والفتوى، من ترتيب الأولويات، ومن معرفة بمقاصد الشريعة، وكلياتها، ومن فهم للنصوص في ضوء بعضها ببعض، ومن إلمام بمراتب الأحكام، وطريق ثبوتها، والعلاقة بينها عند التعارض، ومن رعاية لأدب الخلاف، وعن العلم بقيم الأعمال، ومراتبها، ومراتب المأمورات، والمنهيات، بل مراتب الناس مع الأعمال، وتقدير ظروف الناس، وأعذارهم، ومن الإلمام بسنن الله في خلقه: الكونية منها، والشرعية، ولا سيما سنن وشروط النصر.

٣- دوام النظر في التاريخ البشري بعامة، والإسلامي بخاصة، فإن هذا التاريخ حافل بالنماذج الحية من المغالين في الدين والآثار السيئة التي جناها هؤلاء من وراء الغلو، وهي حافلة كذلك بكيفية التعامل مع هذه الظاهرة والقضاء عليها.

٤- معاملة المغالين بروح الأبوة والأخوة من الحنو، والرحمة، والحب، والشفقة؛ فنخالطهم، ونتعرف عليهم من قرب، كيف يفكرون، وكيف يشعرون، وكيف يسلكون، وكيف يتعاملون، ولا نحكم على الكثرة بحكم القلة، ولا على الواحد بما يقع منه من تصرف، أو تصرفين، وإنما بمجموع تصرفاته، وألا نبالغ في تصوير، أو

تضخيم مخالفات هؤلاء، على حين نسكت عن أخطاء غيرهم ممن يعرف بالتفريط، أو بالتطرف اللاديني، وأن نشيع جو الحرية، ونرحب بالنقد، ونحيي روح النصيحة في الدين، وأن نتجنب اللجوء إلى القوة، والبطش لتصفية هذا الفكر، ومطاردة أهله، فإنه يختفي بالاضطهاد، ولا يموت، ويكمن كمون النار في الكبريت، ولا يزول.

٥- لفت النظر إلى الآثار والعواقب المترتبة على الغلو، سواء منها على العاملين، أو على العمل الإسلامي، فلعل ذلك يساعد في التخلص من هذه الآفة، ومجاهدة النفس لئلا تبتلى بها مرة أخرى.

٦- شغل أوقات الفراغ بالنافع المفيد من خلال وضع وتنفيذ برامج تعليمية وإعلامية، وترفيهية، وتدريبية، بحيث تتجاوب هذه مع الفطرة ولا تتعارض مع شرع الله -تبارك وتعالى- فإن هذا من شأنه أن يمتص الطاقات الكامنة عند هؤلاء.





المبحث الرابع
التساهل في الدين

كما أن الغلو في الدين من الآفات المنهجية والسلوكية؛ فكذلك التساهل وتمييع الدين سواء كان ذلك في تطبيقه أو الدعوة إليه من قبل الداعية، فهذا التساهل مرفوض شرعاً.

فإن الغلو يقابل التساهل الذي يؤدي إلى التفريط، والله تعالى أمر بالاستقامة والاعتدال ونهى عن الغلو والانحلال فقال سبحانه لنبيه ﷺ والمؤمنين معه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وآفة التساهل لدى الدعاة تكون في أمرين:

الأول: التساهل بترك الواجبات وفعل المحرمات واتباع الشهوات.

الثاني: التساهل في الدعوة والبلاغ.

والتساهل في أمور الدين عملاً ودعوةً لا يقل خطورة عن الغلو بل هو شر منه، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

ولهذا ينبغي للداعية أن يتذكر قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥].



فإن وجد بعض المنتسبين للدعوة يمارسون تساهلاً دعويًّا، وهزالاً إصلاحيًّا، وتماوتاً، وتراخياً وعدم حزم أو جدية؛ فهؤلاء يأخذون نمطية الدعة والسهولة، والراحة والليونة، والضعف والنعومة وعندها تضيع الحرمات، وتهون الأصول، وتختلط المفاهيم، ولا ارتياب أن مثل هذا المسلك إجحاف بالدعوة، وإقصاء في فهم حقيقتها واتجاهاتها وأهدافها.

ومع أن اللين والرفق واليسر والسماحة مقامات محمودة مأمور بها في الشريعة، لكن لها حدود وقيود ومواضع وحالات لعدم التجني والتلاعب بمعانيها، لأن استخدامها باستدامة وإطلاق أمر مردود؛ ومغالطة دعوية كبيرة.

فإن الله هو القائل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥]، وهو القائل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

والله تعالى يقول: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

وأمر نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

وهو القائل: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨].

والله القائل: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢].

ولكي نتبين هذا الأمر بجلاء، ونعرف صور التساهل في الدين وأثر ذلك في حياة الداعية ودعوته من خلال النقاط التالية:

❑ أولاً: التساهل في عرض الدين للناس وتتبع الرخص:

كثيراً ما يلتبس الأمر بين التساهل في الفتوى والتيسير فيها، فقد ورد عن العلماء ذم

التساهل في الفتوى وورد عنهم أيضاً استحسان التيسير على الناس والتماس المخرج الشرعي لهم مما يشق عليهم التزامه.

فالتساهل في الفتوى: معناه كما يقول الإمام النووي «فمن التساهل: أن لا يتثبت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر، فإن تقدمت معرفته بالمسؤول عنه فلا بأس بالمبادرة، وعلى هذا يحمل ما نقل عن الماضين من مبادرة.

ومن التساهل أن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة أو المكروهة، والتمسك بالشبه طلباً للترخيص لمن يروم نفعه، أو التغليظ على من يريد ضره، وأما من صح قصده فاحتسب في طلب حيلة لا شبهة فيها؛ لتخليص من ورطة يمين ونحوها فذلك حسن جميل، وعليه يحمل ما جاء عن بعض السلف من نحو هذا، كقول سفيان: إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد»[١].

فالتساهل ينشأ عن تقصير في البحث، والاستهتار والتلاعب بالأدلة؛ ولذا فحكمه الحرمة، بينما التيسير ينشأ عن رسوخ في العلم، وإدراك لمقاصد الشريعة وأدلتها وطرائق الترجيح بينها، وعن دراية بأحوال الناس وحاجتهم وواقعهم.

فيوجد من يدعو إلى التحلل من أمور من الدين، بالتهاون في السنن، وإهمال بعض الأدلة الشرعية، وقبول الرخص الشاذة، والأقوال الشاذة، ونشر التساهل، وتتبع الرخص.

قال الإمام أحمد: «لو أن رجلاً عمل بكل رخصة: يعمل بمذهب أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع يعني الغناء، وأهل مكة في المتعة، لكان فاسقاً»[٢].

---

(١) المجموع للنووي ١/ ٧٩- ٨٠.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص١٧.



وقال الأوزاعي: «من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام»[١].

وقال سليمان التيمي: «لو أخذت برخصة كل عالم، أو قال: زلة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله»[٢].

وكان إسحاق القاضي يقول: «دخلت على المعتضد، فدفع إليَّ كتاباً نظرت فيه وكان قد جمع فيه الرخص من زَلَلِ العلماء، وما احتج به كل منهم لنفسه، فقلت له: يا أمير المؤمنين! مؤلف هذا الكتاب زنديق، فقال: لم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: الأحاديث على ما رويت، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه. فأمر المعتضد فأحرق ذلك الكتاب»[٣].

وقال ابن القيم: «لا يجوز للمفتي تتبع الرخص لمن أراد نفعه، فإن حسن قصده في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة لتخليص المستفتي بها من حرج جاز ذلك، بل استُحبّ، وقد أرشد الله نبيه أيوب عليه السلام إلى التخلص من الحنث: بأن يأخذ بيده ضغثاً فيضرب به المرأة ضربة واحدة... فأحسن المخارج ما خلص من المآثم، وأقبح الحيل ما أوقع في المحارم»[٤].

❑ ثانياً: التساهل في بعض الذنوب التي تحتاج إلى تحرز من الدعاة:

هناك بعض الذنوب والمعاصي يتساهل بعض الدعاة في الولوج فيها عن قصد أو عن غير قصد، ولو تأملوا فيها لوجدوها في حق غيرهم كبيرة، وفي حقهم أكبر..

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٣٥٦ (٢٠٩١٨).
(٢) مسند الجعد ١/ ٢٠٠ (١٣١٩).
(٣) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٣٥٦ (٢٠٩٢١).
(٤) إعلام الموقعين ٤/ ١٧١.

ومن تلك الذنوب: بل وأخطرها الذنوب القلبية التي يغفل عنها كثير من الدعاة، كالحسد والبغض، والكراهية، وحب الشهر والرياء.. وغيرها.

ومنها ذنوب اللسان، كالغيبة والحديث في أعراض الناس والتشهير بالعصاة، وقد يجد الدعاة مبرراً للغيبة لكنه ليس مبرراً شرعيًّا صحيحاً، وهذا أمر خطير جدًّا له صور منها:

١- ذكر حال الذي اغتيب، وإظهار التألم والاستياء لحاله، والدعاء له أمام الآخرين.

٢- أن يقول الداعية للمغتاب اسكت، لكن الداعية لم ينكر ذلك في قلبه، وإنما هو مشتهٍ ذلك.

٣- أن يذكر الداعية شخصاً ما ويمدحه، ويذكر اهتمامه والتزامه بالدين، ثم يقول: لكنه ابتلي بما ابتلينا به كلنا من تقصير وفتور في بعض العبادات، وهو بهذا يستنقص من قدر الذي اغتيب، وبذلك وقع في الغِيبة.

٤- أن يتكلم الداعية بألفاظ أو أسلوب يحاكي فيه الآخرين؛ بقصد غيبتهم.

٥- يغتاب الداعية أخاه، وإذا أنكر عليه قال: أنا على استعداد للقول أمامه، وهذا كذلك لا يجوز، لأن ذلك قد يكون ادعاء وهو قد وقع في الغيبة سواء قال أمامه أو لا.

٦- قول القائل في جماعة من الناس عند ذكر شخص ما: نعوذ بالله من قلة الحياء. أو نعوذ بالله من الضلال. أو نحو هذا.

٧- قول الداعية: فعل كذا بعض الناس، أو بعض الفقهاء، أو نحو ذلك، إذا كان المخاطب يفهمه بعينه، لحصول التفهيم.



٨- قول الداعية: فعل كذا الأفندي. أو: جناب السيد. ونحو ذلك، إن كان يقصد التنقيص منه[١].

ومن ذلك التساهل في النظر للنساء ومصافحتهن، والتبسط والليونة معهن في الكلام، وهذا يتعرض له الدعاة سواء في التجمعات عند دعوتهن، أو في الأسئلة الخاصة على الهاتف أو في مكان خاص.

ومن ذلك التساهل في بخس الداعية الآخرين حقوقهم، والتعدي عليهم بالأحكام الجائرة والتقليل من أعمالهم وجهودهم، وتكبير أخطائهم وإذاعتها ونشرها.

ومن أخطرها، التساهل في المال الدعوي، فيبرر لنفسه استخدام أموال الدعوة في أغراضه الشخصية، كاستخدام السيارة المخصصة للعمل الدعوي استخداماً خاص به، أو يستخدم مقر الدعوة استخداماً خاصًّا به، أو تكليف الموظفين في المؤسسة الدعوية بأمور خاصة بالداعية، أو يجامل بمال الدعوة صديق أو قريب، أو الاتجار بمال الدعوة لحسابه الخاص.

❑ ثالثاً: التساهل في مظاهر التدين وضعف العمل بما يدعو إليه:

وهذا الأمر خطره عظيم على الدعاة، وقد ذمه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ

---

(١) الغيبة وأثرها السيء في المجتمع، د. حسين العوايشة ٩٠- ٩١ باختصار وتصرف.

ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

قال ابن القيم: «فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه»[(١)].

إنه مثل لكل من آتاه الله العلم فلم ينتفع بهذا العلم ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان، ولينتهي إلى المسخ في مرتبة الحيوان، قال رسول الله ﷺ: **(يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه)**[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه، ومن لم يوافق قوله فعله فذلك الذي يوبخ نفسه»[(٣)].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا يغرركم من قرأ القرآن!! ولكن انظروا إلى مَن يعمل به»[(٤)].

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه **أنه قال على المنبر:** «إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم، قالوا: كيف يكون المنافق عليماً؟ قال: يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور، أو قال: بالمنكر»[(٥)].

---

(١) الفوائد ص١٠١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة (٣٢٦٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله (٢٩٨٩).

(٣) الزهد لابن المبارك ص٢٥، الزهد لأحمد بن حنبل ص٢٦٩.

(٤) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي برقم (١٠٩)

(٥) شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٢٨٤ (١٧٧٧).



وقال مالك بن دينار: «تلقى الرجل ما يلحن حرفاً!! وعمله لحن كله»[(١)].

كما أن العلماء عُنوا بهذا عناية فائقة سواء بإفراد مصنَّف مستقل كالخطيب البغدادي في كتابه «اقتضاء العلم العمل»، أو بتضمين الكتاب باباً كما هو الحال عند ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» حيث عقد: باب جامع القول في العمل بالعلم.

قال ابن القيم: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًّا، كانوا أول المستجيبين له»[(٢)].



(١) تاريخ دمشق ٢٢/ ١١٥.

(٢) الفوائد ص٦١.



المبحث الخامس
النظرة السلبية للمجتمع

ويمكن بيان هذه الآفة في النقاط التالية:

أولاً: مفهوم النظرة السلبية للمجتمع:

المقصود به أن ينظر بعض الدعاة إلى الدعوة ومجتمع الدعوة على أنه مجتمع فاشل غارق في شهواته وملذاته؛ فلا خير فيه، وقد يعلنون ذلك بين الناس، ومن ثمَّ لا ينظرون ولا يستفيدون من الجانب الإيجابي الذي يمكن أن يستفاد منه.

ثانياً: موقف الإسلام من النظرة السلبية للمجتمع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال رسول ﷺ: **(إذا قال الرجل: هلك الناس. فهو أهلكهم)**[١].

قال الإمام النووي: «روي **(أهلكهم)** على وجهين مشهورين؛ رفع الكاف وفتحها، والرفع أشهر ومعناها: أشدهم هلاكاً.

وأما رواية الفتح فمعناها: هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة، واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الازراء على الناس واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه»[٢].

وقال الإمام الخطابي: «معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا، فإذا فعل ذلك **(فهو أهلكهم)** أي: أسوأ حالاً منهم بما يلحقه

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس (٢٦٢٣).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ١٧٦.



من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وربما أدَّاه ذلك إلى العُجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم»[١].

✍ ثالثاً: خطر النظرة السلبية للمجتمع:

١- النظرة السلبية للمجتمع فيها سوء ظن بالله تعالى وقدرته على هداية الخلق.

٢- النظرة السلبية للمجتمع نوع من الانسحاب من مهمة الدعوة.

٣- يتولد عن النظرة السلبية للمجتمع كثير من المصادمات بين الدعاة والمجتمع.

٤- يُعطي صورة غير صحيحة عن الدعاة بل عن المسلمين ككل.

٥- يُفقد الدعاة ثقة الناس فيهم.

٦- يُعَمم التصور الخاطئ على كل فئات الدعوة.

٧- يَقِل عطاء الدعاة.

٨- تُقام العوائق النفسية والتخوفات حولهم.

✍ رابعاً: علاج النظرة السلبية للمجتمع:

١- نظرة الداعية للمجتمع نظرة حب وشفقة لا باللوم والعتاب، فالحب والشفقة هي من الأدوات المهمة؛ لتصحيح المجتمعات.

٢- لا بد من اعتقاد الدعاة بأن المجتمع يستحق التغيير إلى الأفضل حتى وإن كنا نَصفهم بالسلبية.

٣- اعتقاد الداعية بقدرة الله على تغييرهم وإصلاحهم، وأن الله يجعله سبباً وطريقاً إليه.

---

(١) ينظر: معالم السنن للخطابي ٢/ ٤٩١.

٤- اعتقاد الداعية قدرة المدعوين على التغير للأفضل، إن ساعدهم وأخذ بأيديهم.

٥- إنه لابد من الاعتراف أن المجتمعات لديها من الوعي الكثير ويحتاجون من يحول هذا الوعي إلى أفكار عملية يتابعها، ويربي المجتمع على القيم الإيجابية الفاضلة بشكل صحيح.

٦- مشاركة المجتمع في تصحيح أخطائه، وإيجاد البدائل الشرعية لهم.

٧- احترام الدعاة لإنسانية الناس في مجتمعاتهم مهما تدنت رتبهم، أو كانت تصرفاتهم.

٨- الاستماع إلى الناس ومشاركتهم فيما يهمهم، فالداعية المصلح: قد نذر نفسه لله ولدعوة الناس، فليستمع إليهم، وذلك من مقتضيات الإيجابية الدعوية، وكثيرٌ من المشكلات تحدث؛ لأن فاعلها أو مرتكبها لم يجد من يستمع إليه أو يوجهه.

٩- النظر في التاريخ والسير وفي سنن الله في الدعوة، وأن المجتمع مهما بلغ من الفساد الديني والأخلاقي فإنه بتوفيق من الله ثم بجهود الدعاة يتحول لمجتمع مسلم بل يكون مركزا إسلاميا عظيماً.. والدعوة في مكة المكرمة أنموذجٌ يبث الأمل فينا.



المبحث السادس
استعجال النتائج واستبطاء الثمرة

العجلة من المشكلات الدعوية المؤثرة على الداعية وعلى استمرارية العمل الدعوي ونجاحه، فهي عائق من عوائق المسار الدعوي، فالعجلة حماسة في غير محلها، وعاطفة من غير رشد، واندفاع بلا حساب للعواقب، وعلاجها يأتي غالباً لا يكون إلا بعد العناء الكبير، واستفراغ الوسع، والجهاد بمعناه الشامل.

قال المناويّ: العجلة: فعل الشَّيء قبل وقته اللّائق به[1]، **وقال الرّاغب: العجلة:** طلب الشّيء وتحرّيه قبل أوانه[2].

ولخطورة هذه المشكلة سنتعرض لها من خلال خمسة مطالب[3]:

المطلب الأول: ذم الاستعجال والحث على التأني في العمل الدعوي.

المطلب الثاني: خطورة الاستعجال في العمل الدعوي.

المطلب الثالث: أسباب الاستعجال في الدعوة.

المطلب الرابع: علاج مشكلة الاستعجال في الدعوة.

المطلب الخامس: الاستعجال في تأهيل الدعاة.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣٧).

(٢) المفردات للراغب (٣٢٣).

(٣) ينظر: كتاب آفات على الطريق- السيد محمد نوح الآفة الثالثة الاستعجال، والاستعجال وأثره على العمل الإسلامي، عامر البو سلامة، منشور على موقع حركة البناء الوطني في الجزائر.



المطلب الأول
ذم الاستعجال والحث على التأني في العمل الدعوي

✧ أولاً: الاستعجال ومتى يذم أو يمدح:

بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على سبيل الذم أن من صفات الإنسان العجلة فقال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:٣٧]، وقال ﷻ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء:١١].

فالعجلة في طبعه وتكوينه يريد ليحقق كل ما يخطر له بمجرد أن يخطر بباله، ويريد أن يستحضر كل ما يوعد به ولو كان في ذلك ضرره وإيذاؤه، إلى أن يتصل بالله فيثبت ويطمئن، ويكل الأمر لله فلا يتعجل قضاءه، والإيمان ثقة وصبر واطمئنان.

والإسلام ينظر إلى الاستعجال نظرة عدالة وإنصاف، فلا يحمده مطلقاً، ولا يذمه مطلقاً، وإنما يحمد بعضه، ويذم البعض الآخر:

فالمحمود منه: ما كان ناشئاً عن تقدير دقيق للآثار والعواقب، وعن إدراك تام للظروف و الملابسات، وعن حسن إعداد وجودة ترتيب.

ولعل هذا النوع من الاستعجال هو المعنى في قوله تعالى حكاية عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [طه: ٨٣، ٨٤]. فإذا كانت الظروف مناسبة والفرصة مواتية والعاقبة محمودة والنفس صافية مشرقة فما الذي يحمل موسى على التواني والتأخير.

ومنه الصلاة في أول وقتها فهي أفضل الأعمال، وكذلك التعجيل بدفن الجنازة وسرعة المبادرة إلى الخيرات والمسارعة فيها.



وأما المذموم منه: ما كان مجرد ثورة نفسية خالية من تقدير العاقبة ومن الإحاطة بالظروف و الملابسات، ومن أخذ الأهبة والاستعداد.

وهذا النوع الأخير هو الذي عناه رسولنا الكريم محمد ﷺ حين قال لخباب بن الأرت رضي الله عنه وقد جاء يشكو ما يلقاه هو وإخوانه من الأذى والاضطهاد، ويطلب منه أن يستنصر ربه، وأن يدعوه قال له: **(والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله و الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)**[١].

✧ ثانياً: الحث على الرفق والتأني:

والرفق والأناة والحلم صفة يحبها الله ورسوله، فلقد قال النبي ﷺ لأشج عبدالقيس **(إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)**[٢].

قال النووي: «الحلم هو العقل، وأما الأناة فهي التثبت وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ»[٣].

وقال ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٤].

وورد عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قوله: «فإن التفهم في الخبر زيادة ورشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيباً، وإن العَجِل مخطئ، أو كاد أن يكون مخطئاً، وإن من لا ينفعه الرفق يضيره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي»[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٢).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه (١٧).
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٨٩.
(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (٢٥٩٤).
(٥) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٣/ ٢٩٠.



ومن الحكم المتداولة: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»[١].

فالأناة عند القائمين على الدعوة تسمح للدعاة بأن يحْكِموا أمورهم، فلا يقدِموا على أي عمل إلا بعد النظر والتأمل ووضوح الغاية الحميدة التي ستجنيها الدعوة، وهذا سيؤدي إلى فوائد كثيرة واتقاء شرور عظيمة وسلامة عن الزلل.

«ومقتضى الحكمة أن يعطى كل شيء حقه، ولا يعجله عن وقته، ولا يؤخره عنه، فالأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ونهايات تصل إليها ولا تتعداها، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر» [٢].

فلابد للداعية من مراعاة عنصر الزمن في الدعوة وثمرته، وكما قيل الزمن جزء من العلاج. فبعض القائمين على شؤون العمل الدعوي بمجرد أن يستشعروا عاطفة حارة من المقبلين على الخير، يبدؤون في إعطائهم مهمات وإلقاء كثير من التبعات عليهم، ظنّاً أن هذه العاطفة تكفي لأن يحملوا التبعات، وأن يقوموا بالمهمات، كلا! فلا بد أن نعطي للزمن حظه، ولا بد أن نعطي للتدرج منزلته وأهميته، وأن نسير بهم شيئاً فشيئاً، ومرتبة فمرتبة، فإن الأمر الذي يأتي سريعاً، يذهب سريعاً، والعاطفة المقبلة على الخير إذا زدناها اشتعالاً ربما تهب عليها ريح لا تلبث أن تطفئها، ولا يعود لها بعد ذلك اشتعال من جديد[٣].

إن تربية الأجيال على الفضائل، وتقويم السلوك الإنساني تحتاج لأناة المربين،

---

(١) ورد في لطائف المعارف لابن رجب ص ١٤٧: (ومن تعجل ما حرم عليه قبل وفاته عوقب بحرمانه في الآخرة ولم أقف على من أورد هذه الحكمة وهي مذكورة في كثير من المؤلفات من غير عزو خصوصا عند مسألة القاتل لا يرث.

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للقحطاني ٢/ ٥٦٨.

(٣) ينظر: الاستيعاب والاقتباس في الدعوة، د. عمر بادحدح، بتصرف، محاضرة، منشورة على موقع إسلام ويب.

وحنكة السائسين وعدم عجلتهم وهذه سياسة لا يُحسنها إلا العظماء الذين سددهم الله.

✧ **ثالثاً: تنبيه العلماء على خطورة استعجال الداعية في الظهور والتصدر:**

قال الإمام مالك: «لا ينبغي للرجل أنْ يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من كان أعلم منه، وما أفتيت حتى سألت ربيعة ويحيى بن سعيد فأمراني بذلك، ولو نهياني لانتهيت»[(١)].

وقال كذلك: «ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للتحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلاً لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك»[(٢)].

قال الشافعي: «إذا تصدر الحدث فاته علم كثير»[(٣)].

ورحم الله أبا حنيفة حيث قال: «دخلت البصرة وظننت أني لا أسأل عن شيء إلاَّ أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي ألاَّ أفارق حماد حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة»[(٤)].



المطلب الثاني
خطورة الاستعجال في العمل الدعوي

كم خرب الاستعجال من خطة! وكم ضيع من فرصة! وكم جرَّ الدعوة إلى

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ـ٢/ ١٥٤.
(٢) الديباج المذَّهب في علماء المذهب لابن فرحون صـ٢١.
(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ـ٢/ ٦٨.
(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣/ ٣٣٣.



مواقف لا تحسد عليها! ولا خططت لها! وكم كلفت مواقف الاستعجال وقراراته، الدعوة الإسلامية من فواتير باهضة الثمن! وكم تسبب الاستعجال في سلوكياتٍ، أعقبها ندم شديد!

فالاستعجال مشكلة بالغة الخطورة، تأتي على محاصيل العمل الدعوي من ألفها إلى يائها، -في بعض الأحيان-، وتحصد كثيراً منها في غالب الأحيان، إنها زفرة المسارعة، من أجل تحصيل المنفعة، فلا الزفرة بقيت، ولا المنفعة حصلت.

في زحمة الصعوبات الأولى التي واجهت أبناء الإسلام، أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم رغم المحنة العظيمة، والعذاب الأليم الذي يصب على الصحابة الكرام، يحذرنا عليه الصلاة والسلام من الاستعجال، ويوصف هذا الداء، لتكون الأمة على درب السلامة، فلا تقع في هذا المرض، جاء في صحيح البخاري، من حديث خباب رضي الله عنه قوله عليه الصلاة والسلام: **(كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق اثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)**[(١)].

(ولكنكم تستعجلون) في قطف الثمرة، ولكنكم تستعجلون في استبطاء النصر، ولكنكم تستعجلون بطلب حرق المراحل، ولكنكم تستعجلون بطلبكم وقوع كبريات الأحداث، بين عشية وضحاها، ولكنكم تستعجلون دون النظر إلى استحقاقات الزمن، والسنن الكونية، ولكنكم تستعجلون لأن المرء بطبعه يريد حاجته بصورة سريعة، وقد تحقق على عجل.

والقاعدة الشرعية تقول: «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، هذه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٢).

القاعدة الذهبية لها تطبيقات كثيرة، وفي مجالات مختلفة، عمادها تحقيق مقاصد الشريعة، وسد الذرائع، وتحقيق فقه النواتج، والبحث في المآلات، والنظر السليم في مفردات السياسة الشرعية.

فالعجلة: آفة تصيب الداعية فتَحرمه الوصول إلى غايته وإصابة هدفه، وتؤدي إلى:

١- تصدر الدعوة نماذج غير مؤهلة قد تنفر من الإسلام والدعاة إليه، بل قد تتأثر الدعوة بالشبهات والشهوات فلا تقوم لها قائمة.

٢- نفور الناس من الدين، فلا بد للدعاة من الرفق والأناة مع المدعوين، فلا يستعجلوا في ضخ المعلومات والأفكار والمواعظ والتوجيهات.

٣- العجلة تؤدي للفتور حيث لا يجد المستعجل النتيجة الفورية فيفتر ويمل.

٤- العجلة قد تؤدي إلى خسارة الدعوة قدرات وجهود وأعمال دعوية مكتسبة.

٥- تعطيل أو تراجع في العمل الدعوي، وزيادة وضع الأحجار والعقبات على الطريق.



المطلب الثالث
أسباب الاستعجال في الدعوة

من أبرز أسباب مشكلة الاستعجال، ما يأتي:

١- العاطفة المجردة، والتهييج النفسي، دون الأخذ بأسباب التغيير.

٢- عدم مراعاة سنن الله الكونية، وذلك أن بعض الدعاة يريد ألا يعظ قوماً



إلا وذرفت من وعظه العيون، ولانت منه القلوب! وانطلقوا يمدحون، وآخر يريد أن الدولة تكون دوماً في شتى الميادين هي للمسلمين، وأنه ينبغي أن تأتي قارعة من السماء فتذهب بكل من خالف شرع الله وعادى أولياءه! ونسي سنة التمحيص، والصراع بين الحق والباطل، الذي منتهاه الجنة والنار، وما ينشأ عن هذا الإمهال من مصالح دنيوية وأخروية.

٣- الوعود التي بقيت حبيسة الذهن، إذ في كثير من الأحيان تحشى القلوب والأذهان بالأماني الحالمة، ولما لم تتحقق، تكون نتوءات الاستعجال، التي تبحث عن اختصار الطريق، للوصول إلى تلك الأهداف الحالمة، فيقع الخطأ.

٤- عدم وجود الخطط الواقعية المزمَّنة، التي تدرس الماضي، وتفقه الواقع، وتستشرف المستقبل، من خلال رؤية سليمة، ونظر سديد، وقيادة فاعلة.

٥- غياب التفاعل والتكامل بين أجيال العمل الدعوي، الذي يجب أن يكون بين حماسة الشباب، وحكمة الشيوخ.

٦- استدراج الأعداء: وهذه لغة، معروفة قديماً وحديثاً، ولا يدرك أبعادها إلا من كانت له دراية بفنون العمل، ودربة على أصول التعاطي مع الأحداث، من خلال الفهم السياسي، والحس الأمني، والمعرفة المبصرة لطرائق التورط، وكيفية اجتنابه.

٧- ضعف فقه الواقع، وسوء تقدير الموقف، وعدم الإلمام بالحدث من كل أطرافه، والنظر إليه من زاوية من الزوايا، دون النظر إليه من زواياه كلها.

٨- نقص التربية السليمة، التي تبنى على الصبر والمصابرة، والمجاهدة والمرابطة، والعمل على النفس الطويل، والعامة يقولون عن مثل هذا الإنسان: «بصلته محروقة».

٩- الانسياق وراء بوارق النصر ومقدماته، دون التأكد من ثبوت المركب الجديد،

فنحرق كل مراكبنا، ونكسر سائر جسورنا.

١٠- الدافع النفسي المتمثل في فطرة الإنسان، وإذا لم يعمل الداعية على ضبط نفسه وإلجامها بلجام العقل والتخفيف من غلوائها فإنها تدفعه لا محالة إلى الاستعجال.

١١- الحماسة أو الحرارة الإيمانية، وذلك أن الإيمان إذا قوى، وتمكن من النفس، ولَّد طاقة ضخمة، تندفع -ما لم يتم السيطرة عليها وتوجيهها- إلى أعمال تؤذى أكثر مما تفيد وتضر أكثر مما تنفع.

١٢- طبيعة العصر، حيث إننا نعيش في عصر السرعة مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال لمواكبة ظروف العصر والتمشي معه.

١٣- واقع الأعداء حيث يحكمون القبضة، ويلاحقون العمل الدعوي في كل مكان، مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال، قبل أن يتفاقم الخطر ويصعب الخلاص.

١٤- الجهل بأساليب الأعداء الظاهرة والخفية وعدم البصيرة بها وبكيفية التعامل معها.

١٥- شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب وفقه تغييرها، حيث إنه ليس كل منكر تجب إزالته أو تغييره على الفور، وإنما إن أدى إلى منكر أكبر منه وجب التوقف بشأنه، مع الكراهة القلبية له ومقاطعته والبحث والأخذ بأنجح الوسائل لإزالته ومع العزم الصادق يكون التغيير حين تتاح فرصة التغيير.

١٦- العجز عن تحمل مشاق الدعوة، حيث إن بعض الدعاة يملك شجاعة وحماساً لعمل وقتي، ولو أدى به إلى الموت، لكنه لا يملك القدرة على تحمل مشاقّ الدعوة لزمن طويل، مع أن الرجولة الحقة هي التي يكون معها صبر، وجلد، وتحمل، لذلك تراه مستعجلاً ليجنب نفسه المشاق والمتاعب.

١٧- الظفر ببعض المقدمات، أو ببعض الوسائل مع عدم تقدير العواقب من زيادة تسلط أعداء الله ومن حدوث فتنة وردة فعل، لدى المدعوين.

١٨- عدم وجود برنامج أو منهاج يمتص الطاقات، ويخفف من حدتها وغلوائها، ذلك أن نفس الإنسان التي بين جنبيه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل.

١٩- العمل الدعوي بعيداً عن ذوى الخبرة و التجربة، فتعلم فقه الدعوة لا يكون من الكتب وحدها، بل يتم أيضاً بواسطة التجربة، و الممارسة، والداعية الواعي هو الذي ينتفع بخيرات وتجارب من سبقوه على الطريق.

٢٠- الغفلة عن سنن الله في الكون وفي النفس وفي التشريع، المتمثلة في التدرج والبدء بإصلاح الداخل.

٢١- نسيان الغاية التي يسعى إليها المسلم، المسلم يسعى أساساً لتحقيق مرضاة الله، وهذا إنما يتحقق بالتزام منهجه، وعدم التفريط فيه، والثبات عليه قدر الطاقة مع الإخلاص، أما النتائج فلا يسأل عنها، لأنها بيد الله يأتي بها حيث يشاء وكما يشاء.

٢٢- الغفلة عن سنة الله مع العصاة و المكذبين، فمن سنة الله مع العصاة والمكذبين الإمهال وعدم الاستعجال، وإذا غفل الداعية عن هذا استعجل قائلاً: نناجزهم قبل أن يستفحل شأنهم، وقبل أن يمسكوا بزمام الأمور، فتستحيل إزاحتهم.

٢٣- صحبة ذوى العجلة وعدم التأني لأن الطبع يعدى، و المرء على دين خليله، خصوصاً إذا كان هذا الصاحب قوى الشخصية.



المطلب الرابع
علاج مشكلة الاستعجال في الدعوة

أولاً: الحذر من سيطرة العاطفة المطلقة، والهيجان الفكري، على خططنا وبرامجنا وجداول أعمالنا، فهذا أكبر المصائب ورأسها، فمن تسيطر عليه العاطفة، ويعمل بردود الأفعال، ويستجيب للاستفزازات، لا يصلح أن يكون قائداً، ولو كان صواماً قواماً، من أهل الفضل والخير، فهذا عيب، يغطي على كل إيجابية.

فلا بد من الموازنة الدقيقة، بين العقل والعاطفة، فلا إفراط، ولا تفريط، وخير الأمور أواسطها.

ثانياً: الحذر من الاستعجال في ضم الجدد للعمل الدعوي، من غير تمحيص ودقة اختيار، بقصد التجميع، وتكثير العدد، والمباهاة في الكثرة، فهذا سيجر الويلات على العمل الدعوي، فالعبرة بالكيف، لا بالكم، وتبقى الدعوة العامة، مفتاح خير لكل الناس، مع الصبر وعدم التعجل في قطف الثمرة.

ثالثاً: لا يتقدم لقيادة الدعوة إلا من اشتدَّ عوده، وقوي ساعد العمل لديه -ولا نعني هنا تقدم العمر، ولكم من اشتدت قوته خبر ةعلماً- فإن من حملته ما لا يطيق، قصمت ظهره، فلا تستعجل عليه، واتركه ينضج، ولم العجلة؟ وفي الأمر فسحة.

رابعاً: نحن بحاجة إلى القائد الحكيم، وهي صفة من أهم صفات القائد، وهذه الحكمة يحتاجها الفرد والمجتمع، ومن أمثلة تلك الحكمة اعتماد الخطط «الاستراتيجية» ذات النفس الطويل.

خامساً: إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد



أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فالدعوة لا تتحمل تبعاته بحال، وخير له أن ينصرف عن الدعوة، ومن صبر معنا حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله، ولن يفوته أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.

سادساً: التربية على الوسطية الإسلامية، فذم الاستعجال لا يعني الفتور والضعف، وبطء الأداء، وإطفاء جذوة الحماسة، بل بالعكس من هذا تماماً، فطوبى لمن جمع بين أناة الخطط والبرامج، وبين العمل المتواصل الدؤوب، نعم نحن في زمن السرعة، وقطار التغيير لا ينتظر الكسالى والراقدين، ولكن الحذر من العجلة، التي تبدد الطاقات، وتهدر الأموال، وتقوض الأبنية، وتفوت فرص الخير، وبهذا وذاك تكون المعادلة صحيحة وحلها يسيرٌ، ونمضي على بركة الله وعونه.

سابعاً: الرؤى والأحلام، والفراسة والتحديث، وانتظار الكرامات -رغم إيماننا بها، على مذهب أهل السُّنة والجماعة- لا تبنى عليها خطط وبرامج، ولا يربط مصير أي حدث بها.

فالوضع الطبيعي الذي تعبدنا الله به، قائم على جهد البشر -الذين لا يوحى إليهم، ولا يعلمون الغيب- مع إيماننا المطلق، بأن الأمور بيد الله تعالى، الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، وأن التوفيق الإلهي رأسمال كل خير ونعمة.

ثامناً: إمعان النظر في الآثار والعواقب المترتبة على الاستعجال، فإن ذلك مما يهدئ النفس ويحمل على التريث و التأني.

تاسعاً: دوام النظر في كتاب الله عز وجل، فإن ذلك يبصرنا بسنن الله في الكون وفي النفس، وفي التشريع ومع العصاة والمكذبين والبصيرة بهذه السنن تهدئ النفس

وتساعد على التأني والتروي، قال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

عاشراً: دوام المطالعة في السنة والسيرة النبوية، فإن ذلك مما يوقفنا على مقدار ما لاقى النبي ﷺ من الشدائد والمحن، وكيف أنه تحمل، وصبر ولم يستعجل، حتى كانت العاقبة له، وللمنهج الذي جاء به.

الحادي عشر: مطالعة كتب التراجم والتاريخ، فإن ذلك مما يعرفنا بمنهج أصحاب الدعوات والسلف في مجابهة الباطل، وكيف أنهم تأنوا وتريثوا حتى مكن لهم.

الثاني عشر: العمل مع ذوى الخبرة والتجربة ممن سبقوا علي الطريق فإن ذلك من شأنه أن يجعل خطوات العاملين دقيقة محسوبة وأن يوفر عليهم الكثير من الجهد والوقت وباقي التكاليف.

الثالث عشر: العمل من خلال منهاج وبرنامج واضح محدد يستوعب الحياة كلها ويأخذ بيد العامل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة فيشبع تطلعاته ويجيب على تساؤلاته ويرفع من مستواه.

الرابع عشر: الفهم الدقيق لأساليب ومخططات الأعداء فإن ذلك من شأنه أن يحمل العامل على النظر في عواقب الأمور وعلى التريث والتأني.

الخامس عشر: عدم الرهبة أو الخوف من تسلط الأعداء وإحكامهم القبضة على العالم الإسلامي لأن ذلك يمكن أن يزول في لحظات وما هو على الله بعزيز بشرط بأن نقيم الإسلام في أنفسنا وفيمن حولنا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

السادس عشر: مجاهدة النفس وتدريبها على ضرورة التريث والتأني والتروي فإنما الحلم بالتحلم ومن يتصبر يصبره الله والرجولة لا تكون إلا بذلك.

السابع عشر: الانتباه إلى الغاية أو الهدف الذي من أجله يحيا المسلم فإن ذلك يحول دون الاستعجال ويحمل على إتقان المقدمات والوقوف عندها وعدم تجاوزها إلى النتائج.

الثامن عشر: الانتباه إلى موقف المسلم من المنكرات وأسلوب تغييرها فإن ذلك يبصره بمعالم الطريق ويحول بينه وبين الاستعجال.



المطلب الخامس
الاستعجال في تأهيل الدعاة

هذه من القضايا المهمة ولذا أفردناها، لا سيما مع تسارع المؤسسات على برامج تفريخ طلاب العلم عبر دورات قصيرة، وكذا الدعاة، فمن أخذ دورة لأسبوع ونحوه يعتبر داعية وتبنى مشاريع وبرامج على هذا المبدأ.

ومن المعلوم أن بناء الرجال أصعب من بناء المصانع والعمارات ولذا الحاجة ماسة لعدم الاستعجال والعمق التربوي والتدريب الذي يؤهل الداعية.

وسنوضحه وفق النقاط التالية:

◈ أولاً: صور الاستعجال في تأهيل الدعاة:

والاستعجال الذي لا بد وأن يُحذر منه في تأهيل الدعاة يظهر في أمور:

الأول: الاستعجال في تأهيل الدعاة بدون مرحلية ومراعاة لأحوالهم.

الثاني: الاستعجال في تكليف الدعاة بالقيام بالدعوة مباشرة قبل تأهيلهم التأهيل الكافي وملائمة الظروف المحيطة.

الثالث: الاستعجال في ثمرة تأهيل الدعاة واستجابة الناس.

◈ ثانياً: مخاطر الاستعجال في تأهيل الدعاة:

وهذه العجلة قد تؤدي إلى:

١- إهمال الجهة القائمة على تأهيل الدعاة سبب تأهيل الدعاة مما قد يجعل الداعية يقصر في التأهيل، بل قد يتوقف برنامج التأهيل والأنشطة العملية المصاحبة له بسبب تلك العجلة في الخروج للميدان الدعوي.

٢- تصدر الدعوة نماذج غير مؤهلة قد تنفر من الإسلام، بل قد تتأثر هي بالشبهات والشهوات فلا تقوم لها قائمة.

◈ ثالثاً: أهمية عدم الاستعجال في تأهيل الدعاة:

فلا بد للقائمين على تأهيل الدعاة من الرفق والأناة مع الدعاة، فلا يستعجلوا في ضخ المعلومات والأفكار، ومن ثم يستعجلوا في الإلقاء بهم في موج من الأفكار والديانات والقناعات المخالفة للمنهج الإسلامي، ولكن لا بد من الصبر حتى تنمو الفكرة، فتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين وقت القطاف ولا يجوز حرق المراحل ودمجها قبل التأكد من استيعاب كل مرحلة قبل الدخول للمرحة التي تليها.

فالأناة عند القائمين على تأهيل الدعاة تسمح لهم بأن يحْكِموا أمورهم، فلا يُقدِموا على أي عمل إلا بعد النظر والتأمل ووضوح الغاية الحميدة التي سيجنيها، وهذا سيؤدي إلى فوائد كثيرة واتقاء شرور عظيمة وسلامة عن الزلل.

«ومقتضى الحكمة أن يعطى كل شيء حقه، ولا يعجله عن وقته، ولا يؤخره عنه، فالأشياء لها مراتب وحقوق تقتضيها، ونهايات تصل إليها ولا تتعداه، ولها أوقات لا تتقدم عنها ولا تتأخر»[١].

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للقحطاني ٢/ ٢٢٤.

فلابد للقائمين على أمر تأهيل الدعاة من مراعاة عنصر الزمن في التأهيل وثمرته، وكما قيل الزمن جزء من العلاج. فبعض القائمين على شؤون العمل الدعوي بمجرد أن يستشعروا عاطفة حارة من المقبلين على الخير، يبدؤون في إعطائهم مهمات وإلقاء كثير من التبعات عليهم، ظنّاً أن هذه العاطفة تكفي لأن يحملوا التبعات، وأن يقوموا بالمهمات، كلا! فلا بد أن نعطي للزمن حظه، ولا بد أن نعطي للتدرج منزلته وأهميته، وأن نسير شيئاً فشيئاً، ومرتبة فمرتبة، فإن الأمر الذي يأتي سريعاً، يذهب سريعاً، والعاطفة المقبلة على الخير إذا زدناها اشتعالاً ربما تهب عليها ريح لا تلبث أن تطفئها، ولا يعود لها بعد ذلك اشتعال من جديد[1].



(١) ينظر: الاستيعاب والاقتباس في الدعوة، د. عمر بادحدح، بتصرف. محاضرة صوتية مفرغة، ومنشورة على موقع إسلام ويب.





الفصل الثاني

مشكلات وعوائق تربوية

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ومن خلال هذه الآيات وغيرها، يؤكد الله تعالى على أن كثيراً من العوائق والمشكلات التي تواجه الإنسان عامة والداعية خاصة هي بسبب مشكلات داخلية تربوية، ولذا كان من المهم أن نشير إلى بعض العوائق التربوية التي تؤثر في مسيرة العمل الدعوي، وذلك في خمسة مباحث:

المبحث الأول: الرغبة في الصدارة والإمارة.

المبحث الثاني: الفصل بين القول والعمل.

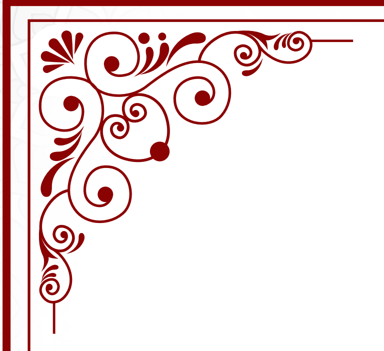
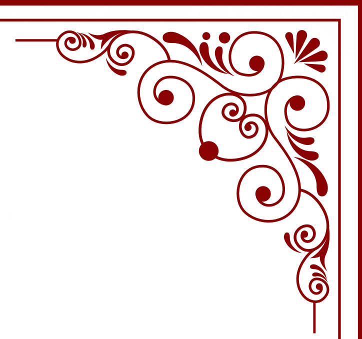
المبحث الثالث: التساهل في التقدم للفتوى من غير تهيب لها.

المبحث الرابع: العجب والغرور.

المبحث الخامس: الترف.





المبحث الأول
الرغبة في الصدارة والإمارة

لا غرابة في حرص أهل الدنيا على الإمارة والولايات؛ فذلك أمر تعوَّده الناس منهم، حتى أفضى الأمر إلى نزاعات وخلافات ومفاسد وفتن كثيرة، ولكن الغريب أن يتسلل هذا الداء إلى داخل مجتمع الدعاة إلى الله، ويسيطر على بعض النفوس فيمرضها، شعرت أم لم تشعر، حتى يصير همُّ الواحد منهم أن يسود على بضعة أفراد، دون التفكير بتوابع ذلك وخطورته[1].

ويمكن بيان هذه المشكلة الدعوية من خلال ستة مطالب[2]:

---

(١) مجلة البيان، عدد ٩٠، ص ١١١.

(٢) ينظر مقال بعنوان: معوقات الدعوة المعاصرة، د. ناصر بن سعيد السيف، منشور على موقع الألوكة، ومقال: الرغبة في الصدارة رؤية دعوية حول حقيقتها ومظاهرها وآثارها د. عبد الحكيم بن محمد بلال، منشور على موقع صيد الفوائد، رسالة بعنوان: شرح حديث: **(ما ذئبان جائعان)** لابن رجب.



المطلب الأول
الرغبة في الصدارة والإمارة في ضوء النصوص الشرعية

إن الحرص على الإمارة يفسد دين المرء الحريص عليها، ويضيع نصيبه في الآخرة، ويجعله شخصاً غير صالح لهذا المنصب، وتوضيح ذلك كما يلي:

- تحذير النبي ﷺ من عواقب التطلع إلى الإمارة؛ قال ﷺ: **(ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه)**[1]، فبين أن الفساد الحاصل للعبد من جراء حرصه على المال والشرف أشد من الفساد الحاصل للغنم التي غاب عنها رعاتها ليلاً، وأُرسل فيها ذئبان جائعان يفترسان ويأكلان، إذ لا ينجو من الغنم إلا القليل؛ فإن الحريص على المال والشرف لا يكاد يسلم له دينه.

- بين الله تعالى خطر طلب الجاه بالولاية والسلطان، وأنه يمنع خير الآخرة وشرفها؛ فإن الله جعل الآخرة لعباده المتواضعين، فقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣] فنفى عنهم مجرد الإرادة، فضلاً عن العمل والسعي والحرص لأجلها، فإن إرادتهم مصروفة إلى الله ﷻ، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع مع الله تعالى والانقياد للحق والعمل الصالح، وهم الذين لهم الفلاح والفوز، ودلت الآية على أن الذين يريدون العلو في الأرض والفساد ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب[2].

- طلب الجاه بالأمور الدينية، أفحش وأخطر؛ لأنه طلب للدنيا بالدين، وتوصل

(١) مسند أحمد ٢٥/ ٨٥ (١٥٧٩٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات، جامع الترمذي كتاب الزهد، باب (٤٣) برقم (٢٣٧٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٧٥.

إلى أغراض دنيوية بوسائل جعلها الله تعالى طرقاً للقرب منه ورفعة الدرجات، وهذا هو المقصود بحديثنا هنا.

◆ وردت نصوص تنهى عن سؤال الإمارة وتمنيها، وتحذِّر من ذلك، وتبين عاقبته، وتنهى عن تولية من سألها أو حرص عليها، وهي وإن كان يتبادر إلى الذهن أنها واردة في الإمارة الدنيوية -إمارة السلطان والوالي- إلا أن دلالتها أشمل من ذلك وأوسع، فهي تتناول ما نحن بصدد الحديث عنه، ومن تلك الأحاديث، قول النبي: **(يا عبدالرحمن بن سمرة: لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها)**[1].

وقوله ﷺ: **(إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة)**[2].

وقال ﷺ للرجلين اللذين سألاه الإمارة: **(إنا لا نولّي هذا مَنْ سأله، ولا من حرص عليه)**[3].

والسبب في عدم توليته ﷺ الإمارة لمن سألها أنه غير صالحٍ ولا مؤهلٍ لهذا الأمر؛ لأن سؤاله لها وحرصه عليها ينبئ عن محذورين عظيمين:

الأول: الحرص على الدنيا وإرادة العلو، وقد تبيّن ما فيه.

والثاني: أن في سؤاله نوع اتكال على نفسه، وعُجباً بقدراتها وغروراً بإمكاناتها، وانقطاعاً عن الاستعانة بالله ﷻ التي لا غنى لعبد عنها طرفة عين، ولا توفيق له إلا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ (٦٦٢٢)، ومسلم، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير. وفي الإمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (١٦٥٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٧١٤٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٧١٤٩).



بمعونته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[١].

فما أشبه حرص الداعية على رئاسة مركز إسلامي، أو إدارة مكتب دعوي، أو ترؤس لجنة، أو هيئة، أو مجموعة... ما أشبه كل ذلك بما نهى عنه ﷺ.

وما أحسن وصف شدَّاد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لها بالشهوة الخفية حين قال محذراً: «يا بقايا العرب... يا بقايا العرب... إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية»، قيل لأبي داود السجستاني: ما الشهوة الخفية؟ قال: «حب الرئاسة»[٢].

المطلب الثاني

مظاهر الرغبة في الصدارة والإمارة[٣]

توجد مظاهر كثيرة للرغبة في الصدارة والإمارة ومنها:

١ – العجب بالنفس، وكثرة مدحها، والحرص على وصفها بالألقاب المفخمة كالشيخ، والأستاذ، والداعية، وطالب العلم، ونحوها، وإظهار محاسنها من علم وخُلق وغيره.

٢ – بيان عيوب الآخرين وخاصة الأقران، والغيرة منهم عند مدحهم ومحاولة التقليل من شأنهم.

٣ – الشكوى من عدم نيله لمنصب ما، وكثرة سؤاله عن الأسس والمعايير لتقلّد بعض المناصب.

(١) انظر: شرح جوامع الأخبار، للسعدي، ص ١٠٥. ضمن المجموعة الكاملة.

(٢) شرح حديث أبي ذر، ص ٢٥، وجامع الرسائل ١/ ٢٣٣، كلاهما لابن تيمية.

(٣) انظر: شرح حديث **(ما ذئبان جائعان)** لابن رجب، وانظر مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية للبلالي، ص ٨٥، ١٤٣.

٤- الحرص على تقلُّد الأمور التي فيها تصدُّر وبروز؛ كالإمامة والخطابة والتدريس والتأليف والقضاء، وهي من فروض الكفاية، لا بد لها ممن يقوم بها، مع مراعاة أحوال القلب، والتجرد من حظوظ النفس؛ كما هو حال السلف.

٥- عدم المشاركة بجد عندما يكون مرؤوساً، والتهرب من التكاليف التي لا يبرز فيها.

٦- كثرة النقد بسبب وبغير سبب، ومحاولة التقليل من أهمية المبادرات والمشاريع الصادرة من غيره والعمل على إخفاقها.

٧- الإصرار على رأيه، وعدم التنازل عنه، وإن ظهرت له أدلة بطلانه، أو ضعفه.

٨- السعي للتقرب من السلاطين والولاة ومن بيده القرار في تقليد المناصب، وكثرة الدخول عليهم، وهذا باب واسع يدخل منه أهل الدنيا لنيل الشرف والجاه، وهو مظنة قوية للفتنة في الدين.

٩- الجرأة على الفتوى، والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها، وقد كان السلف يتدافعونها كثيراً؛ ومن ذلك ما قاله عبد الرحمن بن أبي ليلى: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدِّث إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفتٍ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا»(١).



(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ٢/ ١١٢٠.

المطلب الثالث

آثار ومفاسد الرغبة في الصدارة والإمارة

يمكن بيان مفاسد الرغبة في الصدارة والإمارة في النقاط التالية:

أولاً: مفاسد التطلع إليها والرغبة فيها:

١- فساد النية، وضياع الإخلاص، أو ضعفه، ودنو الهمة، والغفلة عن الله تعالى، وعن الاستعانة به[١].

٢- انصراف الهمِّ عن المهمة الأساس، والغاية الكبرى من حياة العبد، وهو تحقيق العبودية لله ﷻ، والاشتغال عن النافع الذي أمر النبي ﷺ، وصرف الوقت والجهد والفكر فيما هو غني عن الاشتغال به؛ من مراعاة الخلق، ومراءاتهم، والحرص على مدحهم، والفرار من مذمتهم، وهذه بذور النفاق، وأصل الفساد.

٣- المداهنة في دين الله تبارك وتعالى؛ بالسكوت عما يجب قوله والقيام به من الحق، وربما بقول الباطل من تحليل حرام، أو تحريم حلال، أو قول على الله بلا علم، إرضاءً لمن فوقه أو من تحته.

٤- اتباع الهوى، وارتكاب المحارم؛ من الحسد والظلم والبغي والعدوان ونحوه مما يوقع فيه هذا الحرص -ويستلزمه أحياناً- قال الفضيل بن عياض: «ما من أحد أحب الرئاسة إلا حسد وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكر أحد بخير»[٢].

(١) خواطر في الدعوة، العبدة ٢/ ٢٣.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٧١.

ثانياً: مفاسد الحصول عليها للراغب فيها المتشوِّف لها[(١)]:

١- الحرمان من توفيق الله وعونه وتسديده.

٢- تعريض النفس للفتنة في الدين، والتي يترتب عليها غضب الله تعالى إذ ربما يَنْسى مراقبة الله، وتبعات الأمر، ويغفل عن الحساب، فقد يظلم ويبغي؛ ويُشعِرُ بذلك كله وصف النبي ﷺ بأنها: «أمانة وخزيٍ وندامة».

٣- تضاعف الأوزار وكثرة الأثقال؛ حيث قد يفتن؛ فيكون سبباً للصد عن سبيل الله -تعالى- وأشد ما يكون ذلك حين يكون منتسباً لأهل العلم والصلاح، قال ﷻ: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

٤- توقع سوء العاقبة في الدنيا، وحصول بلاء لا يؤجر عليه، قال الذهبي: «فكم من رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية»[(٢)].

ثالثاً: آثارها على صعيد الجماعة والمجتمع:

الفرد والجماعة كلٌّ منهما مؤثرٌ في الآخر متأثرٌ به، فإذا ما وقع الأفراد في مزلق كهذا، فإن الداء عن الجماعة ليس ببعيد؛ إذ سرعان ما تفسد الأخوة، وتَحل الخلافات، ويسهل اختراق الصف الإسلامي، وتحصل الشماتة به وبأهله.

وما أبعد هؤلاء عن تنزّل النصر، وحصول التمكين، مع هذا الاعوجاج والانحراف. بئست الدعوة حينما تكون مغنماً وجاهاً، ينتفع فيها المرء ويتبختر، وبئس الداعية حينما يسعى لاهثاً وراء زخارف الدنيا ومتاعها الفاني؛ فإن حب الظهـــور والبروز

---

(١) انظر: آفات على الطريق، السيد محمد نوح ٢/ ٦٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٩١، ١٩٢.



بداية الانحـراف والسقوط والإخفاق.

وإذا كان الله ﷻ يعطي الكافر والمؤمن من الدنيا لهوانها عنده، ولكنه سبحانه أغير من أن يتم أمره بالتمكين لهذا الدين في الأرض على يد أنـاس عـنـدهـم شـوب في الإخلاص، ويحبون الرئاسة والاستعلاء في الأرض؛ فكيف إذا كانوا يتخذون الدين مطيـة للدنيا، يبيعون دينهم بعرض قليل؟![٣].



المطلب الرابع

أسباب الرغبة في الصدارة والإمارة

يُبتلى بهذه الشهوة الخفية الناس عموما، وقد تصيب بعض العلماء والعبَّاد والدعاة ونحوهم؛ ممن منعوا أنفسهم من المعاصي والشهوات، حتى لم يعد لهم فيها مطمع، ولكن نفوس بعضهم تبحث عن بديلٍ ومكافأةٍ لشدة المجاهدة، فتجده في التظاهر بالصلاح والعلم والدعوة ولذة القبول عند الخلق، وتوقيرهم له واحترامهم وطاعتهم، فيهون عليها ترك المعاصي؛ لأنها وجدت لذة أعظم منها، وهذه مكيدة عظيمة؛ فقد يظن العبد نفسه مخلصاً -وهو غير ذلك-.

وأسباب الرغبة في الصدارة والإمارة كثيرة، منها:

١- ضعف الإيمان والرغبة فيما عند الله تعالى، الذي بسببه يركن هؤلاء إلى الدنيا، ويؤثرونها على الآخرة، كما حذر الله نبيه ﷺ وأتباعه من الركون إلى الدنيا والاغترار بحالها وحال أهلها فيضعف الإيمان والرغبة فيما عند الله ويؤثرون الدنيا على الآخرة.

---

(٣) نظر: خواطر في الدعوة، العبدة ٢/ ٢٣.

٢- فساد النيّة، واتخاذ سبيل العلم والدعوة سُلماً لنيل الأغراض الشخصية.

٣- هناك أخطاء تربوية تسهم في إشعال فتيل حب الزعامة، منها:

- الإكثار من مدح الداعية والثناء عليه.
- عدم الكشف عن الطاقات الكامنة في الداعية لتوظيفها فيما يناسبها، مما يجعله يسعى لتوظيفها في هلاكه، فتحتاج إلى تهذيب وترشيد ومتابعة؛ لئلا تجمح بصاحبها.

٤- التوهم بخدمة الدعوة من خلال المنصب، والظن -أحياناً- بأن الإصلاح لا يكون إلا من مصدر القوة، وسبب هذا: عدم وضوح المنهج النبوي في الدعوة.

٥- طبيعة الداعية نفسه، فقد يكون فيها من الثغرات ما يسبب مثل هذا، كالغيرة من أقرانه الذين نالوا ما يتمناه هو، أو غروره بسبب تفوقه على غيره، أو بروزه في الدعوة، أو توليه بعض المسؤوليات.

٦- الظن بأن المنصب تشريف، والغفلة عن كونه تكليفاً ثقيلاً، ومسؤولية ضخمة، وعبئاً ثقيلاً، وهذا يتطلب من صاحبه التضحية بوقته وماله ونفسه وراحته لمصلحة الآخرين، وأن التقصير فيه خيانة للأمانة وتضييع للواجب[١].



(١) مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية، عبدالحميد البلالي ص ٨٥-١٤٣.



المطلب الخامس
علاج الرغبة في الصدارة والإمارة

علاج الرغبة في التطلع للصدارة وللإمارة بعد تدبر الأسباب يظهر في عدد من الخطوات، من أهمها[١]:

١- تكثيف التربية الإيمانية؛ القائمة على الإخلاص والتجرد لله تعالى، والعمل للآخرة، والزهد في الدنيا.

٢- التربية على الطاعة وهضم النفس منذ الصغر، والرضا بالموقع الذي يعمل فيه.

٣- التزام الضوابط الشرعية في المدح، وتجنب مدح أحد الأقران أمام قرينه مطلقاً.

٤- توضيح الأسس الشرعية لاختيار المسؤول في العمل الدعوي، وأنه لا يجوز طلب المسؤولية ولا الحرص عليها، وأن من طلبها لا يُوَلَّاها، وإن وُلِّيها لم يُعَن عليها.

٥- المصارحة والمكاشفة لمن تبدو عليه علامات الحرص، مع إحسان الظن به، فقد يكون متميزاً أو لديه مهارات فطرية، ومن ثَمّ النصيحة الفردية[٢].

٦- تبيان الآثار المفسدة لنفس العالم والداعية من جرّاء حرصه عليها[٣].

٧- توضيح تبعاتها في الدنيا والآخرة. ومما ورد في ذلك: قوله: **(ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة)**[٤]، وقوله: **(ما من أمير عشيرة إلا يؤتى به**

---

(١) انظر آفات على الطريق،١/ ٧٢، ومشكلات وحلول، ص ٨٦، ١٤٤.

(٢) مشكلات وحلول في حقل الدعوة الإسلامية، عبدالحميد البلالي، ص ٨٥-١٤٣.

(٣) انظر كلاماً نفيساً حول هذا للآجري في: أخلاق العلماء، ص ١٠٠، ١٢١، ١٢٢.

(٤) صحيح البخاري كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح (٧١٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار. وفي الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (١٤٢).

يوم القيامة مغلولاً، لا يفكه إلا العدل، أو يوبقه الجور)(١).

٨- الاعتبار بحال السلف الصالح في تواضعهم لله تعالى، وكراهيتهم الشهرة والتصدُّر، وكل ما يؤدي إليها، ومحاولة عزل أنفسهم من بعض المواقع، فتكفَّل الله لهم بخير الدارين، فعوَّضهم الله بشرف التقوى، وهيبة الخلق.

٩- الانشغال بما يجب عليه من الدعوة والعبادة لله والسعي للإصلاح، وترك ما لا يجب عليه مما لا يملكه، أو لم يوكل إليه، وسؤال الله العافية، والدعاء لمن تكلف بمثل تلك الأعمال بأن يوفقهم الله ويسددهم ويعينهم.



المطلب السادس

التوازن بين كراهية الصدارة والشهرة، وبين وجوب قيادة الناس

لا ينبغي أن يفهم من هذا الموضوع إرادة قتل الطموح، وتفضيل دنو الهمة والقعود والخمول والعجز والكسل والتهرب من المسؤولية، وترك العمل، والتخاذل عن الواجبات، وفروض الكفايات، خاصة إذا تعينت على الأكفاء، وترك اغتنام الفرص النافعة في الدعوة إلى الله عز وجل.

وقد جعل ابن القيم الفرق بين الأمرين كالفرق بين تعظيم أمر الله وتعظيم النفس، فالناصح لله المعظم لله يحب نصرة دينه، فلا يضره تمنيه أن يكون ذلك بسببه وأن يكون قدوة في الخير، أما طالب الرياسة فهو ساعٍ في حظوظ دنياه، ولذا ترتب على قصده مفاسد لا حصر لها(٢).

---

(١) مسند أحمد ١٥/ ٣٥١ (٩٥٧٣) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده قوي.

(٢) الروح، ص ٥٦٠ - ٥٦٢.



والمقصود أن الداعية المخلص يكره التصدر والإمارة والشهرة بطبعه؛ لإخلاصه وبعده عن الرياء، ولكنه في نفس الوقت هو صاحب المبادرة الخيرة، وهو فارس الميدان إذا تعين عليه التصدر؛ وقد حكى الله من دعاء المؤمنين قولهم: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي: أئمة هدى يقتدى بأفعالهم، وهذا لشدة محبتهم لله، وتعظيمهم لأمره، ونصحهم له، ليكون الدين كله لله، وليكون العباد ممتثلين لأمره.

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قاصاً كلام يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]، وليس ذلك حرصاً منه على الولاية، وإنما هو رغبة في النفع العام، وقد عرف من نفسه الكفاية والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه، فقصده إصلاح أموال الناس، وهو جزء من رسالة الداعية إلى الله، الذي يكون همه الأول فعل الخير طلباً لمرضاة الله -تعالى-، وليس قصده إرواء غليله، وإرضاء شهوته في الزعامة؛ فالضابط فيها هي النية والموازنة بين المصالح والمفاسد العامة.

فبالجملة: هاتان الآيتان توضحان أن المسلم هو الرائد والدليل، بل قد ينبغي له طلب هذه الوظيفة الشريفة، بل قد تتعين عليه للمصلحة، والأدلة والأقوال المحذرة لا تنطبق على داعية تصدَّر لإرجاع قومه إلى الحق، حتى لو اشتهر وعرف فلا بأس[١].

ومما يوضح ذلك الفارق أن الداعية الصادق يفرح إذا تولى غيره تلك المهمة والرئاسة -إذا كان أهلاً لها- بل ويبادر لنصحه وإعانته والدعاء له بالسداد والتوفيق، وينصح إخوانه بالوقوف مع من تولى عملاً، ويسد عيبه وخلله، ويناصحه ويعذر له إذا أسيء فهمه.

ويجب التنبيه إلى أن هذا الأمر مزلق؛ لالتباس النية فيه كثيراً، وصعوبة تمحيص

(١) انظر: التنازع والتوازن في حياة المسلم، محمد بن حسن بن عقيل بن موسى، ص٥٥، ٦١.

القصد، وذلك علمه إلى الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

مع التنبيه على أهمية الكشف عن القدرات، فكون بعض الدعاة لا يصلح للإمارة لا يعني إخفاقه وضعفه في كل شيء، بل إن غاية الأمر أنه لم يؤت قدرة في هذا الجانب، وقد يكون لديه من القدرات والإمكانات في العلم والعمل ما يفوق ما عند غيره ممن أُهل للإمارة مثلاً، وهذه سنة الله -تعالى- في توزيع القدرات، ليحصل التكامل والتوازن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥] فعلى العبد أن يفتش في نفسه عما هو أهل له، ليقوم بحق الله تعالى فيه.

وهكذا كانت نصيحة النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه حين قال له: **(يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنّ على اثنين، ولا تولّينّ مال يتيم)**[(١)] ولا يقدح هذا في شيء من منزلة أبي ذر رضي الله عنه وجلالته وقدره.



(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٦).



المبحث الثاني
الفصل بين القول والعمل

من أهم الصفات التي يجب على الداعية أن يتحلى بها ليسلم من الإثم في الآخرة ولتستقيم له دعوته في الدنيا وتؤتي ثمارها: موافقة قوله عمله.

بل وينبغي أن يكون أسرع مَن يطبق ما يدعو إليه من خلال دعوته وتعليمه للناس، على حد قول بعض السلف: «إذا أردت أن يُقْبَل منك الأمر والنهي: فإذا أمرت بشيء فكن أول الفاعلين له، المؤتمرين به، وإذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه»[1].

وفي هذا المبحث نبين خطورة هذه المشكلة والتساهل فيها، في ثلاثة مطالب[2]:

---

(١) ينظر: مدارج السالكين ١/ ٤٤٥.

(٢) استفدت مادة البحث من: كتاب العمل بالعلم بين الواقع والواجب للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، ومقالة: موافقة قول الخطيب عمله - د. مصطفى عطية جمعة مجلة البيان عدد (٢٧٨).

كما أن العلماء عُنوا بهذا عناية فائقة بهذا الأمر سواء بإفراد مصنَّف مستقل كالخطيب البغدادي في كتابه (اقتضاء العلم العمل). أو بتضمين الكتاب، باباً، كما هو الحال عند ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) حيث عقد: باب جامع القول في العمل بالعلم. كما بث ذلك ابن رجب في كتابه: فضل علم السلف على علم الخلف.

وللاستزادة ينظر: كتب أدب الطلب والتعلم كلها، كأخلاق حملة القرآن وكتاب أخلاق العلماء كلاهما للآجري، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي، والجامع للخطيب البغدادي، وحلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد.





المطلب الأول
الأمر بموافقة القول العمل وذم مخالفة ذلك

تظاهرت نصوص الكتاب والسُّنة على ذم مخالفة قول الإنسان عملَه؛ لأنه نوع من الكذب، ويدل على ضعف الإيمان، وهو طريق إلى النفاق، وجماع ذلك ثلاثة أمور:

أولاً: وردت نصوص تثبت أن الأنبياء، عليهم السلام - وهم رؤوس المصلحين وأئمة الدعاة والخطباء - **توافق أقوالُهم أفعالهم**؛ حتى إن المكذبين بهم من أقوامهم لم يرموهم بمخالفة أفعالهم أقوالَهم مع حاجتهم لمثل هذه التهمة في صرف الناس عن الدعوة، لكنهم لم يفعلوا ذلك؛ لعلمهم أن الناس لا يصدقونهم؛ لأنه من الكذب الظاهر.

ومن الأنبياء من صرح بذلك كما فعل شعيب عليه السلام حين وعظ قومه، فبين لهم أنه أول من يمتثل ما يدعوهم إليه حين حكى الله تعالى عنه قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨]. أي: «يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعلُ خلافه، بل لا أفعل إلا ما آمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه»[١].

ثانياً: وردت نصوص تفيد أن الله تعالى قد ذم بني إسرائيل على عدم إتْباع العلم العمل، فقال سبحانه: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. فإنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وهم يعصونه، فعيَّرهم الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

(١) جامع البيان ١٥/ ٤٥٣.

وقال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

قال ابن القيم: «فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه»[(١)]، مثل لكل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان، ولينتهي إلى المسخ في مرتبة الحيوان.

وقال عمر بن الخطاب ﵁: «لا يغرركم من قرأ القرآن، ولكن انظروا إلى مَن يعمل به»[(٢)]، وقال مالك بن دينار: «تلقى الرجل ما يلحن حرفاً وعمله لحن كله»[(٣)].

ثالثاً: تنوعت النصوص في الوعيد على مخالفة العلم والقول العمل، ومنها:

١- توعد من يخالف قوله عمله بمقت الله تعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

٢- توعده بالعذاب في النار، كما في قول الله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥١].

«فيجب على المذكِّر «بالكسر» والمذكَّر «بالفتح» أن يعملا بمقتضى التذكرة وأن يتحفظا عن عدم المبالاة بها؛ لئلا يكونا حمارين من حُمُر جهنم»[(٤)].

(١) الفوائد لابن القيم ص١٠١.
(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي برقم (١٠٩)
(٣) المرجع السابق (١٥٠)
(٤) أضواء البيان ١/ ٤٦٣.

٣- بيان أن عذابه في النار يكون بطريقة بشعة منفِّرة، كما في حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه)[1].

والخطباء خاصة جاء فيهم وعيد خاص إذا خالفت خطبهم أفعالَهم كما في حديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالاً تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ. قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا يَعْقِلُونَ)[2].

المطلب الثاني

علاج الفصل بين القول والعمل

بعد أن استعرضنا شيئاً من مذمة مخالفة قول الداعية عمله، وظهر لنا خطورة الأمر، فينبغي أن نشير إلى أهم وسائل علاج هذا الخلل:

١- خشية الله تعالى بالغيب؛ فإن الداعية مذكر بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، فأولى له أن يكون أول متعظ به، وقد خاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة (٣٢٦٧).

(٢) مسند أحمد ٢١/ ١٠٤ (١٣٤٢٠)، وصححه شعيب الأرناؤوط، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٩١).

٢- الحذر من معاصي السر، والإصرار عليها، فإنها سلم يهبط بالعبد إلى نفق النفاق المظلم، وهي سبب لذهاب الحسنات؛ كما في حديث ثَوْبَانَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: (لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً من أُمَّتِي يَأْتُونَ يوم الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضاً فَيَجْعَلُهَا الله عز وجل هَبَاءً مَنْثُوراً قال ثَوْبَانُ يا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لنا جَلِّهِمْ لنا أَنْ لَا نَكُونَ منهم وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ قال أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ من اللَّيْلِ كما تَأْخُذُونَ وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إذا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا)[1].

٣- اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء والإخبات والاستغفار، وسؤاله الثبات على الدين، مع الخوف الشديد من عاقبة ذنبه.

٤- الإكثار من الأعمال الصالحة المكفرة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤].

٥- وعلى الداعية أن يحذر من كثرة مخالفة فعله لقوله، وتعدد ذنوبه، وإصراره عليها، واستهانته بها؛ لئلا يقع في النفاق، أو يرديه الشيطان إلى الانتكاس.

٦- أن يتذكر الدعاة أنهم قدوة الناس، وصفوة المجتمعات، وأن غيرهم ينظرون إليهم ويقلدونهم في أفعالهم، فإذا كانوا ينتهكون حرمة الشرع بتعطيل الواجبات، وفعل المحرمات كان غيرهم أولى أن ينتهكوها، وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب بذلك فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٠].

٧- أن يدرك الدعاة أنهم يدعون الناس إلى فعل الواجب، والانتهاء عن المحرم، ولا يقبل الناس دعوتهم إن رأوهم مخالفين ما يدعون إليه؛ فيكون فعلهم فتنة للناس، وصداً لهم عن دين الله تعالى، والصد عن دين الله تعالى يكون بالفعل كما يكون بالقول.

٨- أن يتذكر الدعاة أنهم بمخالفة أقوالهم أفعالهم يشوهون سمعة الدعاة

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٠٥).

والخطباء وأهل الخير عند الناس، ويتسببون في فري أعراضهم، والكلام السيئ فيهم.

٩- أن يعلم الدعاة بركة موافقة القول الفعل، ومنها: ثبوت العلم ونماؤه وزيادته؛ ذلك أن الداعية في دعوته يلقي على الناس علماً ينفعهم.

فمن أسباب زيادة العلم وبركته العمل به؛ كما جاء عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من عمل بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل»[(١)].

١٠- العمل بالسنة ولو مرة واحدة لا سيما إن كانت من السنن المهجورة: عن عمرو بن قيس الملائي أنه قال: «إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله»[(٢)].

المطلب الثالث

آثار وفضائل العلم بالعمل

١- حصول الرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال ﷺ: **(إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)**[(٣)].

ولا ريب أن هذه الرفعة والمكانة لا تكون إلا لأهل العلم العاملين به، وكيف تكون لمن لا يعمل بعلمه وهو مذموم شرعاً وعقلاً؟

٢- الذي يعمل بعلمه لا يضل في حياته، ولا يشقى في آخرته، وكيف يضل وقد تمسك بالوحي الذي جعله الله تعالى هداية لجميع الناس، وكيف يشقى وقد عمل

(١) الجامع لأخلاق الراوي ص ٣٤.
(٢) ينظر: الباعث الحثيث ٢/ ٤٣٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن (٨١٧).

بعلمه فأعد رصيداً من العمل الصالح المؤسس على علم نافع؟ أعده لذلك اليوم العظيم؟ قال الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣].

٣- الذي يعمل بعلمه حري بالنجاة يوم القيامة، والإجابة السديدة على السؤال الذي سيوجه إليه قبل أن تزول قدماه من عند ربه: ماذا عملت فيما علمت؟ ولابد أن يُعد المسلم للسؤال جواباً، وأن يكون الجواب صواباً.

ويبدو لي أن الإجابة الصحيحة على هذا السؤال نجاح فيما عداه من الأسئلة الأخرى -إن شاء الله- لأن من عمل بعلمه وفقه الله للاستفادة من شبابه وعمره، وأن يجمع المال إن كان ذا مال من حله، وينفقه فيما يوافق شرع الله، هذا مقتضى العلم.

٤- الذي يعمل بعلمه يسلم من العواقب السيئة والنتائج الوخيمة والأوصاف القبيحة التي تنتظر من لا يعمل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤]، فرتب الله تعالى هذه الأمور على الإعراض عن التذكرة بآيات الله، ومن لم يتذكر لن يصدر منه عمل بما يعلم، ولن يقيم لآيات الله تعالى وزناً؛ لأن العمل بالقرآن هو العمل بالعلم حقيقة.

وبيَّن تعالى أنه لا أحد من الناس أعظم ظلماً ممن ذكر ووعظ بآيات ربه وهي القرآن ثم تولى وصد عنها، ثم هو ينسى ما قدمت يداه من المعاصي والكفر، مع أن الله تعالى لم يَنْسَهُ بل هو محصيه عليه ومجازيه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

٥- من عمل بما تعلم رزقه الله علما آخر، وزاده من العلم وفتح بصيرته وأنار قلبه، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] قال الشوكاني:



«زادهم إيماناً وعلماً وبصيرة في الدين، أي: والذين اهتدوا إلى طريق الخير فآمنوا وعملوا بما أمرهم به زادهم إيماناً وعلماً وبصيرة في الدين»[(١)].

وأما من لم يعمل بعلمه وأعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح، وهو حريٌ أن يسلبه الله ما عَلِمَ.

٦- العمل بالعلم من أقوى أسباب حفظه وبقائه، لتحوله إلى صورة عملية وواقع مشاهد، ولذا يستطيع كل واحد منا أن يكتب صفة الوضوء والصلاة والحج ونحو ذلك، لأن هذا علم قد عمل به وتحول إلى سلوك واقعي فأصبح موصولاً بالذهن، مرتبطاً بالذاكرة، يستدعيه متى أراده.

«فإن العمل هو الذي يجعل العلم راسخاً مستقرّاً في النفس، وذلك أن العلم يستحضره صاحبه في النفس مجملاً غير سالم من غموض أو إبهام؛ فإذا أبرزه بالعمل للوجود صار تفصيليّاً جليّاً واضحاً، وبكثرة التكرار للتلاوة ومداومة العمل يكون النظري منه بديهيّاً ضروريّاً، فيثبت وحي الله بالقلب فلا ينسى، وأما مع هجران العمل به فإن صاحبه يصل به النسيان إلى حالة يساوي فيها من لا يعرفه بتاتاً والعياذ بالله»[(٢)].

٧- العمل بالعلم يهيئ للعالم مكانة مرموقة، ونظرة حسنة، وبه يكون قدوة طيبة، يؤخذ كلامه، ويوثق بفتواه، وكلما ظهرت آثار العمل على العالم أحبه الناس وتعلقوا به ورغبوا فيه وهذا مشاهد.

ولكن إذا رأوا العالم وقد ظهرت عليه آثار الانحراف والمخالفة لما علم به، وقعوا في حيرة بين القول والفعل، وراحوا يفسرون هذا الانفصام بين العلم والسلوك

(١) فتح القدير ٥/ ٣٥.

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم ٢/ ١٥٨.

تفسيرات شتى، ومن ثمَّ لا يثقون بقوله، ولا يقيمون وزناً لشخصه، وإذا كان العالم مرموقاً منظوراً إليه ولا سيما في بلده كانت المسؤولية عليه أعظم؛ لأنه متبع ومقتدى به، قال ابن مفلح: «وليحذر العالم وليجتهد فإن ذنبه أشد، ونقل المروذي: العالم يقتدى به ليس العالم مثل الجاهل»[١].

وقال شيخ الإسلام: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فذنبه من جنس ذنب اليهود»[٢].

إن مخالفة تعاليم الدين ممن يُقْتَدى به من أضر الأشياء على سنن الإسلام؛ لأن ذلك يؤدي إلى اقتداء العوام به، فإنهم اتباع كل ناعق، والعالم إذا أظهر المعصية وإن صغرت سهل على الناس ارتكابها، لأن الجاهل يقول: لو كان هذا الفعل كما قال: من أنه ذنبٌ؛ لم يرتكبه، وإنما ارتكبه لأمر علمه دوننا[٣]! وواقعنا اليوم يشهد بذلك في صور متعددة.

ومن هنا فالداعية بحاجة إلى تطبيقٍ عملي لمبادئ الإسلام وأفكاره وسلوكه، لتكون حياته ترجماناً مبيناً لمنطوق الإسلام، وصورة كريمة لمعطياته.

وعليه أن يكون قويّاً بإيمانه على شهوته، قويّاً على المجتمع الذي يجره إلى الانحلال، وينأى به عن تطبيق عمله على نفسه وأسرته.

وختاماً: فإن المطابقة بين القول والعمل أمر عسير غير يسير إلا على من وفقه الله إنه يحتاج إلى صلة دائمة بالله تعالى وإخلاص، ثم رياضة وجهد ومحاولة واستعلاء على الرغبات والشهوات، ومن ترك العمل بما علم فقد استسلم لشهواته وانقاد لهواه وهو على خطر عظيم.

---

(١) الفروع ١/ ٥٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٨٦.

(٣) ينظر: الاعتصام للشاطبي ص٣١٩.

المبحث الثالث
التساهل في التقدم للفتوى من غير تهيب لها

بعض الدعاة عنده جرأة كبيرة على الفتوى، مع أن المطلوب منه أن يكون متهيباً للإفتاء، لا يتجرأ عليه إلا حيث يكون الحكم جليّاً في الكتاب أو السنة، أو يكون مجمعاً عليه، أما فيما عدا ذلك مما تعارضت فيه الأقوال والوجوه وخفي حكمه، فعليه أن يتثبت ويتريث حتى يتضح له وجه الجواب، فإن لم يتضح له توقف وسأل أهل العلم.

لأن الإفتاء بغير علم حرام، بل من الكبائر، لأنه يتضمن الكذب على الله تعالى ورسوله، ويتضمن إضلال الناس، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ومن أجل ذلك كثر النقل عن السلف أنهم كانوا إذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول للسائل: لا أدري.

عن نافع: أن رجلاً سأل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه ولم يُجبه حتى ظنَّ الناس أنه لم يسمع مسألته، قال فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألوننا عنه، اتركنا يرحمك الله حتى نتفهم في مسألتك؛ فإن كان لها جواب عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به»[١].

وعن عقبة بن مسلم قال: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً، فكان كثيراً ما يَسْأَل فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إليَّ فيقول: أتدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٤٠٣.

ظهورنا جسراً إلى جهنم»[١].

عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن من يفتي في كل ما يستفتونه لمجنون». قال الأعمش: فذكرت ذلك للحكم بن عتيبة فقال: لو سمعت هذا منك قبل اليوم ما كنت أُفتي في كل ما أُفتي[٢].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول[٣].

وفي رواية: ما منهم من يحدِّث بحديث إلاَّ ودَّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتى عن شيء إلاَّ ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا[٤]..

واشتهر عن مالك أنه قال: «جُنَّة العالم لا أدري، فإذا أغفلها أصيبت مقاتله»[٥].

عن عمرو بن يزيد قال: «قلت: لمالك يا أبا عبدالله يأتيك ناس من بلدان شتى وأنفقوا نفقاتهم يسألونك عما جعل الله عندك من العلم!! تقول لا أدري!! فقال: يا عبدالله يأتيني الشامي من شامه والعراقي من عراقه والمصري من مصره؛ فيسألونني عن الشيء لعلي أن يبدو لي فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم؟»[٦].

ويقول ابن مهدي: سأل رجل مالكاً عن مسألة، فقال: لا أحسنها، فقال الرجل:

---

(١) جامع العلم وفضله ٢/ ٥٤.

(٢) جامع العلم وفضله ٢/ ٨٤٣.

(٣) تاريخ دمشق ٣٦/ ٨٧.

(٤) سنن الدارمي ١/ ٤٩ (١٣٧) في المقدمة

(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ٧٧.

(٦) حلية الاولياء ٦/ ٣٢٤.

إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أني قد قلت لك إني لا أحسنها[(١)].

ويقول الإمام مالك: «ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني: هل تراني موضعاً لذلك؟ سألت ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك. فقال له رجل: فلو أنهم نهوك؟ قال: كنت أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه»[(٢)].

وكان الإمام مالك يُسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها[(٣)].

وكان الإمام مالك يقول: من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف خلاصه، ثم يجيب[(٤)].

وسُئِلَ عن مسألة، فقال: لا أدري. فقيل: هي مسألة خفيفة سهلة! فغضب وقال: ليس في العلم شيء خفيف[(٥)].

وقال الشافعي: «ما رأيت أحداً جمع الله به من أداة الفتيا ما جمع في ابن عيينة، وما رأيت أوقف أو أجبن عن الفتيا منه»[(٦)].

وقال أبو حنيفة: لولا الفَرَق من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت، يكون لهم المهنأ وعليّ الوزر[(٧)].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٢٣.
(٢) سير أعلام النبلاء١٥/ ١٦.
(٣) المجموع ١/ ٩٣.
(٤) المجموع ١/ ٩٣.
(٥) المجموع ١/ ٩٣ - ٩٤.
(٦) الكامل في الضعفاء ١/ ١٨٣.
(٧) أخبار أبو حنيفة ص ٤٥.

وقال الصلت بن بهرام: «ما بلغ أحد مبلغ الشعبي أكثر منه يقول: لا أدري»[(١)].

وقال الشعبي: «لا أدري: نصف العلم»[(٢)].

وقيل للشعبي: إنا لنستحي من كثرة ما تُسأَلُ فتقول: لا أدري! فقال: لكن ملائكة الله المقربون لم يستحيوا حيث سئلوا عما لا يعلمون أن قالوا: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢][(٣)].

وسئل محمد بن القاسم عن شيء، فقال: إني لا أحسنه. فقال له السائل: إني جئتك لا أعرف غيرك. فقال له القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه! فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها! فوالله ما رأيناك في مجلس أنبل منك اليوم!! فقال القاسم: والله لأن يُقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا علم لي به[(٤)].

وقد رأى رجل ربيعة بن أبي عبد الرحمن يبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقال: اُستفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم. ثم قال: ولبعض من يفتي ههنا أحق بالسجن من السُراق[(٥)].

وقال عبدالعزيز بن رفيع: «سئل عطاء عن شيء، فقال: لا أدري، قيل: ألا تقول برأيك؟ قال: إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي»[(٦)].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٠. سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٠٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٠، الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٥٨.

(٣) تاريخ دمشق ٢٥ / ٣٦٦.

(٤) جامع بيان العلم وفضلة ٢/ ٨٣٧.

(٥) جامع بيان العلم وفضلة ٢/ ١٢٢٥.

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٥/ ٨٦.

وقال علي بن المديني: «كان سفيان إذا سئل عن شيء، يقول: لا أحسن. فنقول: من نسأل؟ فيقول: سل العلماء، وسل الله التوفيق»[(١)].

وقال ابن عيينة: «إذا ترك العالم: «لا أدري» أصيبت مقاتله»[(٢)].

وقال محمد بن المنكدر: العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم[(٣)].

وعن الهيثم بن جميل: شهدت مالكاً سُئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري[(٤)].

وقال ابن جماعة: «وإذا سئل عن ما لم يعلمه قال: لا أعلمه، أو لا أدري، فمن العلم أن يقول: لا أعلم. وعن بعضهم: لا أدري نصف العلم. وقيل: ينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري لكثرة ما يقوله»[(٥)].



(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦٨.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٧٨.
(٣) سنن البيهقي ١/ ٤٣٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٦٨.
(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص٢٣.



المبحث الرابع
العُجب والغرور

في غمرة انشغال الداعية في أعماله الدعوية، يحصل لديه -أحياناً- قصور في تزكية نفسه، ومحاسبتها، وربما تسلل إلى قلبه آفات قادحة في عمله وإخلاصه، مفسدة لقلبه، قد يشعر بها وينشغل عن علاجها، وقد لا يشعر بها أصلاً، ومن الأمراض السريعة الفتّاكة بالنية: «العُجْبُ» وهو الإحساس بالتميّز، والافتخار بالنفس، والفرح بأحوالها، وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال، محمودة أو مذمومة[١].

ومما يُدخل العُجب على الداعية نظره لما منحه الله تعالى إياه من بلاغة أو فصاحة وبيان أو سعة في العلم وقوة في الرأي، فإذا انضاف إلى ذلك حديث الناس عن أعماله، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه؛ ولم يسلم حينئذٍ إلا القليل[٢].

○ أولاً: مظاهر العجب على الداعية:

١- الإكثار من الثناء على النفس ومدحها، لحاجة ولغير حاجة، تصريحاً أو تلميحاً، وقد يكون على هيئة ذم للنفس أو للآخرين، يراد به مدح النفس.

٢- الحرص على تصيُّد العيوب وإشاعتها، وذم الآخرين -أشخاصاً أو هيئات- والفرح بذمهم وعيبهم.

٣- النفور من النصيحة، وكراهيتها، وبغض الناصحين.

٤- الاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير.

(١) آفات على الطريق، السيد محمد نوح، ١/ ١١٧.

(٢) عقبات في طريق الدعاة، عبد الله علوان، ١/ ٦٤.

٥- الترفع عن الحضور والمشاركة في بعض الأنشطة العلمية والدعوية، وخصوصاً العامة[١].

ثانياً: مخاطر العجب وآثاره على الداعية:

١- أنه طريق إلى الغرور والكبر، وآثار الكبر المهلكة لا تخفى.

٢- الحرمان من التوفيق والهداية؛ لأن الهداية إنما ينالها من أصلح قلبه وجاهد نفسه.

٣- بطلان العمل، والعجز والكسل عن العمل؛ لأن المعجب يظن أنه بلغ المنتهى.

٤- العقوبة العاجلة أو الآجلة، كما خسف الله بالمتبختر المعجب الأرض.

٥- ومن آثاره على الدعوة: توقفها أو ضعفها وبطؤها بسبب قلة الأنصار؛ نظراً لنفور الناس، وكراهيتهم للمعجبين، وسهولة اختراق صفوف الدعاة وضربها؛ نظراً لانهيار الدعاة المعجبين حال الشدائد[٢].

ثالثاً: أسباب العُجب عند الداعية:

١- جهل المعجب بحق ربه وقدره، وقلة علمه بأسمائه وصفاته، وضعف تعبده بها.

٢- الغفلة عن حقيقة النفس، والجهل بطبيعتها وعيوبها، وإهمال محاسبتها، ويدخل تحتهما: تجاهل النعم، ونسيان الذنوب، واستكثار الطاعات[٣].

رابعاً: علاج الداعية للعجب:

وذلك من خلال أمور منها:

١- الحرص على العلم الشرعي، الذي يهذب النفوس، ويصلح القلوب، ويزيد

---

(١) العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٣.

(٢) العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٣.

(٣) العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٤.

الإيمان؛ فإن الإيمان الكامل والعجب لا يجتمعان. وتحصيل العلم النافع دليل على أن الله أراد بعبده خيراً، ومن الجوانب التي ينبغي العلم بها، والعمل بمقتضاها:

☜ العلم بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، وحقه في التعظيم المورِث للخوف، الذي يطرد العجب.

☜ تذكّر فضل الله ﷻ على عبده، ونعمه المتوالية، والنظر في حال من سُلبها؛ فإن الله خلقه من العدم، وجعله إنساناً سوياً، وأمده بالنعم والأرزاق.

☜ حقيقة الدنيا والآخرة، وأن الدنيا مزرعة هدف العبد فيها مرضاة الله تعالى وهو ﷻ لا يرضيه العجب، وكذا تذكّر الموت وما يكون بعده من الأهوال التي لا ينفع فيها إلا صالح العمل، والعجب يجعله هباء منثوراً.

٢- الحرص على ما يعين على تحصيل ذلك من الإقبال على كتاب الله تعالى، واستلهام الفهم منه، ومن سنة النبي ﷺ، وسيرة السلف الصالحين، ومجالسة العلماء والدعاة الصادقين، والأخذ من علومهم.

٣- دور الدعاة والمربين، والذي يتمثل فيما يلي:

✓ محاسبة النفس أولاً، وتنقيتها من داء العجب والفخر.

✓ متابعة البارزين ومن يخشى عليهم العجب، من خلال: البرامج الإيمانية واللقاءات الفردية التي يذكرون فيها بمعاني الإيمان والتواضع، وأحياناً مصارحة الواحد منهم بما يصدر منه، بأسلوب مناسب، وتمكينه من معاشرة ومخالطة الصالحين، ورؤية بعض المتواضعين من إخوانه، الذين هم أكثر بروزاً في المجتمع، وإبعاده وتجنيبه صحبة المعجبين.

٤- اتباع الآداب الشرعية في المدح والثناء، والتوقير والاحترام، والطاعة والانقياد.

٥- النظر إلى العاملين النشيطين، والتأمل في سيرهم وحياتهم.

٦- التأكيد على المسؤولية الفردية في محاسبة النفس ومتابعتها[١].

خامساً: الفرق بين العجب بالعمل الصالح والفرح بالخير والطاعة:

كما أن العجب بالعمل يورث التواكل والتكاسل، فإن احتقار العمل إذا لم ينضبط فإنه يورث أثراً مشابهاً وهو: «الإحباط والملل والسآمة»؛ لذا كان للعبد أن يفرح بالحسنة، ويغتبط بالطاعة، بل إن هذا دليل الإيمان، ولكن الواجب عليه في هذا الفرح، أن يكون مستشعراً فضل الله ﷻ ومنته ورحمته وتوفيقه، مثنياً عليه بذلك، لا يرى لنفسه في الانبعاث لذلك العمل أثراً يعوّل عليه؛ إذ إن الذي منح القدرة والهداية هو الله ﷻ[٢].



(١) العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٣.

(٢) العجب وخطره على الداعية، عبدالحكيم بلال، ص٤.

المبحث الخامس
الترف[١]

حقيقة الترف مجاوزة حد الاعتدال بنعمة أو الإكثار من النعم التي يحصل بها الترف، وقد ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها في موضع الذم له والتحذير منه، كما ورد العديد من الأحاديث النبوية التي ينهى بعضها عن الترف جملة وتحذر من تعلُّق القلب به، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، وبعضها الآخر ينهى عن مظهر من مظاهر الترف، ويحث على تركه والانصراف عنه إلى ما هو خير في الدارين[٢].

أولاً: مظاهر الترف على الدعوة والدعاة:

١- الإفراط في تناول الطعام والشراب وتوفير متطلبات النفس مما لذ وطاب، وجعل المال في الملابس الراقية، والاكتفاء بلبس الجديد والفاخر، ويبرز الترف في هذا الجانب لدى النساء.

٢- صرف الأموال الكثيرة في السيارات والحرص على ضخامتها وتعددها حسب أحجامها وأنواعها، وتسليم بعضها لمراهقين يستخدمونها -غالباً-في غير ما وضعت له.

٣- الاستكثار من وسائل الزينة والاعتناء الزائد بالنفس حتى إن بعضهم ليزيد إنفاقه على زينته وبعض مظاهر الترف الأخرى على دخله، مما يضطره إلى الاقتراض.

---

(١) ينظر مقال بعنوان: معوقات الدعوة المعاصر، د. ناصر بن سعيد السيف، والترف، ناصر بن عمار، ص ٥، الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني.

(٢) الترف، ناصر بن عمار، ص ٥.



٤- عدم الحرص على الطاعة والتواني عن القيام بما يقِّرب في الآخرة سواء أكان ذلك فيما يتعلق بذات الشخص أو فيما يتعلق بشؤون الدعوة.

٥- تتبع أقوال أهل العلم للأخذ بالأيسر منها، ويرجع ذلك إلى أن كثرة النعم تقود إلى الدعة والراحة، وتلك تقود إلى اقتحام سبيل الشهوات والانغماس في الملذات، ولكي يزيل الحرج عن نفسه، ويدفع عنه لوم الآخرين، ويقوم بتتبع أقوال أهل العلم في الأمر الذي قرر إتيانه إلى أن يجد له عالماً في القديم أو الحديث يقول بجواز فعله، فيفرح به ويبدأ بإعلانه ونشره لا اعتقاداً بصحة ذلك القول والرغبة في إذاعته، ولكن حبّاً في رفع الحرج عن النفس نظراً لموافقة ذلك القول لما قد عزمت نفسه على فعله[1].

➢ ثانياً: آثار الترف على الدعوة والدعاة:

١- أن المترفين من الدعاة حريصون على تقليد تجارب دعوية سابقة، وقل أن يبرز من أوساطهم قيادات دعوية جديدة تتأمل في تجارب من سبقها وتأخذ منها ما كان صالحاً في نفسه ومناسباً للمرحلة التي تمر بها الدعوة، وما لم تجده لدى السابقين كذلك اجتهدت فيه على ضوء تعاليم الشرع وفي ظل متطلبات الواقع.

٢- عدم تقدم الدعوة إلى مراحل متقدمة، بل تأخرها إن لم يصل الأمر إلى انشقاقها نتيجة اختلاف الرأي بين المترفين وغير المترفين من الدعاة.

٣- أن الداعية المترف أقل اهتماماً بدعوته والقيام بها من غيره، وذلك لأنه عقد همته للشهوات والتلذذ بالنعم والملذات وطلب أسباب ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: هو عاجز عن القيام بأمور نفسه فكيف يقوم بأمور الدعوة؟.

٤- أن الداعية المترف أقل إفادة للمدعوين من غيره، وذلك لأن انغماسه في

---

(١) الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ٥.

النعيم وتحصيل أسبابه مانع له من التزود بالعلم الشرعي، مما يعني اكتفاءه بتقديم ما عنده من معلومات، فإذا انتهت بدأ بتكرارها.

٥- الترف يدفع الدعاة إلى عدم نشر الدعوة بجدية بين كافة فئات المجتمع، كما أنه يؤدي إلى فتور المربين عن ممارسة الأعمال التربوية نظراً لمشقة ذلك على النفس وما تتطلبه العملية التربوية من وقت وجهد، وذلك ما يعجز عنه المترفون لعدم تعودهم عليه[1].

➢ ثالثاً: علاج الترف:

١- لا بد للداعية من النظر في هدي السلف الصالح في التعامل مع متع الحياة وملذاتها، للأخذ منهم والسير على هديهم.

٢- لا بد للداعية من إشغال نفسه بما يعود عليه نفعه في الآخرة، وذلك لأن النفس إذا رباها صاحبها على جعل ذلك هدفاً، تترتب الأولويات لديها فتقدم الأنفع على النافع، والنافع على ما ليس فيه نفع، وحين تفعل النفس ذلك فإنها ستتعالى عن التعلق بمتع الحياة.

٣- النظر في حال أهل الترف قديماً وحديثاً، والتأمل في أوضاعهم وما يعانيه غالبهم من غفلة، وقلة طاعة، وقسوة قلب، وكثرة هم، وتشتت فكر، بالإضافة إلى الفجيعة من تقلب الأحوال والخوف من انصرام ما هم عليه من نعيم وملذات وذلك كفيل بردع العاقل عن التعلق بالملذات.

٤- لابد للداعية من النظر في أحوال المسلمين والتأمل في شدة ما يعانون من فقر وجهل ومرض، بالإضافة إلى ما يتعرضون له من حروب، ليعرف شدة خطئه في ترفه،

---

(١) الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ٧.



وأن الأنفع له تقديم ما يفيض عن حاجته إلى إخوانه[١].

٥- تربية النفس على الاستقامة والجدية، وتعويدها على أخذ الإسلام بجدية بحيث يبادرون إلى فعل المحبوبات سواء أكانت واجبات أو مستحبات، وإلى ترك المبغوضات سواء أكانت محرمات أو مكروهات.

٦- تصريف طاقات الدعاة وتوجيههم إلى حسن استثمار أوقاتهم، لأن من أبرز دواعي الترف وأسبابه ارتفاع نسبة الفراغ في أوقات الشباب، مع وجود طاقات بحاجة إلى توجيه من قبل المربين لتصريفها تصريفاً حسناً ووضعها في المسار الصحيح.

٧- لا بد من معرفة منهج الإسلام في التعامل مع النعم، والسعي بجد إلى ممارستهم ذلك المنهج في واقع حياتهم العملية مع متابعتهم -بأسلوب مناسب- أثناء التطبيق والممارسة من أجل رفع معنوياتهم، وتشجيعهم حال الإصابة، وتوجيههم إلى الحق حال مجانبته والوقوع في ضده[٢].

رابعاً: تنبيه حول الاسترخاء والرخاء بعد الشدة:

ليس مستغربا ولا مستنكراً أن تضطرب بعض القلوب المؤمنة عند نزول المحن، فالقلوب تتفاوت على محك اختبار المحنة وعند أول وقوعها، وثبات القلوب عند المحن منحة ربانية يهبها الله لبعض عباده كنتيجة ليقين اعتقادهم ولسوابق أعمالهم. وللمحنة شدتها وعمق تأثيرها في النفوس والقلوب، وثبات المؤمن فيها على المنهاج الحق والتزامه بالمنهج الإلهي والسنة النبوية وعدم تلون قلبه هو المعيار الأول لنجاحه في اجتيازها.

---

(١) الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ٩.

(٢) الترف وخطره على الدعوة والدعاة، فيصل البعداني، ص ١٠.



ولا يقصد بالمحنة فقط وقوع البلاء والضراء، فالدنيا كلها محنة بكل ما فيها من سراء وضراء كما قال ربنا: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

إن العالم أو الداعية يستطيع أن يتخطى كثيراً من العوائق مستجمعاً قوته ومستعيناً بالله تعالى لا تلين له قناة، ولا ينحني له هام رغم شظف العيش وسوء الأحوال المحلية والخارجية وكثرة الضغوط إلا أنه قد تظهر له عقبة لم تكن في الحسبان وهو ميل النفس إلى الدعة والراحة ومن ثم الاسترخاء فتأنس النفس لذلك وتستنيم وخاصة إذا صاحب هذا الاسترخاء رخاء أو بعض من ترف الحياة، وعندئذ يكون ذلك الاسترخاء بداية القعود والتنكب عن أداء المهمة التي وجد من أجلها وتبرير ذلك القعود والاسترخاء بكثير من المهام والمبررات.

فعن عبد الرحمن بْن عوف أنه قال: « أبتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا ثم ابتلينا بالسراء بعده فلم نصبر »[١].

قال ابن الأثير: «الضَّرَّاء: الحالة التي تضُرُّ، وهي نقيض السراء، يريد: إنا اختُبِرنا بالفقر والشِّدة والعذاب فصبرنا عليه، فلمَّا جاءتنا السراء، وهي الدنيا والسِّعة والراحة: بطِرنا ولم نصبر»[٢].

عن عَمْرِو بْن عَوْف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)[٣].

---

(١) جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة وَالرَّقائق والورعِ، بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أوانِي الْحوْضِ (٢٤٠١)، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٧٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (٤٠١٥) ومسلم، أول كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦١).



ولذا يجب على الدعاة والعلماء أن يكونوا قدوات، أصحاب عزائم يعيشون في يقظة تامة، ومن يقع في الترف أو غيره من الآفات فيجب على إخوانه -وهو من حقه عليهم- أن يأخذوا بيده ويشدوا من أزره، فالدعوة في حاجة إلى كل جهد وطاقة.







الفصل الثالث

مشكلات وعوائق سلوكية

يوجد بعض التصرفات التي تظهر على سلوكيات الدعاة وتمثل عائقاً في طريق الدعوة إلى الله، وهذه السلوكيات مبنية على خلفيات منهجية وتربوية غير سوية تحدثنا عن بعضها في الفصلين الماضيين.

وهنا نعرض لبعض السلوكيات التي تمثل مشكلات في طريق الدعوة من خلال خمسة مباحث:

المبحث الأول: التنازع بين الدعاة.

المبحث الثاني: الإقصاء في العمل الدعوي.

المبحث الثالث: الفوضوية في العمل الدعوي.

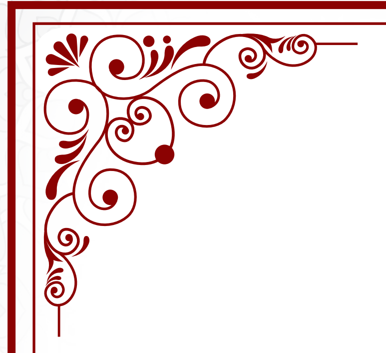
المبحث الرابع: العنف في العمل الدعوي.

المبحث الخامس: التثبيط والتوهين عن الدعوة.










المبحث الأول
التنازع بين الدعاة

وبيانه في خمسة مطالب:

المطلب الأول: خطورة التنازع بين الدعاة.

المطلب الثاني: وجوب الائتلاف ونبذ التفرق بين الدعاة.

المطلب الثالث: أسباب التنازع بين العاملين في الدعوة.

المطلب الرابع: الآثار السلبية للتنازع الواقع في الساحة الدعوية.

المطلب الخامس: وسائل دفع النزاع.






المطلب الأول

خطورة التنازع بين الدعاة[١]

إن الخلاف الحادث والمتوالد بين فئامٍ من الدعاة إلى الله أو أفرادها من المشكلات كثيرة الشعاب متعددة الأضرار..

فأكثر ما يؤلم المرء هو التنازع والتقاطع والتدابر الحاصل بين المسلمين عامة، ويزيد الألم أضعافا حينما يكون ذلك في صف الدعاة إلى الله..

لقد بلغ الخلاف ببعض الدعاة أن تَسلطوا على بعضهم؛ فانتقد بعضهم بعضاً حتى جرحه في خصوصياته، واستغل أصحاب السوء خلافهم وراحوا يستفتون بعضهم في بعض ويستكتبون بعضهم ضد بعض؛ حتى تلاشت الثقة بينهم، ونشبت معارك معلنة وخفية، وجرأوا السفهاء عليهم وأغروا بهم أعداء الإسلام.

ثم ها نحن نجد أتباع الدعاة والعلماء يوما بعد يوم يُكفِّرون ويبدِّعون غيرهم، بل وصل حالهم إلى أن بدعوا وكفروا دعاة وعلماء قد نذروا حياتهم كلها للدعوة إلى الله ولهم تاريخ ناصع البياض في العمل الإسلامي، ولو قرأت كلام هؤلاء الأغرار في أولئك الدعاة والعلماء المختلفين معهم لظننت أنهم يتحدثون عن أعداء الديانة وأتباع الشياطين!!

ولاشك أن الخلاف فيما يسوغ فيه الخلاف بين الناس -ومنهم الدعاة والعلماء- أمر طبيعي، إلا أن القضية الفجة التي نتحدث فيها قد تعدت إلى أنواع من الأثرة والتعصب واللامبالاة بمصالح الأمة، وإهمال الأوامر الشرعية الصريحة والقاطعة

(١) ينظر مقال بعنوان: إشكالية الخلاف بين الدعاة.. رؤية للحل.. ودعوة للاستجابة، د. خالد رُوشه، منشور على موقع المسلم، باختصار وتصرف.

بحجج واهية، هي في ذاتها عبارة عن مصالح ذاتية لفرد أو جماعة.

ومن العجب أن يكون هناك نزاع وقطيعة بين بعض الدعاة بسبب هفوة أو زلة أو كلمة أو سلوك ما، وقد يكون خاطئاً أو في بعض الأحيان قد يكون عفويًّاً، وتزداد المصيبة شرًّاً أن يكون لكل واحد من هؤلاء الدعاة أتباعٌ يأتمرون بأمره ويغضبون لغضبه ويرضون لرضاه، فترى الأمور قد تفاقمت وترى الخصومات قد صارت بين جماعات من المؤمنين!

وبعض المتخاصمين يريد أن يصلح لكنه عاجز عن الفعل كسول عن الإنجاز، وهذا كثير معروف، والحق أنه بعجزه وكسله أشبه بالراضي بالخصومة والخلاف، لأنه لو كان صادقا لقام وصالح وزار واعتذر وبدأ بالخطوة الأولى والثانية والثالثة، حتى لو أغلظ له الآخر القول وحتى لو طرده أو سخر منه، لأنه إنما يعمل ذلك لله سبحانه لا للناس..

وبعضهم يريد الإصلاح لكنه محاط بدائرة سوء وأصحاب شر؛ يعظمون نفسه إليه ويكبرون قدره عنده وينقلون له مساوىء الآخرين، ويسعون بالنميمة بينه وبين إخوانه الدعاة، فيظلون به حتى يهوى في قاع سافل من الكبر والتعصب.. فبئست صحبة السوء تلك حتى لو كانوا يتزيون بزي طلاب العلم!

وقد يكون سبب القطيعة والخصومة بين الدعاة اجتهادات مختلفٌ فيها، أو أقوال متبعة، فيتعصب كل أحد لقوله ويسفه رأي الآخر، كأن القوم قد فقدوا عقولهم وفقدوا معها كل ما تعلموه من آداب الخلاف وقواعدة التي باتوا يتعلمونها سنين طوال حتى شابت مفارقهم!!

وإن تلك السلبية التي اتصف بها البعض في مواقف النزاع والخلاف، حتى أصبح موقف العديد من الأفراد سلبيًّاً يقتصر على مجرد الاستماع إلى وقائع النزاعات لنقل الأخبار وحكاية قصص الناس دون القيام بأية خطوة إيجابية لمحاولة الإصلاح! وهذا

يرجع إلى الغفلة واللامبالاة بشؤون الصالح العام للمسلمين، وتناقص حس خدمة القضايا العامة على حساب الراحة الشخصية.

إن ما نسمعه اليوم من تهكم بعض الدعاة على بعض وسخريتهم من بعض على رؤوس المنابر وفي دروس العلم وعلى شاشات الفضائيات لا ينتمي بحال لأدب هذا الدين العظيم، وإنما الواجب على هؤلاء أن يبينوا الصواب الذي يرونه وينتقدوا الخطأ عند الآخر بأدب ووقار وأسلوب علمي رصين ويدعون غيرهم لاتباعه بخلق حضاري نظيف، فإن كل داعية مسلم لن يخلو من خير ونفع لأمته.

وأعداء الإسلام والمسلمين يدركون أثر الجماعة والاجتماع، والوحدة والاتحاد، ولهذا يعملون على تقويضها لدى المسلمين، ويسعون في سبيل ذلك سعياً حثيثاً.

وإن من وسائل الأعداء الخبيثة في حرب المسلمين؛ ضرب وحدتهم وتفتيت جماعتهم، وذلك ببعث نوازع الفرقة بينهم؛ من اختلافات اجتهادية أو مذهبية أو عرقية أو قومية أو تاريخية أو جهوية أو غيرها.

إننا بحاجة ملحة إلى علماء عقلاء حكماء عادلين يقومون بدور الوساطة بين المتنازعين والمتخاصمين من الدعاة في كل مكان على حدة، وأن يتولى ذلك في كل مكان أناس على درجة عالية من الفهم والحكمة، يعتمدون لغة الحوار والإقناع والتعقل مدعومة بلغة العلم والفقه والدليل، يكون هدفهم رأب الصدع وتصفية النفوس بين الدعاة والعلماء.



المطلب الثاني

وجوب الائتلاف ونبذ التفرق بين الدعاة

إن الأوامر الشرعية في كتاب الله سبحانه وفي سنة نبيه ﷺ لتدعونا -في كل وقت وحين- إلى الاعتصام، ولم الشمل، وإصلاح ذات البين، ونبذ الخلافات، والتعاون على البر والتقوى، والتأدب مع الدعاة والعلماء.

يقول الله سبحانه: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١]، قال البغوي «أي اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة، أصلحوا ما بينكم وبين إخوانكم، فلا يكون لديكم تقاطع، ولا تدابر ولا بغضاء، ولا شحناء، ولا خصومات»(١).

إن ائتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات والمناهج والوحدة من أوضح شرائع الإسلام وألزم خلال المسلمين المخلصين، وهو الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ودوام دولتها، ونجاح رسالتها، وسر قوتها ومنبع عزتها.

وأهم ما جاءت به الرسل بعد توحيد الله ﷻ: جمع الكلمة ولَـمُّ الشعث وتسوية الصفوف، فالوحدة والائتلاف والاتفاق والجماعة من مقاصد الدين؛ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].

الدعوة إلى الله على منهج أهل السنة والجماعة تعني -أول ما تعني- الاعتصام بالسنة والمحافظة على الجماعة، فلقد أمر الله تعالى أهل هذه الملة بالتجمع على الحق،

(١) معالم التنزيل ٢/ ٢٦٨.

وحذرهم من التفرق والاختلاف كما حدث للأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرق، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق، والأمر بالاجتماع والائتلاف.

وقال: فإن الله بعث رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق»[1].

قال شيخ الإسلام: «من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١]، ويقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف، وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة»[2].

وقد أخبر الله سبحانه بأن عاقبة الفرقة الضعف والهزيمة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٧٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥١.

والفشل في الآية على معنى أوسع، بحيث يشمل الفشل في أمور الحياة كافة: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وقال شيخ الإسلام: «وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها؛ وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها. وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [المائدة: ١٤]، فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب»[١].

وقال ابن القيم: «نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الذرائع التي توجب الاختلاف والتفرق والعداوة والبغضاء، كخطبة الرجل على خطبة أخيه، وسومه على سومه، وبيعه على بيعه، وسؤال المرأة طلاق ضرتها، وقال: **(إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا)**[٢] سدًّا لذريعة الفتنة والفرقة، ونهى عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة وإن ظلموا وجاروا -ما أقاموا الصلاة- سدًّا لذريعة الفساد العظيم والشر الكبير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم من الشرور أضعاف أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن»[٣].



---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٤٢١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب إذا بويع لخليفتين (١٨٥٣).

(٣) إغاثة اللهفان عن مصايد الشيطان ١/ ٣٦٩.

المطلب الثالث
أسباب التنازع بين العاملين في الدعوة

الحديث على أسباب النزاع بين الدعاة يطول جدًّا لكن نسلط الضوء على أهمها:

❍ أولاً: بغي الخلق بعضهم على بعض، وظلمهم لبعضهم:

قال الله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧] فحب العلو في الأرض وتسلط الخلق بعضهم على بعض من أعظم أسباب الخلاف، ولذا فقد حذر الرسول ﷺ، منه ومن الوقوع فيه فقال: (لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)[1].

❍ ثانياً: اتباع الهوى:

وهو من أكبر الأسباب في ردِّ الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل والتشبث به، كما قال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] لذلك كان اتباع الهوى من أعظم أسباب التفرق والتنازع ووقوع العداوة والبغضاء بين الناس.

قَالَ أَبو الْعَالِيَة: «إِيَّاكُم وَهَذِه الْأَهْوَاء الَّتِي تلقى بَين النَّاس الْعَدَاوَة والبغضاء»[2].

❍ ثالثاً: اتباع وساوس الشيطان:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] وهو لا يألو جهداً في الإيقاع بين المسلمين وإلقاء العداوة بينهم،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء (١٢١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ (لا ترجعوا بعد كفارا) (٦٥).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٠٠) (١٣٦)

قَالَ: النَّبِيَّ ﷺ: (**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**)[١].

قال النووي: «ومعناه أيس أن يعبده أهلُ جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها»[٢].

○ رابعاً: اتباع المتشابه:

فما ضلَّت الفرق إلا بسبب اتباع المتشابه وترك المحكم الواضح، وقد حذر الله تعالى هذه الأمة من اتباع المتشابهات، فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

○ خامساً: التأويل الباطل للنصوص:

فبالتأويل استحلت الأموال والأنفس والفروج وغُيِّر وجهُ الدين عن طريق التأويل الباطني والصوفي والكلامي وغيرها من التأويلات الباطلة.

قال ابن القيم: « فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه ولا دل عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل؟ وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل؟ فمن بابه دخل إليها، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل؟»[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا (٢٨١٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ١٥٦.

(٣) إعلام الموقعين ٤/ ١٩٢.

سادساً: الجدال والخصومة في الدين:

والمقصود بذلك الجدال المذموم وهو ما كان بغير حجة ولا دليل، أو الجدال لنصرة الباطل والشغب للتمويه على الحق، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ)[١].

وقال عبد الرحمن بْنِ أَبِي لَيْلَى: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَقَالَ: لَا أُمَارِي أَخِي إِمَّا أَنْ أُغْضِبَهُ وَإِمَّا أُكَذِّبَهُ»[٢].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقُلُوبَ وَيُورِّثُ الضَّغَائِنَ»[٣].

سابعاً: التعصب:

أي التعصب للآراء والمذاهب، وعدم قبول الحق بعد ظهور دليله، قال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

قال ابن القيم: «جَعَلُوا التَّعَصُّبَ لِلْمَذَاهِبِ دِيَانَتَهُمْ الَّتِي بِهَا يَدِينُونَ، وَرُؤوسَ أَمْوَالِهِمْ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ»[٤].

ثامناً: بعض الآفات القلبية والسلوكية:

ومن أهمها الآفات القلبية التي من أعظمها: ضعف الإخلاص أو الحسد أو حب الظهور، أو اتباع الهوى، وبعض الآفات السلوكية مثل: العجلة أو التسويف، أو الغلو أو التطرف، أو ضعف التخطيط والتطوير، أو الفراغ وترك الاشتغال بما ينفع.

---

(١) مسند أحمد ٣٦/ ٤٩٣ (٢٢١٦٤)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن بطرقه وشواهده، سنن بن ماجة، افتتاح الكتاب، باب اجتناب البدع والجدل (٤٨).

(٢) الزهد لهناد ٢/ ٥٥٧.

(٣) الآداب لابن مفلح ١/ ٢٢٢، وروي ذلك عن الإمام مالك.

(٤) إعلام الموقعين ١/ ٦.

❍ تاسعاً: قلة الفقه، وضعف الوعي والبصيرة في الدعوة:

وذلك من حيث ضعف المعرفة بمنهج الأنبياء في الدعوة ومن سار على هديهم، أو ضعف البصيرة بالواقع الدعوي.. فقد يكون الخلل في كليهما وقد يكون الخلل في واحدة منها.

❍ عاشراً: عوامل خارجية قادت إلى تفاقم الاختلاف:

وتتلخص في الحضارات والديانات التي ناصبت الإسلام العداء في القديم أو الحديث وإثارتها للشبهات والشهوات والحرب التي بالتالي تؤدي إلى تنوع طرائق مواجهتها والموقف منها.



المطلب الرابع
الآثار السلبية للتنازع الواقع في الساحة الدعوية

إن التنازع والاختلاف بين الدعاة له آثاره الخطيرة على الأمة، سواء كان هذا التنازع على مستوى الأفراد أو المجتمعات ومن آثار ذلك:

١ - الفشل، والضعف والعجز:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وبين الله تعالى أن من أسباب الهزيمة في أحد هو التنازع، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

قال الشنقيطي: «نَهَى اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ التَّنَازُعِ، مُبَيِّناً أَنَّهُ سَبَبُ الْفَشَلِ، وَذَهَابُ الْقُوَّةِ»[١].

وقال ابن كثير: «فَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ ائْتَمَرُوا، وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ انْزَجَرُوا، وَلَا يَتَنَازَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَيْضاً فَيَخْتَلِفُوا فَيَكُونَ سَبَباً لِتَخَاذُلِهِمْ وَفَشَلِهِمْ: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أَيْ: قُوَّتُكُمْ وَحِدَّتُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْإِقْبَالِ»[٢].

وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل، لأنه يُثير التباغض والشحناء، ويُزيل التعاون والألفة بين النفوس، ويدفع بها إلى أن يتربص بعضها ببعض، ويمكر كل طرف بالآخر، مما يُطْمِع الأعداء فيها، ويشجعهم على النيل منها، ويجرئهم على خرق حرماتها، واختراق محارمها.

٢- هلاك الأمة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)**[٣].

٣- العقوبات المعنوية:

فعن عبادة بن الصامت: «**أن رسول الله ﷺ خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال إني خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنه تلاحى فلان وفلان فرفعت**»[٤].

---

(١) أضواء البيان٢/ ١٠٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير/ ٤/ ٧٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٧٢٨٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر (٢٠٢٣).

قال النووي: «وفيه أن المخاصمة والمنازعة مذمومة وأنها سبب للعقوبة المعنوية»[(١)].

٤- الجهل بالحق والبعد عنه:

فإذا رأى طالب الحق أن أهله مختلفين فيه على أقوال عدداً، وكل طرف منهم شط فيما اختار، التبس الأمر عليه وربما نفر من الحق وأهله جراء اختلافهم، ونتيجة هذا أن يعيش أهل الحق غربة بين الناس.

٥- براءة الرسول ﷺ من المفترقين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ ﴾ هم أهل البدع والشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة، ﴿ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ فرقاً وأحزاباً، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض؛ فهم شيع، ﴿ لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ فأوجب براءته منهم»[(٢)].

٦- أنه سبب للتدابر والتقاطع:

عَنْ أَبِي مَسْعُود الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)[(٣)]، قال ابن الجوزي: «أي أَنكُمْ إِذا اختلفتم بالظواهر عُوقِبْتُمْ باخْتلاَف الْقُلُوب»[(٤)].

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٨/ ٦٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٥٠.

(٣) صحيح مسلم، متاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام (٤٣٢).

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ٢٠٥.



٧- الذَّم ولحوق الوعيد:

يُشغل المسلمون عن همومهم العظام، وتحدياتهم الجسام، ويستمرؤون خلافاتهم ومشاحناتهم ويوفرون فرص لأعدائهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)[1].

وإن التنازع يُشغل الأمة بنفسها عن مهمتها الرسالية في الدعوة إلى الخير، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومن الآثار السلبية كذلك:

٨- زعزعة الثقة بالعلماء والدعاة، بل بالإسلام ومناهج العاملين والداعين إليه.

٩- إتاحة الفرص لاحتواء البعض ومساندته ضد الآخر من قِبل أعداء المسلمين والانفراد به إغراء وإغواء.

١٠- انتزاع البركة من الأفراد والجماعة وتركها لنفسها.

١١- يصيب البعض بالإحباط والتثبيط فينزوي بعيداً، وينكفئ على نفسه مؤثراً السلامة كما تزيِّن له نفسه، فيحرم المسلمين من خيره وجهده وإضافاته، وربما كان أسوة سيئة، ونموذجاً سلبيّاً لغيره، فيقوى تيار الانعزال والانزواء، ويضعف رصيد المسلمين في مجال الإبداع والتقدم.

---

(١) مسند أحمد ٢٨/ ١٣٤ (١٦٩٣٧)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وحديث افتراق الأمة منه صحيح بشواهده، سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب شرح السنة (٤٥٩٩).

١٢- يُفقد المسلمون الشعور بوحدة الجسد ووحدة الهم ووحدة المصير، مما يحدو بكل جماعة أن تتصرف بمفردها بمعزل عن الآخرين، وربما أدى ذلك التصرف الانفرادي إلى مآس تعود على المسلمين جميعا بآثارها وتبعاتها.

١٣- إشاعة روح التفرق والتمزق، وبروز المزيد من الجماعات والأحزاب المتدابرة، بل جرت العادة أن التيار الواحد ينقسم على نفسه مرات ومرات، فإن اختلف ثلاثة مع جماعة شكلوا جماعة أخرى.

١٤- تعميق الغرور والإعجاب بالرأي. وتعميق الهوى. وسوء الظن بالآخرين، واتهام النوايا والعصبية للرأي والزعيم والإقليم والحزب والجماعة وتناكر القلوب واحتقان النفوس بالبغضاء. والانشغال عن معالي الأمور ومتطلبات الريادة والسيادة. وتتبع عثرات الآخرين. وضياع كثير من الواجبات الدينية. وتثبيط العزائم.



المطلب الخامس
وسائل دفع النزاع

أولاً: طاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

إذ بطاعتهما تُتلاشى أسباب التنازع والاختلاف، وبالتزام أمرهما تتجمع أسباب النصر المادي والمعنوي؛ فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه،

وحين يكون الهوى المطاع هو الموجِّه الأساس للآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لأمر الله ورسوله، وجعلوا أهواءهم على وَفْق ما يحب الله ورسوله انتفى النزاع والتنازع بينهم، وسارت الأمور على سَنَنِ الشرع الحنيف، وضُبطت بأحكامه وتوجيهاته.

ثانياً: الاعتصام بحبل الله، ووحدة الصف والتعاون على البر والتقوى وأدب الخلاف وفقه الخلاف وقواعده، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، قَالَ:** خَطَبَنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِينَا فَقَالَ: (... **عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ..**)[١].

ثالثاً: حسن الظن، فالشكوك والقدح في نيات الآخرين كفيلة بإيجاد جفوة وفجوة بعيدة لا يمكن التلاقي فيها، لكن الواجب على المسلم أن يحسن الظَّنَّ بكلام أخيه المسلم، وأن يحمل العبارة المحتملة محملاً حسناً.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «أَنْ ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ مَا يَغْلِبُكَ، فَلَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرّاً وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا مِنَ الْخَيْرِ مَحْمَلاً»[٢].

فهكذا يجب أن نحمل آراء الآخرين على المحمل الحسن ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، عندها سنجد أن كثيراً من الاختلافات قد زالت.

---

(١) جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢٦١)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) الاستذكار لابن عبدالبر ٨/ ٢٨١.

رابعاً: التثبت قبل إطلاق الأحكام، وذلك امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

ومن أصول التثبت في الأخبار هو النظر في عدالة المخبر، وضبطه لما ينقل، والتبين ممن أخذ هذا الخبر؛ فقد يكون أخذه من كاذب، ثم النظر في هذا الخبر قبل الحكم على الأمر؛ فقد يحتمل أوجهاً متعددة فيحمل على أحسنها، والواقع أنَّ كثيراً من الناس يحكمون على الآخرين من خلال ما يسمعونه عنهم من غير أن يكلفوا أنفسهم السؤال والتحري عن حقيقة ما سمعوا؛ وقد يكون ما سمعوه هو من اختلاق بعض المغرضين القاصدين للفرقة والنزاع بين المسلمين.

خامساً: الإخلاص في تحري الحق، فالتجرد للحق، والإخلاص لله تعالى، يزيل عقبات الاختلاف؛ ولكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس في ذلك، وإلزامها الحق بقوة.

قال الشَّافِعِيّ: «ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه»[1].

وقَالَ أيضا: «مَا نَاظَرْتُ أَحَداً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يُخْطِئَ»[2].

سادساً: التبصير بمكائد أعداء الأمة ومرادهم من نشر الخلاف بين العاملين لله.

سابعاً: إقناع المتنازعين إلى أن يدور خلافهم في حدود العلم والمادة العلمية بأصولها وألا يتعدى ذلك إلى التثوير واتباع الهوى ورغبات النفس، ويمكنهم بيان

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ١١٨.

(٢) آداب الشافعي ومناقبه حديث ٧٨.



أقوالهم وآرائهم في كتابات علمية رصينة بدلاً من أن تكون على المنابر وفي دروس المساجد، فيغروا بذلك بعض السفهاء من أتباعهم وتتضخم الأمور إلى مالا يحمد عقباه.

ثامناً: العمل على بناء جدر الثقة بين الدعاة والعلماء بعضهم بعضا وإعادة روح المحبة والألفة.

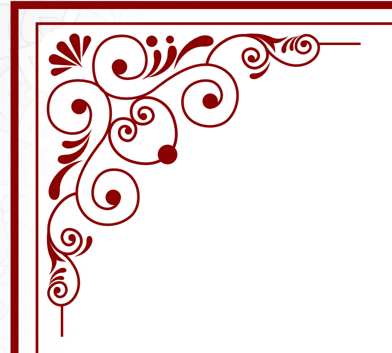
تاسعاً: دفعهم للعمل على وقوفهم وحدة واحدة أمام تيارات التعصب والجهل وأفكار التكفير والإفساد في مجتمعاتنا الإسلامية، وجعلهم جميعاً مرجعية قوية لأهل السنة يدعون إلى الإصلاح والهدى والبناء والإنجاز والفلاح كما أمرتهم آيات الله وسنن نبيه ﷺ.

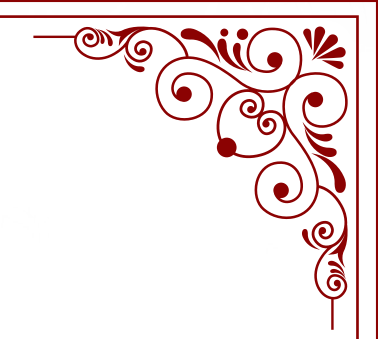
عاشراً: العمل على عقد ميثاق شرف بين الدعاة والعلماء بعضهم بعضاً يعملون في حدوده ويلتزمون بمواثيقه المستمدة من هدي رسول الله ﷺ.

حادي عشر: أن يشترك الجميع في الدعوة إلى الله كل حسب وسعه وتخصصه، وكل يسد ثغرة من ثغور الإسلام، وعدم التنافس المذموم الذي يكرر الجهود ويوغل الصدور.









المبحث الثاني
الإقصاء في العمل الدعوي

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: خطورة الإقصاء في العمل الدعوي.

المطلب الثاني: مظاهر الاقصاء في العمل الدعوي.

المطلب الثالث: أسباب الإقصاء في العمل الدعوي.

المطلب الرابع: كلمة لمن وقع عليه الإقصاء من الدعاة.



المطلب الخامس: علاج مشكلة الإقصاء في العمل الدعوي.









المبحث الثاني
الإقصاء في العمل الدعوي[١]

الإقصاء في اللغة يدور معناه حول الإبعاد، يقال: «أقصيتُه أُقصيه إقصاءً، إِذا أبعدته»[٢].

«**والإقصاء في الاصطلاح العام:** هو الممارسة التي تنفذها السلطة بمختلف أنواعها السياسية والدينية أو القبلية، تجاه من يختلف معها في الرأي والرؤية لإضعاف التأثير الذي يمكن أن يتركه عليها»[٣].

الإقصاء كذلك: «يعني عدم قدرة المجتمع على تفعيل كل أفراده بالدرجة التي يحققون فيها ذواتهم ويفعلون فيها مقدراتهم وقدراتهم ومواهبهم وطاقاتهم»[٤].

«ويوافق مفهوم الإقصاء مفهوم الاستبعاد الاجتماعي، الذي هو نقيض الاندماج أو الاستيعاب، فهو موضوع حيوي وكاشف لطبيعة البنية الاجتماعية في أي مجتمع، فالاستبعاد ليس أمراً شخصيّاً، ولا راجعاً إلى تدني القدرات الفردية فقط! بقدر ما هو حصاد بنية اجتماعية معينة، ورؤى محددة، ومؤشر على أداء هذه البنية لوظائفها»[٥].

يمكن عرضه من خلال خمسة مطالب:

---

(١) ينظر: مقال بعنوان: سياسة التهميش في العمل الإسلامي، د. محمد المصري، منشور على موقعالمركز العربي للدراسات والأبحاث، ومقال بعنوان: الإقصاء والتّهميش في العمل الإسلاميّ أ. محمد خير موسى منشور على موقع الشبكة، وينظر: محاضرة مفرغة بعنوان الاتجاهات العقلانية المعاصرة د. ناصر العقل.

(٢) جمهرة اللغة ٢/ ١٠٧٦، القاموس المحيط ص١٢٣٥.

(٣) ينظر: مقال بعنوان: الإقصاء الاجتماعي، أ. محمد بن عبد الله العجمي، مجلة الفلق الإلكترونية.

(٤) هذا تعريف التهميش وهو قريب من الإقصاء، ينظر: مرافعة لأجل الحقيقة د. حامد البشير إبراهيم.

(٥) الاستبعاد الاجتماعي كتاب عالم المعرفة العدد ٣٤٤.

المطلب الأول

خطورة الإقصاء في العمل الدعوي

لم يعاني أحدٌ من الإقصاء والتّهميش كما عانى منه الدعاة إلى الله على اختلاف توجُّهاتهم وجماعاتهم داخل المجتمعات التي يعيشون فيها ويطمحون لأخذ دورهم وفرصتهم فيها، فقد تمّ إقصاؤهم من أصحاب القرار السِّياسي ومورس عليهم الإقصاء البيِّن من النُّخب غير الإسلاميَّة أزماناً طويلة.

ومع ذلك وقع كثيرٌ من الدعاة والجماعات الإسلامية في شرٍّ ممّا عانوه من غيرهم، فمارسوا الإقصاء والتَّهميش داخل كياناتهم وخارجها.

فالإقصاء يقوم على وضع أفراد الدعوة أو المؤسسات أو الكيانات الدعوية على هامش الأحداث، وعزلهم عن دائرة الفعل والتّأثير.

«والنتيجة الحتمية المترتبة على الإقصاء هي الاضمحلال فإنه حين تقصى مجموعة من غير سبب عملي وموضوعي، فإنك تدفع بها نحو الاضمحلال، وذلك من خلال تحجيم فرص ارتقائها، ومن خلال محاصرتها على الصعيد الثقافي»[(١)].

وفي الوقت الذي يجب فيه على الدعاة التوحد في مواجهة العواصف الشديدة التي تريد أن تقتلع أوتادهم وتهوي بخيامهم في مهبّ الرّيح؛ فإنَّنا نجد أنَّ الإقصاء يجد سبيله ليزيدَ كثيراً من الدعاة وكياناتهم تقوقعاً على الذَّات، وانغلاقاً على أنفسهم، في الوقت الذي يجب فيه الاتِّساع.

والإقصاء يعتمدُ على التهشيم الذي يسبق التَّهميش، والتَّحطيم الذي يسوّق إلى الإلغاء، والاغتيال المعنوي الذي يؤدّي إلى إبعاده عن دائرة القرار إن كان من داخل

---

(١) هكذا هي الحياة، د. عبد الكريم بكار ص ٦١.

الجماعة والكيان، ويؤدِّي إلى إبعاده عن دائرة التّأثير الدعوي والمجتمعيّ والسِّياسي إن كان من خارج الجماعة أو التيَّار.

وهذا الإقصاء يتسبب بدخول العاملين في الحقل الدعوي في معارك بينيّة جميعهم خاسرٌ فيها، ولا ينتصر فيها إلَّا خصمهم وعدوّهم الحقيقيّ الذي يتربّص بهم الدّوائر.

فيكون حالهم كحال قطّين تصارعاً على قطعة جبنٍ، حتَّى إذا أنهكا بعضهما البعض استحوذ الفأر عليها بكلِّ يسرٍ وسهولةٍ، وهو يرقبهُما غارقَينِ في التّعب وجراح المعارك.

إنَّ الإقصاء مانع من نهوض العمل الدعوي وتقدمه، ومهلك له إن تمكن واستأثر كل فرد أو كيان وأقصى غيره.

ويغدو الأمر بالغ الخطورة إن تحوّل هذا الإقصاء إلى ثقافةٍ ودين يتمّ التّنظير له بإلباسِه النّصوص الشرعيّة.

فكم يحتاج هذا من الدعاة والعلماء إلى وقفات جادَّة للتدارك والمعالجة لهذا الدّاء حيثما وُجد، واتخاذ التدابير الفكريّة والتربويّة والعمليّة الوقائيّة قبلَ عضّ الأصابع ندماً حيث لا ينفع النّدم!



المطلب الثاني

مظاهر الإقصاء في العمل الدعوي

للإقصاء عدَّة مظاهر وسأكتفي بصورتين منها:

الصورة الأولى: الإقصاء الذي يُمارس بين فرق العمل الدعوية المختلفة، وممارسة كل مدرسة منها ما يسمى باحتكار الصواب، أو حيازة الخيرية فقط دون ما سواها.

«وهذه الظاهرة ممن يعبر عنه في الواقع الدعوي بمصطلح آخر، وهو مصطلح الحزبية الذي هو عبارة عن داء وبيل يفتك بالإخوة الإسلامية، فيقطع أواصرها ويجعل صفوها كدراً، فهل يجوز للمسلم أن يكون وجهه الطلق وابتسامته العريضة، وسلامه الحار لمن هو من حزبه أو جماعته، ولغيره العبوس والسلام البارد؟!

وهل يجوز للمسلم أن يغض الطرف عن أخطاء أصحابه، وإذا وقع غيره في الأخطاء نفسها شهَّر به وتكلم عليه؟! وإذا ذكرت له انحرافاً في الفكر أو التصور وقع به واحد منهم أتى بالمبررات وقال: هذه أخطاء، ولكنها لا تخدش في أصل المنهج!!

وبسبب هذه الحزبية تراه لا يطَّلع ولا يقرأ ولا يستقي إلا من طرف واحد؛ من كتب أصحابه وممن يُوْصَى أن لا يقرأ إلا لهم، فيتخرج ضيّق الأفق، مشوه الشخصية الثقافية، لا ينظر إلا من زاوية واحدة ولا يعرف إلا الفكر الأحادي، كيف تغلغلت هذه الحزبية إلى صفوف الدعوة؟ ومن الذي يمدها حتى تستمر؟

لا شك أنها التربية السيئة التي تُمارس على الفرد فيقال له: نحن الأفضل، وغيرنا فيه نقص كذا ونقص كذا، وكل هذا حبّاً في التكثير والتجميع، فلا بد أن يشوه الطرف الآخر حتى لا يذهب الفرد إليهم، وكأننا أحزاب تتنافس على الانتخابات فهي تشتري الأصوات بالدعاية والمال.

ومن هذه التربية أن يحال بين الفرد في أول عهده بالدعوة وتلقي العلم، وبين الجلوس إلى العلماء أو من عندهم علم وخبرة، فيربونه بأدبهم وسمتهم وتجربتهم، وإذا حيل بينه وبين هذا فهو يتلقى ممن يباشر عملية التربية، فإذا كان ديناً وعنده علم وليس فيه حب الزعامة كانت التربية أقرب للصواب، وإذا كان ممن يحب الزعامة أو فيه شيء من زغل العلم فعندئذ يتخرج من تحت عباءته شباب متحزبون مشوهون»[١].

---

(١) خواطر في الدعوة (الحزبية). د.محمد العبدة.

الصورة الثانية : تهميش مجموعة من أفراد العمل داخل فريق العمل الواحد لأسباب مختلفة وقد يكون منها عدم التوافق النفسي بين الأفراد، أو اختلاف الفروق الفردية.

وهو ما يصفه البعض بمصطلح آخر: وهو الشللية، والذي هو: «داء قديم سَرَى إلى التجمعات الإسلامية، وهو أن تجمع عدد قليل ممن تتقارب أسنانهم أو ثقافتهم أو جمعهم الإقليم الواحد، وقد يكون هذا طبيعيًّا في البداية، ولكن بسبب انسجام آرائهم، يتطور الأمر ليشكلوا أداة ضغط على العمل ويتعصبون لبعضهم، ويقدمون الخدمات لأنفسهم، ويحاولون كسب الأنصار، ولا مانع عندهم من وضع الناس في غير مواضعهم وعلى حساب الكفاءة والإخلاص، وتسير الأمور بهذه الطريقة وتصبح كأنها ظاهرة طبيعية فيشار إليها ضمن العمل الكبير ويقال: مجموعة فلان أو «شلة فلان».

وهذا المرض إذا لم يتنبه له في البداية يستفحل ويؤثر تأثيراً سلبيًّا على الدعوة، وعودة إلى السيرة النبوية وفقهها ترينا كيف منع رسول الله ﷺ مثل هذه التجمعات التي تبنى على القرب الجغرافي، أو الانسجام في النفسيات، وذلك بأن استفاد ﷺ من الطاقات المبدعة ووضع كل إنسان موضعه، وشغلهم بالنافع والمفيد، ولم يقرب أحداً لقرابة أو لمغنم أو مغرم، فالكل يرى نفسه منسجماً مع الدعوة له مكان فيها، ولكن عندما تقع أخطاء مثل هذه من الكبار فمن الطبيعي أن يكون رد الفعل انحرافات مثلها، فيتجمع العدد القليل ليثبتوا أنهم موجودون وأن لهم تأثيراً وفاعلية، وقد يكون من الطبيعي أن ينسجم عدد محدود مع بعضهم على ألا يؤدي هذا إلى عمل جيوب داخل الجماعة، وعلى من يمارس عملاً مثل هذا أن يتقي الله، ويشعر بالمسؤولية ولا يزكي أحداً إلا على أساس الكفاءة والإخلاص»[(١)].

---

(١) خواطر في الدعوة (التجمعات الصغيرة). د.محمد العبدة.



المطلب الثالث

أسباب الإقصاء في العمل الدعوي

أولاً: أن يكون منهج الاستيعاب الدعوي في فريق العمل الدعوي به خلل، بحيث يجعل من الصعوبة التعامل مع جميع الأفراد داخل فريق العمل.

والذي لا شك فيه أن الدعاة كبقية الناس يتفاوتون في قدراتهم على الاستيعاب، ولكن الذي لابد منه كذلك أن يتمتع كل داعية بحد أدنى من القدرة على الاستيعاب لأنه بغيرها لا يكون داعية أو عاملاً في إطار الدعوة.

إن عدم توفر الحد الأدنى من القدرة على الاستيعاب قد لا تجعل الداعية عقيم الإنتاج عديم الفائدة فحسب، بل قد تجعله مسيئاً للإنتاج مسبباً الضرر للإسلام والدعوة إليه، على حد سواء.

إن العلاقة بين الاستيعاب ونجاح الدعوة علاقة جذرية، إذ لا نجاح بدون قدرة على الاستيعاب، والدعوة الغنية بالدعاة القادرين على اجتذاب الناس إلى الإسلام وإلى الدعوة يصبح حظها من النجاح ومن تحقيق أهدافها قويّاً.

ثانياً: أن لا يكون التعامل مع الجميع وفق مرضاة الله، أو أن لا يكون معيار التفاضل بين الأفراد هو حيازة الصواب والإخلاص والكفاءة في العمل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس في كتاب الله آية واحدةٌ يمدح فيها أحداً بنسبه، ولا يَذُمُّ أحداً بنسبه، وإنما يمدحُ الإيمانُ والتقوى، ويذمُ بالكفرِ والفسوقِ والعصيان»[١].

ثالثاً: إهمال مبدأ الشورى في العمل الدعوي، وعدم أخذ رأي من يستحق أن

---

(١) الفتاوى الكبرى١/ ١٦٤.

يستشار، فإن إهمال مبدأ الشورى -فضلاً عن إنه يسبب مثل هذه الظاهرة- ويخالف النهج النبوي وكيف كان ﷺ يأخذ رأي أصحابه، بل قد يدع رأيه ﷺ كما حدث في أُحُدٍ، وبعد هذه الغزوة نزلت آية: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، تأكيداً لمبدأ الشورى.

يقول الطرطوشي حول هذه الآية الكريمة: «إذا قيل كيف يشاورهم وهو نبيهم وإمامهم وواجب عليهم مشاورته، قلنا هذا أدَبٌ أدَّبَ اللهُ تعالى نبيه عليه السلام به، ومن أقبح ما يوصف به الرجال -ملوكاً كانوا أو سوقة- الاستبداد بالرأي وترك المشورة»(١).

ويقول السعدي: «فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره، منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله، ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله»(٢).

رابعاً: بسبب ضعف الإدارة والقيادة وعدم معرفة مهاراتها، فيفشل متصدِّرو المشهد الدعوي أو صانعو القرار في استثمار الطَّاقات الدعوية المختلفة وتوظيفها.

خامساً: الإقصاء خلل فكري منهجي، فالممارسة الإقصائيّة تكشفُ عن معضلةٍ فكريَّة تقوم على احتكار الصَّواب واعتقاد الأفضليَّة الفكريَّة على الغير.

سادساً: المشاكل النفسية، فالممارسة الإقصائيَّة تكشف عن مشكلة نفسيَّة تقوم على غياب الشُّعور بالتَّكامل الأخوي بين العاملين في الحقل الإسلامي من مختلف المكوِّنات وحلول المشاعر السَّلبيَّة تجاه بعضهم البعض.



---

(١) الشورى هل نلتزم بها، د/ محمد العبدة، مجلة البيان العدد ٣٨، وسراج الملوك ص ٩٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٤٤٥.

المطلب الرابع

كلمة لمن وقع عليه الإقصاء من الدعاة

أولاً: لا تغرق في المثالية، وذلك حتى لا تقنط أو تنقطع عن الطريق، فمن تأمل سيرة النبي ﷺ رأى مواقف عدة برز فيها الضعف البشري من أصحاب النبي ﷺ الذين هم خير الناس.

إن هذه المواقف لا يجوز أن تكون وسيلة لانتقاص أصحاب رسول الله ﷺ أو إساءة الأدب معهم، أو التقليل من شأنهم، كما لا يجوز تسليط المجهر عليها بما يعزلها عن السياق العام لحياتهم المشرقة والمضيئة.

إنها تعطي الدرس للجميع ألا يبالغوا في تصور الكمال من الجميع، سواء أكانوا مربين أو أفراد، وأن يعلموا أن الكبار مهما جل قدرهم، وعلا شأنهم لا يسلمون من الهفوة والزلة.

وهي في الوقت نفسه تعطي الدرس للمربين في ألا يغرقوا في رسم الصور المثالية لمن يتربون على أيديهم، وأن لا يحاسبوهم في ضوء الصورة المثالية، إنها تدعو إلى الواقعية التي لا تقود للاستسلام للواقع، بل لحسن التعامل معه، والسعي لتجاوز ما يمكن من خلل وقصور(١).

ثانياً: إنَّ الواجب إرخاء الستر عن الأخطاء والتأسي بخير البشر محمد ﷺ في التعامل مع الأخطاء، فعلى الداعية المسلم الذي يشعر بأنه وقع له نوع من التهميش أن يتخلق بخلق العفو كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، قال مجاهد: يعني خذ العفو من أخلاق الناس

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٤٤٥.

وأعمالهم من غير تخسيس مثل قبول الأعذار والعفو والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش عن حقائق بواطنهم»[١].

ثالثاً: على الداعية أن يلحظ مشهد السلامة وبرد القلب، وهو مشهد شريف لمن عرفه وذاق حلاوته؛ وهو أن لا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى، وطلب الوصول إلى درك ثأره وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرى أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له، وألذ وأطيب وأعون على مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه، فيكون بذلك مغبوناً، والرشيد لا يرضى بذلك، ويرى أنه من تصرفات السفيه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس وإعمال الفكر في إدارك الانتقام[٢].



المطلب الخامس

علاج مشكلة الإقصاء في العمل الدعوي

وعند الحديث عن كيفية علاج الإقصاء والتّهميش داخل العمل الإسلامي؛ فإنَّ العلاج يجب أن ينطلق من عدة منطلقات منها:

أولاً: التنبه له من البداية:

«لا ينجو من هذا الداء إلا من تنبه له من البداية، وعرف أن أنواعاً من التربية ستؤدي حتماً إلى الحزبية، فخاف واحتاط لنفسه، فهو يحاسب نفسه ويلتفت وراءه

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣١٦.

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٣٠٤.

ويجدد ويتجدد بين كل فترة وأخرى، حتى لا يقع في هذا الداء الذي تطاير شرره وعم بلاؤه»[(١)].

ثانياً: يجب أن يكون تحرير معلم الولاء والبراء للحق لا للأشخاص:

ولنتأمل في أنفسنا: ما هو محور الولاء فيها «أهو الرجل أم الحق؟ وماذا نفعل حين تقدم لنا فكرة «الرجل» الذي نحبه تحت اسم «الرجل» الذي نكرهه؟ ألا يدفعنا ذلك إلى رفضها، ربما دون النظر فيها؟!! وهل يسهل علينا أن نرى الرجل الذي نحبه يخطئ أو نصف رأيه بأنه «خطأ»؟ فأهل السنة والجماعة انتسابهم وانتماءهم للكتاب والسنة، ومتبوعهم هو محمد ﷺ، وأما الرجال عندهم فأدلاء على الحق»[(٢)].

ثالثاً: الاهتمام بالتربية للأفراد، والبناء العقائدي:

لا بد من التربية الإيمانية والعقدية ومتابعة تزكية النفس وتقويم سلوكها، لأن البناء التربوي يمثّل العماد الذي تقوم عليه روح الدعوة، وذلك من خلال برامج وأنشطة تصبّ في خدمة الدعوة وتبعد الأنانية والإقصاء، وتنزع الغلّ من النُّفوس، وتعالج أمراض النّفس من الحسد والنَّميمة والتّنافس غير الأخلاقي، والتَّذكير الدَّائم بمقتضيات الإيمان؛ وتعزيز روح الأخوّة والمساواة، بمفهومه الواسع ليشمل كل العاملين في الحقل الدعوي من العوامل الكفيلة بالقضاء على الإقصاء والتّهميش الذي ينتجه التَّعصب الحزبيّ، كلُّ ذلك من الرّكائز الأساسيّة التي تمثّل مواجهةً وقائيَّةً وتعاملاً علاجيَّاً مع ثقافة الإقصاء والتَّهميش.

رابعاً: تغييرُ المناهج لا الخطابات:

فلا جدوى من كلّ خطابات مكافحة التّهميش والإقصاء دون تغيير السّياسات

---

(١) خواطر في الدعوة (الحزبية). د. محمد العبدة.

(٢) بين الحق والرجل، د.محمد محمد بدري.

التي أنتجت هذا الدَّاء، أو أتاحت له الفرصة ليجدَ له موطئ قدم داخل مجموعات ومؤسسات الدعوة أو أفرادها.

إنَّ بقاء المناهج التي أنتجت الإقصاء والتَّهميش يضمن استمراره ولن يكون هناك قيمة كبيرة لخطاب التصبير ومكانة الرضى وفضيلة التّجاوز.

خامساً: توظيف الطاقات وتقديمها على رغبات النفس:

وذلك يعني اعتماد سياسات الدمج وتوظيف طاقات الأفراد المختلفة وأفكارهم ورؤاهم في خدمة أهداف الدعوة، بحيث يشعر الدعاة أنَّهم مشاركون فعليّون في صناعة الأحداث الكبيرة، مهما كانت مواقعهم وأعمالهم.

فالأحداث العظيمة والتحوّلات المفصليّة على مستوى الأمة والشّعوب لا يمكن أن يصنعها شخصٌ بمفرده مهما كان مُلهَماً، ولا جماعةٌ متقوقعةٌ على ذاتها مكتفيةٌ بأبنائها.

من أهم الأحداث التي مرت على المسلمين الهجرة من مكّة المكّرمة إلى المدينة المنوَّرة، وهو نقطة التُّحوُّل الأكبر في تاريخ المسلمين التي نقلتهم من الدَّعوة على خوف من الاضطهاد إلى التمكين والإمامة في الخير، ومن العمل الدعوي الفردي إلى الكيان المؤسَّسي الذي يمثله المسجد النبوي.

وفي صناعة هذا الحدث العظيم والتَّحوُّل الخطير حرص رسول الله ﷺ على إشراك الشَّرائح المجتمعيَّة كافَّة.

فأشرَك الشَّرائح العمريَّة والتَّخصُّصية المختلفة، فأشركَ أبا بكرٍ رضي الله عنه الرّجل الكهلَ التّاجر الغنيّ.

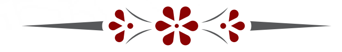
وأشرَكَ عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الفتى الفدائيّ، وأشرَكَ عبد الله بن أبي بكر الشّاب الثّقِف القادر على التّتبع اللَّقِن القادر على الحفظ والتَّحليل ليمارس عملاً مخابراتيّاً تخصصياً بالغ الأهميَّة.

وأشرَكَ أسماء بنت أبي بكر المرأة الفاعلة المتحرّقة لخدمة قضيّتها، ولم يمنعه من إشراكها كونها حاملاً تنتظر مولودَها.

وأشرَكَ عامرَ بن فهيرة راعي الغنم الذي لا يلتفتُ لموقعه أحدٌ ويتعاملُ النّاس مع أمثالِه بازدراءٍ من الأمس المنصرم إلى يومنا هذا.

بل إنَّ رسول الله ﷺ لم يقتصر على المسلمين بل أشركَ غير المسلمين ممّن يساندونه في مواجهة الظُّلم؛ فأشرَكَ عبد الله بن أريقط المشركَ في صناعة هذا الحدث العظيم، وكان عمله في مهمَّةٍ من أخطر المهمَّات وهي الدَّلالة على الطَّريق.

وقد سبق ذكر هذه الأخبار وتخريجها.





المبحث الثالث
الفوضوية في العمل الدعوي[1]

وبيان ذلك في سبعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الفوضوية وخطرها.

المطلب الثاني: مظاهر الفوضوية في العمل الدعوي.

المطلب الثالث: أسباب الفوضوية في العمل الدعوي.

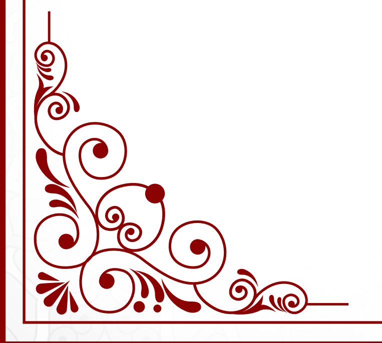
المطلب الرابع: آثار الفوضوية.

المطلب الخامس: أهمية الترتيب والتنظيم في الدعوة.

المطلب السادس: علاج مشكلة الفوضوية.

المطلب السابع: ثمرات الترتيب وترك الفوضوية.

(١) ينظر: الفوضوية في حياتنا، د. عادل العبدالعال، والفوضوية في الدعوة، مقال منشور على موقع تيار الإصلاح.







المطلب الأول
مفهوم الفوضوية وخطرها

الفوضوية: تطلق على عدة معان منها[(١)]:

١- **الاختلاط والاشتراك:** يقال قوم فوضى أي مختلطون.

٢- **استواء الجميع وعدم وجود الأمير والقائد:** يقال قوم فوضى أي لا أمير لهم يجمعهم، ويقال: قوم فوضى أي متساوون لا رئيس لهم.

٣- **التفرق:** يقال صار الناس فوضى أي متفرقين، والوحش فوضى أي: متفرقة تتردد.

ينبغي على الداعية ترتيب جدول أعماله وتنظيم أوقاته بما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه لكي تكون النتائج مثمرة في العمل الدعوي.

ولكن من المؤسف أن تصبح من أبرز مشكلات العمل الدعوي ظهور الفوضوية في حياة الدعاة والعمل الدعوي، وليس من الصواب أن نتهرب من هذه الحقيقة، بل علينا أن نعترف بها ونواجهها بكل شجاعة ونسعى لحلها بشكل مناسب.

فالفوضوية في الدعوة: أن يمضي الداعية على غير هدى، وبدون ترتيب، فليس هناك نظام ولا خطة ولا هدف، ولا معالم واضحة للسير، وإنما كل ما هناك رؤية عابرة، وكلمة طائرة.

شيء مؤسف حقًّا أن يفكر الداعية بهذه الطريقة، فأية عبقرية هذه التي تأتي بها الفوضى؟! فالكون كله مبني على النظام والدقة المتناهية، وكل شيء فيه مصرف

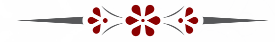
---

(١) لسان العرب ٦/ ٣٤٨٥،٣٤٨٦.

ومدبر بحكمة، وليس من شيء يتم هكذا جزافاً أو عبثاً أو ارتجالاً أو مصادفة أو اعتباطاً، حاشا لله القائل في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩]، قدر يحدد حقيقته، ويحدد صفته، ويحدد مقداره، ويحدد زمانه، ويحدد مكانه، ويحدد ارتباطه بسائر ما حوله من أشياء، وتأثيره في كيان هذا الوجود.

وشعائر الإسلام كلها، من صلاة وصيام وحج وزكاة، كلها لها أوقات مخصوصة وشروط محددة، فلا مجال للفوضى، ولكن يبدو أن الفوضى في العقول وفي الفهوم وفي القلوب، وهذه ضررها أكبر من الفوضى في الأشياء والمحسوسات، **فمن الخطأ الكبير أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك**[1].

إن الانضباط في الانفعالات والأحاسيس، والانسجام في الأفكار، ووضوح الرؤية والهدف، يجعل الشخصية أكثر اتزاناً، والترتيب والنظام في الهندام وفي المكان وفي الأعمال، وفي كل شيء في الحياة، يشيع في النفس ارتياحاً، ويجعل الأمور تسير بانسيابية أكثر، وأما الفوضى فلن تأتي إلا بالفوضى.



المطلب الثاني

مظاهر الفوضوية في العمل الدعوي

من مظاهر الفوضوية في الدعوة إلى الله:

أولاً: أن لا يدري الداعية ما يقول، وهذا شعور يدل على فوضوية الداعية، فحين يكون مع المدعو تجده صامتاً لا يدري ماذا يقول، أو تجده يرمي الكلام على عواهنه دون وعي وتفكير، وأحسن الأحوال أن تخطر في باله قصة أو فكرة فيقولها، دون أن

(١) وحي القلم للرافعي ٢/ ٣٥.

تكون منتظمة في إطار منسق مع غيرها من الأفكار والقصص.

ثانياً: لا يدري الداعية ما يعطي للمدعو ليقرأه أو ليسمعه؟ فتجد خلطاً عجيباً من العناوين، وتجد أشياء غير جيدة، وتجد أشياء لا تناسب المستوى الفكري والإيماني للمدعو، وتجد أن بعض الجوانب فيها تطغى على بعض.

ثالثاً: عدم التجانس التربوي: وهذه ظاهرة خطيرة، وصورة سيئة من صور الفوضوية لدى الدعاة، فحين يغيب النظام، وتحل الفوضوية، تتأمل في طرائق التربية، فتجد أن الداعية الذي تميز في الجانب الإيماني يغترف من بضاعته للمدعو فيغرقه بالإيمانيات، أما الفكر والمسائل الثقافية والمهارات العملية فتجده أبعد ما يكون عن محاولة بيانها للمدعو! وتجد الداعية الذي تميز بالفكر والاطلاع يغرق صاحبه في بحر من القراءات والتحليلات على حساب الجانب الإيماني، وهكذا تصبح لدينا في النهاية تضخمات لجوانب معينة على حساب جوانب أخرى.

رابعاً: الانتقاء العشوائي: فالداعية يهتم بمن جاء إليه، ودخل تحت سقف مسجده، دون تأمل وتفكير: هل يصلح هذا المدعو أم لا؟ إلى أي مرحلة سأصل معه؟ ومن ثم نجد من يمشي مع صاحبه سنين ذوات عدد ثم يصاب بالإحباط؛ لأنه فوجئ أن صاحبه هذا لا يمكن أن يستمر بحال! أفلا وعيت ذلك من قبل؟[١].

خامساً: عدم محاسبة الداعية نفسه، وعدم معرفة عوامل النجاح وأسباب الإخفاق: قال الماوردي في معنى المحاسبة: «أن يتصفَّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل»[٢]، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) الفوضوية في حياة الدعاة، موقع: صيد الفوائد.

(٢) أدب الدنيا والدين، ص٣٤٢.

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

سادساً: غياب الخطة والهدف: التخطيط هو تحديد الأهداف المراد تحقيقها، ورسم خط السير إليها، وتحديد وسائل ذلك السير، مع وضوح التصور لما يمكن أن يحدث أثناء العمل من المستجدات والتطورات، ووضع ما يناسب ذلك من طرق التعامل؛ مما بات يسمى بالخطة والخطة البديلة، شريطة أن يستهدف ذلك أكبر قدر ممكن من المكاسب، وأقل قدر ممكن مِن الخسائر.

إن أغلب الناس تكون حياتهم ضمن نطاق إدارة الكوارث؛ أي أنهم ينتظرون حتى تبدأ كارثة أو مشكلة، ثم يسعون في طلب الحل، وبالتالي غياب التخطيط في حياتهم.

والتخطيط يتميز بخاصيتين؛ **الأولى:** أنه يقودك من حيث أنت الآن إلى حيث تود أن تكون، **والثانية:** أنه يحدد الموارد المطلوبة لتحقيق الهدف من حيث التكلفة والوقت.

إن أهم معوقات التخطيط هي عدم وضوح الأهداف، وعدم وجود خطط يومية وأسبوعية وسنوية، وعدم تحديد الأولويات، وترك الأعمال قبل إنهائها والشروع في أعمال أخرى، والأهم هو عدم تحديد أزمنة واقعية للتنفيذ.

فيتحرك الداعية دون تحديد لهدف عام أو خاص وغير واضح؛ ولكنه رأى الناس يعملون فعمل معهم فهو لا يدري لماذا يسير؟ ولا كيف يسير؟ والجهل بهذين مصيبة وأي مصيبة.

سابعاً: الفتور، فالداعية إذا لم ينطلق في دعوته بترتيب وتنظيم وتخطيط، واعتمد على العشوائية والعفوية والارتجالية في عمله، يطول عليه الطريق، وتضطرب عنده الرؤية فتضعف عنده النتائج، وعندها يصيبه الحزن والفتور وربما التوقف والانقطاع.

ثامناً: أن تجد الرجل يربي جيلاً على العشوائية، فمن صور العشوائية العشوائية



في البرامج المطروحة، فتجده لا يفكر ولا يتأمل ما هو المناسب وغير المناسب، وإنما قد تكون وليدة الساعة أحياناً.

تاسعاً: العشوائية في الدروس الملقاة، والإهمال الفظيع للتربية الإيمانية، فلا عجب أن ترى من الشباب من يسلكون الفوضوية، فترى الشاب متحمساً في الأعمال الإغاثية، ثم لا يلبث أن يعود الى الأعمال الدعوية، ثم لا يلبث أن يعود الى عمل دعوي آخر وهكذا، فعند ذلك هل ترجى ثمرة من أشجار انقطع عنها الماء ولم تجد من يرعاها؟



المطلب الثالث

أسباب الفوضوية في العمل الدعوي

¤ أولاً: عدم ترتيب الأولويات:

التشتت يعني عدم القدرة على اتخاذ قرار صحيح، وهذا نتيجة التربية التي لم تولد عند الداعية الاهتمام بالتصنيف التصاعدي حسب الأهمية، وحسب الارتباط؛ مما قد يولد عند الفرد التشتت الذهني، وعدم الاكتراث بحسن التدبير.

ولذلك فإن من جملة التعامل مع الحقائق ترتيب الأولويات في القضايا التي تحتاج إلى معالجة، وهذا الترتيب لا ينبع إلا من إدراك عميق لطبيعة القضايا والظرف العام الذي تجري فيه المعالجة[١].

ففي مجال الدعوة التي تحتاج إلى فقه ترتيب الأولويات إذا فقدها الشخص قد لا ينجح في التأثير على المدعوين، ويرجع أغلب التشتت الذهني إلى عدم الاقتناع بأهمية ما نفكر به، أو إلى أن هناك ما هو أهم منه.

---

(١) فصول في التفكير الموضوعي، ص٩٩،

⌑ ثانياً: ضعف التربية:

فالدعاة الذين تربوا على ألّا يجعلوا المسؤولية عليهم وإنما على غيرهم، وعطلوا طاقاتهم؛ فستأتي عليهم الأيام بمسؤوليات جسام، لا يدرون كيف يتعاملون معها، وتراهم هكذا في فوضوية من أمرهم، لا يحسنون إدارة أمورهم؛ لأنهم اعتادوا أن يدبر أمورهم غيرهم.

ومما تجب الإشارة إليه في باب ضعف التربية ما يلي:

أ- ضعف البدايات، وعدم بناء الشخصية المسلمة على أسس قوية مؤصلة؛ مما يجعلها هزيلة غير متمكنة، تميل إلى ما قامت عليه وتحن إليه؛ مما يجعل صاحبها يعاني أيما معاناة.

ب- عدم التدريب على المبادرة؛ بل أحياناً تربية الفرد على السلبية وانتظار التكاليف، فهو إمعة ومقلد.

ج- ضعف الثقة بالنفس، والخوف من الإحباط والفشل، والتهيب من كل جديد.

د- الغفلة عن مبدأ الثواب والعقاب، أو إساءة استخدامه.

هـ- التعنيف في المحاسبة، وتضخيم الأخطاء، وكثرة العتاب، وعدم مراعاة الفروق الفردية، والظروف الاجتماعية؛ مما يسبب للشاب نفوراً ووحشة وإحباطاً.

وإبراز الشخص وتحميله مسؤوليات كبيرة قبل نضجه وإعداده وتربيته، وهذا بلاء عواقبه وخيمة في العاجل أو الآجل[1].

⌑ ثالثاً: الجليس الفوضوي:

قال رسول الله ﷺ: (مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير،

(١) الفتور، لناصر العمر، ص٧١.

فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)[١].

فدل هذا الحديث على التحذير الشديد من جلساء السوء؛ لأنهم شر على من يجالسهم، وربما قصدوا أن ينفعوه فيضروه من حيث لا يشعرون.

فالواجب على الداعية العاقل ترك صحبة الأحمق، ومجانبة معاشرة الفوضوي، كما يجب عليه لزوم صحبة العاقل الأريب، وعشرة الفطن اللبيب؛ لأن العاقل وإن لم يصبك الحظ من عقله أصابك من الاعتبار به، والأحمق إن لم يُعدِك حمقه تدنست بعشرته.

⌑ رابعاً: ضعف الإرادة:

فإن ضعيف الإرادة يتخاذل فتميل نفسه إلى الكسل، فلا يكون حازماً في تنفيذ أعماله، فمن الصعب من كان هذا حاله أن يرتب أعماله وواجباته وفق نظام عمل سليم.

قال شيخ الإسلام: «والإرادة الجازمة مع القدرة تستلزم وجود المراد ووجود المقدور عليه منه، فالعبد إذا كان مريداً للصلاة إرادة جازمة مع قدرته عليها صلى، فإذا لم يصل مع القدرة دل ذلك على ضعف الإرادة»[٢].



(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك (٥٥٣٤)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين (٢٦٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٢٦.

المطلب الرابع

آثار الفوضوية

✍ أولاً: ضياع الأوقات والطاقات:

فالفوضى تذهب عليه الأوقات وهو يتخبط في أحواله، فما أن يبدأ بمنهج إلا وتراه ينقلب إلى غيره، وما إن يمسك بعمل إلا وينتقل إلى غيره، وهكذا حتى يذهب عمره وهو لم يحصل شيئاً، فهو بذلك يعيش عقوقاً لوقته، كما قال أحد الحكماء: «من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه»[1].

إن الحفاظ على الوقت من أوجب الواجبات وأهمها في حياة المؤمن، الذي ينبغي له تسخير الوقت واستثماره في كل ما يعود عليه بالفائدة في دينه ودنياه، متأسياً في ذلك بسلفنا الصالح الذين كانوا يعرفون للوقت حقه، مما خوَّلهم في أقل من قرن من الزمان أن يُحدِثوا انقلاباً جذريًّا في مفاهيم كثير من المجتمعات التي حملوا الإسلام إليها.

✍ ثانياً: الفشل المحقق:

العمل المنظم المتقن يتطور ويرتقي، والعمل الفوضى يتدهور وينتهي.

كثير من الناس يتجنب التخطيط ووضع الأهداف مخافة الفشل، ولو حاولوا لنجحوا؛ بل إن من يحاول تزداد خبرته ولو لم ينجح، فالمعرفة والخبرة التي ستكتسبها في سعيك لتحقيق هدف ما يمكن أن تساعد على تحقيق هدف ربما أكبر من السابق.

فالفوضى بالتالي هي الفرار من الفشل المتوقع إلى الفشل الواقعي أو الحقيقي.

---

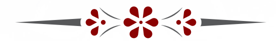
(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/ ٢٨٨.

ثالثاً: الفتور والانقطاع:

فالفوضوي لا يرى ثماراً تشجعه على مواصلة الطريق، فالمربي في حلقته حينما تكون أعماله ارتجالاً ولا تنظيم، فلا شك أنه لن يرى ثماراً تشجعه على الاستمرار في العمل، فمن ثم تكون نهايته الفترة يعقبها توقف وانقطاع.

إن وكل إليه أمر في العمل للدعوة إلى الله ضيعه وما أتقنه، لا يؤديه على أكمل وجه، ولا يستطيع أن يستمر فيه، يبدأ في عمل ثم يتركه، يبدأ في أمر في الدعوة إلى الله ثم لا يلبث أن يتركه ولا يستطيع أن يتحمله.

فعندما تكون الاندفاعة قوية أكثر من اللازم، وغير مستوعبة للواقع، ولا مدركة للإمكانيات، ولا متهيئة في الأخذ بالأسباب؛ فإن هذه الاندفاعة تمضي فلا تحقق نتيجتها، فيرتد حينئذ بعد تجربة وثانية وثالثة إلى فتور، ويترك معه كل عمل وكل حيوية وكل نشاط وكل إيجابية؛ بل يرتد حينئذ إلى نفسية محطمة مهزومة لم يعد عندها أدنى درجات الثقة بالنفس التي يمكن أن تكون أساساً للانطلاق أو العمل.



المطلب الخامس
أهمية الترتيب والتنظيم في الدعوة

ورد في السنة أنه زار سلمان الفارسي أخاه أبا الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد آخى بينهما - فرأى أم الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل، فإني صائم. فقال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل؛ قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم.

فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال سلمان: إن لبدنك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا فأعط كل ذي حقٍّ حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: النبي ﷺ: **(صدق سلمان)**[(١)].

فهذا حث من النبي أن يكون كل وكل إنسان عموما وكل داعية خصوصا منظما في حياته مرتباً لأولوياته، يعطي كل شيء حقه، ولن يكون ذلك إلا بالتنظيم والترتيب، وهكذا كان رسول الله ﷺ في شأنه كله.

وهذا ما يسميه علماء التربية والإدارة: بالتوازن بين أدوار الحياة للشخص الواحد، فالداعية في هذه الحياة عليه متطلبات كثيرة، وحقوقٌ كثيرة؛ فلربه حقوقٌ، ونفسه حقوقٌ، ولأبويه حقوقٌ، ولأسرته حقوق، ولأرحامه حقوقٌ، ولدعوته حقوقٌ، ولإخوانه المسلمين حقوقٌ.. وغير ذلك من أصحاب الحقوق، ولن يستطيع أن يعطي كل أحد حقه إلا إذا نَظّم حياته وعمله وكل أموره.

والداعية -خصوصاً- الأضواء مسلطة عليه فإذا قصَّر في حق نزل من أعين من قصر فيهم، وخصوصاً عندما يكون على منبر الدعوة، والدعوة في هذا الوقت قد تعددت وسائلها، كما أن وسائل التلقي قد تعددت، فيجب على الداعية مواكبة عصره ومجتمعه بما لا يتعارض مع دعوته وعلمه وأصحاب الحقوق عليه.

إن فهم وعي الداعية بأهمية ومهارات تنظيم الحياة يدفعه إلى أن يصبح أكثر إنتاجية حتماً، لأن كثير من الدعاة يشتكي من قلة الوقت وضيقه وهذا من عوارض مرض عدم تنظيم الحياة وشؤونها بالطريقة المثلى.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (١٩٦٨).



ومن العوارض كذلك عدم فعل الأشياء في مواعيدها فالداعية يكون مشغولاً لدرجة أنه قد لا يقوم بالأشياء البسيطة الواجبة عليه في وقتها.. فما تأخير بعض الدعاة عن الصلاة أو صلة الرحم أو بر الوالدين أو عنايته بأولاده أو تقصيره في طلب العلم إلا نتيجة من نتائج عدم تنظيمه لوقته.

«فالتنظيم للحياة يربط كافة مَجهودات الداعية وتطلُّعاته مع بعضها ببعض، ويُحدِّد حجم الالتزاماتِ والمسؤوليات التي تقع عليه، ويقيس إنجازات الداعية ومدى إحرازه وتَقَدُّمه في هذه الالتزامات وتنفيذها.

وبالتنظيم أيضاً يُحدِّد الداعية هدفه وغايته من هذه الحياة، وما الذي يُريده منها، ويعرف ما لديه من إمكانيَّات وقدرات ومهارات تُساعده على تحقيق الأهداف والطُّموحات التي يسعى إليها، والتي تُعينه على مواجهة المشكلات الطارئة التي قد يتعرّضُ لها بين وقتٍ وآخر.

يجدُ الداعية من خلال التنظيم متَّسعاً من الوقت يساعده على النجاح والتقدُّم نحو الأمام وإثبات الذات، ورفع الروح المعنويَّة لديه، والحالة النفسيَّة والعاطفية التي يعيشها، والتي يترتب عليها تحسنٌ ملحوظٌ في علاقاته مع الأفراد المحيطين به.

فالتنظيم بمعنى آخر هو الحياة للداعية، وهو استغلالٌ للفرص المتاحة وتحويلها إلى أهدافٍ قابلة للتحقيق في فترةٍ زمنية مُحدَّدة»[1].



(١) التخطيط أول خطوات النجاح جيمس آر شيرمان، صفحة ٢٢، ٣٢ - ٣٤، جزء ١. بتصرّف.

المطلب السادس

علاج مشكلة الفوضوية[١]

▪ **أولاً: معرفة قيمة الوقت وتنظيمه وفق الأولويات** والمراحل الدعوية، يقول ابن الجوزي: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة من غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»[٢].

▪ **ثانياً: التخطيط الجيد وكتابة الأهداف،** ووضوحها لدى الداعية من أهم الأسباب التي تقي من الفوضوية في العمل الذي يترتب عليها ضعف الإنتاج وعدم ظهوره ومن ثم يحس الإنسان بالإحباط.

ومن جانب آخر فإن التخطيط وكتابة الأهداف يجعل الداعية يعمل بمرحلية ويجعله يتأنى في قرارته وبرامج الدعوية، فلا يكلف نفسه ما لا يطيق ولا يعيش في مثالية بعيداً عن الواقعية والتدرج، فيُسَوِّف حتى يجد الوقت المناسب ولن يأتي.

▪ **ثالثاً: وجود مرجعية للدعاة،** لكي يحس بالأمان بأنه يعمل ضمن فريق وقيادة وأهداف واضحة، لها مراحلها، بعيدة عن الفوضوية، والحماسة غير المنضبطة، ولمعرفة المخاطر التي تحوم حوله وتتربص به، ليتحقق هدف الدعوة بشكل أفضل، ويكون جماعيًّاً به، ولضبط العمل الدعوي ومراقبته ومتابعته وتطويره وتقييمه، بعيداً عن الحزبية المقيتة والفوضوية المضيعة للجهود.

▪ **رابعاً: إدراك الدعاة الدور المنوط بهم،** فدائماً ما نجد في القرآن الكريم

---

(١) بعض أفكار هذا المطلب مأخوذة من مقال بعنونا: كيف تنظم حياتك؟... كيف تدير شؤون نفسك؟ منشور على موقع: تسعة، ومقال بعنوان: كيف أنظم حياتي اليومية منشور على موقع موضوع.

(٢) صيد الخاطر، ص٣٣.

التذكير المباشر والمتكرر لدور النبي ﷺ ورسالته، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب ٤٥، ٤٦].

يقول السعدي: «هذه الأشياء، التي وصف الله بها رسوله محمداً ﷺ، هي المقصود من رسالته، وزبدتها وأصولها، التي اختص بها»[١].

ومن هنا لا بد وأن يدرك الدعاة أهمية وقدسية رسالتهم، وأهمية التغيير الذي سيطرأ على دورهم ومسؤولياتهم من جهة، وهدف وسلوك المدعوين من جهة أخرى.

ويدركوا أنهم دعاة يشكلون نواة التغيير والتطوير والتقدم في مجتمعهم بنشر رسالة الإسلام، فإنهم أنيط بهم عمل تنتظره الأمة الإسلامية والأمة الغربية.

وهذا يجعلهم يستعدون بامتلاك كفايات معرفية ومهنية وإنسانية، وأن يستندوا في عملهم وسلوكهم وممارستهم إلى قاعدة فكرية متينة وعقيدة إيمانية قوية، وكذلك يجعلهم يسيرون في طريق واضح المعالم بعيد عن الفوضوية أو الاندفاع أو الحماسة غير المنضبطة.

■ **خامساً: أهمية العلم بقواعد منهج الدعوة،** فالدعوة الإسلامية متعددة المسائل، كثيرة المحاور، عديدة القضايا، متشعبة الآفاق، ولذا كان منهج الدعوة الإسلامية بحاجة إلى قواعد منهجية دعوية، وبخاصة في العصر الحاضر الذي توسعت فيه مناشط الدعوة وامتدت مساراتها لأنحاء العالم كافة، كما استجدت وسائل متعددة للدعوة، واختلاف رؤى بعض الدعاة في مفاهيم الدعوة والعمل على نشرها.

وتكمن أهمية قواعد منهج الدعوة في أنها:

١- تحكم عمل الدعوة، وتحدد مساره.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧.

٢- توجه القائمين على الدعوة، وتبين طبيعة عملهم، وعلاقاتهم مع الآخرين.

٣- تكشف عن المنطلق الحقيقي للدعوة.

٤- تضبط عمليات الدعوة، ولا تتركها للأهواء والرغبات الشخصية أو التنظيمية، وللاجتهادات العشوائية الفوضوية.

■ **سادساً: أن يحدد الداعية طبيعة الأعمال التي لا بد أن يقوم بها** وكم الوقت اللازم لها، وهذا يختلف من داعية لآخر، فالموازنة بين العمل الدعوي وحياة الداعية الخاصة يعتمد بشكل أساسي على إدارة الوقت الجيدة، وإنَّ أهمية تنظيم الإنسان لحياته، ووضع مخطط لسير أعماله تكمن في معرفته لقيمة الوقت وأهميّته، وأنَّه يجب أن يبدأ التحكُّم بالوقت والسيطرة عليه، وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف المستقبلية التي يسعى لها في حياته؛ فهو يضع الخُطط اليومية، والأسبوعية، والشهرية، وقد تكون خططاً سنويةً لتنظيم شؤون حياته، ومستقبله القادم آخذاً بعين الاعتبار الماضي من حياته، والأحداث التي مرت به.

■ **سابعاً: عدم خلط الأعمال الدعوية وواجبات الحياة الشخصية** ببعضها وعلى سبيل المثال لا ينبغي للداعية أن يجلب العمل الوظيفي معه إلى البيت سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق الهاتف، كما أنه لا ينبغي أن ينقل الداعية أسرته لعمله فكذلك لا ينبغي له أن ينقل عمله لبيته.

■ **ثامناً: أن يخصص الداعية وقتا لنفسه** بعيد عن العمل الوظيفي والعمل الدعوي والحياة الأسرية.. ولا يعني هذا الانعزال وإنما تخصيص وقت حتى ولو كان داخل البيت.. أو في المسجد، لطلب علم أو خلوة مع الله أو للترفيه.

■ **تاسعاً: تجنب ساعات العمل الإضافية**، فلا بد للداعية إذا كان عمله



الوظيفي يختلف عن عمله الدعوي خصوصا أن يتجنب العمل ساعات إضافية، فإن بعض الدعاة يقسون على أنفسهم لتحقيق أهداف مادية ومع الزمن هذا يؤثر بشكل سلبي على العمل والدعوة والأسرة والعلاقة مع الله تعالى، بل وعلى صحة الداعية كذلك، فالواقع يشهد أنه عندما تزيد ساعات العمل لا بد أن يقصر الإنسان في جانب آخر مهم في حياته.

- **عاشراً: محاولة الانتهاء من العمل الذي بدأه** قبل الانتقال إلى عمل آخر، وذلك حتى لا تتداخل الأعمال مع بعضها البعض.

- **الحادي عشر: الوقوف موقف الحزم مع نفسه،** والبُعد عن التردُّد في اتخاذ القرارات، وإصلاح الأخطاء التي يقع فيها، فالتردُّد لا يأتي بخير على صاحبه، ولا يدفع الإنسان إلى النجاح الذي يسعى إليه.

- **الثاني عشر: استخدام الداعية الوسائل المعينة على تنظيم الوقت** ومنها المفكّرة اليومية للتنظيم تجعل الدعاة متيقِّظين منتجين، مع التنبيه إلى أن الداعية عند يضع الجدولِ اليومي أول الأسبوعي لتنظيم أعماله يجب أن يَترك مَجالاً للتعديل في حال وجود مُؤثّر خارجيّ غير مُتوقّع حدوثه.

- **الثالث عشر: عدم تحميل الداعية نفسه ما لا تَستطيع تحمله،** فلا يكون مثالياً أكثر من اللازم في وضعه لبرنامجه اليومي أو الأسبوعي أو الشهري، فكُلَّما اقترب الداعية في خطَّته من الواقع كان اقترابه من النّجاح أكبر.



المطلب السابع

ثمرات الترتيب وترك الفوضوية

علاج الفوضوية يؤدي إلى ثمرات كثيرة منها:

١- الاستمرارية والدوام وعدم الانقطاع، فالداعية إذا وضع خطة ما، ثم أنجز مرحلة من مراحلها، أو حقق بعض أهدافها، فإن ذلك باعث كبير على الاستمرار، وقطع لطريق الفتور والتكاسل أن يتسرب إلى نفس الداعية، كما أنه يعين على الاستمرارية والدوام، بما يتهيأ له الداعية للتعامل مع الطوارئ والمفاجآت التي قد تعيقه.

٢- حسن الأداء، وبالمقابل سوء التخطيط يؤدي إلى سوء الأداء، ومن الواقع المشاهد أن التخطيط الجيد المحكم لاستثمار القدرات والإمكانات والموارد المحدودة، ينتج أفضل من التخطيط السيء الضعيف أو الارتجالية في استثمار الإمكانات والموارد الكثيرة، بل إن غالبها يضيع هباء منثوراً.

٣- الاستفادة من الخبرات الدعوية المتنوعة، فتعدد الأحوال الاجتماعية، وتفاوت أحوال المدعوين، يؤدي إلى تنوع المناهج والخطط الدعوية التي يسير عليها الدعاة، وهذا بدوره يؤدي إلى إثراء خبرات الدعاة، بسبب تعدد الفرص والخطط المجربة، خاصة عند القدرة على تقويم الخطط الأخرى والاستفادة من نتائجها، والعمل على تلافي نقاط التقصير والضعف في المستقبل.

٤- لعلاج الفوضوية أثر غير مباشر على المدعوين، إذ إن المدعوين تعظم استفادتهم وقبولهم للنشاطات الدعوية المنظمة التي تنتهج خطة واضحة محكمة، فذلك يكسبهم شعورا بالاستقرار، والبعد عن الفوضوية، ويزيد من ثقتهم في الدعاة.



٥- تقوية إيمان الداعية، لأن التنظيم والترتيب استفراغ ما في الجهد البشري، وبذل للأسباب، مع التوكل على الله تعالى، ثم الرضا بقضاء الله وقدره بعد ذلك، فهو -مع صدق التوكل- عبادة يثاب عليها[١].

٦- يحدد أهداف الدعاة وغايات البرامج والمشروعات الدعوية، كما يفيد في حسن الأداء أثناء التنفيذ والتقويم الدقيق بعد ذلك، وما زال هذا الأمر -وهو وضوح الهدف- غائباً عن كثير من العاملين في الدعوة فهو لا شك يدرك الهدف العام -وهو تبليغ دين الله- ولكنه يجهل الأهداف الخاصة لكل برنامج مما يوجد في كثير من الأحيان سلبيات كثيرة على هذه البرامج وأي عمل دعوي يجب أن ينتهي إلي ثلاث نتائج حفظ العقيدة، أداء الفريضة، اجتناب الكبائر.

٧- يساهم في اختيار طرق الدعوة المناسبة والملائمة لكل داعية بحسب قدراته وإمكاناته المتوافقة مع طبيعة البرنامج والأهداف المرسومة له وفي تحديد الرأي الأقرب للتقوى لكل برنامج، فأحياناً قد يختار الداعية أساليب للدعوة لا تؤدي إلي نجاح البرنامج: إما لعدم مناسبتها لأهداف البرنامج أو لطبيعة البرنامج وأهدافه وقدراته الدعوية أو أنها غير ملائمة لبيئة الدعوة أو نوع المدعوين وطبيعتهم وقد يجتهد الداعية أحياناً في اختيار وسيلة غير منضبطة بضوابطها الشرعية.

٨- يجعل من السهل التنبؤ بمعوقات البرنامج الدعوي التي يفاجأ بها الداعية أثناء البرنامج ويتم هذا بالاستفادة من المعلومات التي يجمعها واضع الخطة الدعوية مما يجعله -بإذن الله- أقل عرضة للمفاجآت التي قد تذهب جهوده أو تضعف ثمارها إضافة إلى أنه يعالج الخطأ في الوقت المناسب، وقبل أن يتراكم فيمنع الرؤية وتصعب معالجته.

(١) ما سبق تم اختصاره من بحث بعنوان أسلوب التخطيط في الدعوة: التخطيط الدعوي ومتطلباته وآثاره، د. هند بنت مصطفى شريفي، منشور على موقع الألوكة.

٩- يسهم في ترتيب الأولويات لدى العاملين والقائمين على البرنامج الدعوي مما يساعد في اختيارهم الأهم منها عند حدوث تضارب أو تداخل أو عند الحاجة لتقديم برنامج آخر أو إلغاء أحدهما أو غير ذلك.

١٠- يُحدث كثيراً من الانسجام والتناسق بين أعمال الداعية مما يمنع الازدواجية والتضارب في أعماله وبرامجه، فلا تضيع بفعل ذلك كثير من الجهود والأوقات التي يمكن استثمارها لتنفيذ برامج أخرى.

١١- توفير كثير من النفقات المالية والجهود البشرية التي توضع في غير موضعها بسبب ضعف التخطيط أو انعدامه مما يساعد على استثمار هذه الجهود والنفقات لإقامة برامج دعوية أخرى، ولا شك أن عدم وجود تصور واضح للميزانيات المتوقعة لتنفيذ البرنامج هو من آثار ضعف التخطيط.

١٢- تحديد مواعيد زمنية تضبط بدء الأنشطة وانتهاءها، وهذا يجعل الداعية قادراً على تقويم أعماله ومدى التزامه بالمدة الزمنية المحددة لتنفيذها وكذلك في حسن التوقيت لإقامة البرامج ومنع التضارب مع أنشطة أخرى.

١٣- التجديد في الأساليب والوسائل الدعوية والبعد عن الرتابة والتمسك بالأساليب التقليدية مع التمسك بثوابت المنهج الصحيح في الدعوة.

١٤- التنسيق بين العاملين أو الجهات الدعوية في الساحة الدعوية بأشكال مختلفة سواء في التنسيق في توزيع المواقع الجغرافية أو التخصص في البرامج الدعوية أو غير ذلك كما يفيد في منع التكرار في البرامج ويحول دون إضاعة الجهود أو إغفال برامج أخرى قد تكون الحاجة إليها كبيرة.



١٥- تقويم الواقع الدعوي في المواقع المختلفة التي تنفذ فيها الخطط الدعوية وفي تحديد مواطن الضعف في الخطة أو في أسلوب التنفيذ ليتم تلافيها في الخطط القادمة وهذا مما يؤكد أهمية التخطيط في أنه يساعد في عدم تكرار الأخطاء التي ترتكب وفي عمل مراجعات شاملة في نهاية كل خطة دعوية ليتم تقويم النتائج والنسب المتحققة من أهدافها وأبرز سلبياتها وإيجابياتها.

١٦- يجعل من السهل على الداعية أن يحصر البرامج والأنشطة والخطط اللازمة لتوجيه مسار الدعوة بالشكل الصحيح.

١٧- يسهم في معرفة مواضع الضعف في الطبيعة البشرية ومن ثم تحديد البرامج التدريبية اللازمة للارتقاء بالكفايات الدعوية من الجوانب العملية والإدارية والقيادية كافة.

١٨- تحديد مهام العاملين في البرنامج أو الخطة الدعوية وطريقة أدائهم مما يساعد على إدارتهم وتوجيههم بالطريقة المناسبة لتحقيق الأهداف المطلوبة.

١٩- يزيد من فاعلية وإنتاجية المديرين للبرامج أو الخطط الدعوية فما دام أن التخطيط يساعد في وضع الأهداف بشكل واضح ومحدد فإنه كذلك يساعد القائمين عليه في اتخاذ القرارات المناسبة التي تحكمها الأهداف الموضوعة للخطة الدعوية.

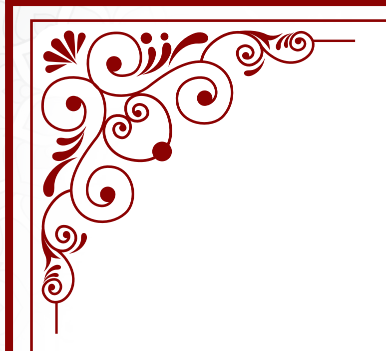
٢٠- يساعد في استثمار الفرص الدعوية حيث يفيد في الإعداد المبكر وحسن اختيار التوقيت للبرامج وجمع المعلومات الخاصة بالبرامج وخصوصاً مواعيد إقامتها وتحديد ذلك مسبقاً والإعداد الجيد لها.

٢١- يجعل البرامج والخطط أكثر شمولية وتكاملاً ويلاحظ أثر ذلك في جهود بعض الدعاة أو الجهات الدعوية حيث تركز على شرائح معينة من المجتمع أو على موضوعات وجوانب معينة في برامجها، وتهمل غيرها بينما التخطيط يجعل للعمل الدعوي والجهود الدعوية سمة الشمولية في أطروحاتها وبرامجها.

٢٢- استمرار الجهود الدعوية -بإذن الله- فكثيراً ما تتوقف الأنشطة وتتعطل البرامج بسبب حدوث المفاجآت كانقطاع الدعم أو سوء التنفيذ أو سوء التوقيت ولعدم وضع بدائل لهذه الحالات الطارئة[١].



(١) ما سبق من مقال: التخطيط في حياة الداعية يحيى عبيد ثماني الخالدي، منشور على موقع مهارات الدعوة.




المبحث الرابع
العنف في العمل الدعوي[1]

وبيان ذلك في خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العنف.

المطلب الثاني: الإسلام دين السلام والرفق لا العنف.

المطلب الثالث: حفظ الإسلام للنفس.

المطلب الرابع: أسباب العنف في الدعوة إلى الله.

المطلب الخامس: علاج ظاهرة العنف.

---

(١) ينظر: العنف في العمل الإسلامي المعاصر- قراءة شرعية ورؤية واقعية، كاب ضمن سلسلة قضية وحوار من إصدارات مركز البحوث والدراسات الإسلامية.






المطلب الأول

مفهوم العنف

العنف لغة: الشدة والمشقة، وهو ضد الرفق، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله، والتعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم[١].

والعنف في اصطلاح العلماء: كل تصرفٍ يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون هذا الأذى جسميًّا، أو نفسيًّا؛ كالسخريَّة والاستهزاء، وفرض الآراء بالقوة، وإسماع الكلمات البذيئة، وجميعها أشكال مختلفة لظاهرة العنف[٢].

والرفق والأناة والحلم صفة يحبها الله ورسوله، فلقد قال النبي ﷺ لأشج عبدالقيس **(إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)**[٣].

قال النووي: «الحلم هو العقل، وأما الأناة فهي التثبت وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ»[٤].

وقال ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٥].

وإنه يحز في نفس المسلم ظهور فئات ترفع راية الدين الحنيف، وشعارات تطبيق الشريعة السمحة، لكن هذه الفئات لا تحتكم في مشكلاتها إلى شرع الله القويم، فليس أهون عندها من إراقة الدماء المعصومة، وانتهاك الحرمات بزعم إنكار المنكر!

ولم يكن أعداء الصحوة الإسلامية المعاصرة ليحلموا بأن يسدي إليهم الغلاة

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٣٠٩.

(٢) العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف - لفهد علي الطيار صـ٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه (١٧).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٨٩.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق (٢٥٩٤).

ذرائع يستغلونها لتشويه صورة الإسلام، ومحاربة كل مسعى إسلامي مهما كان معتدلاً ومسالماً.

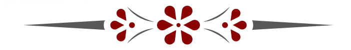
صحيح أن المتربصين بالإسلام والمسلمين لن يكفوا عن حقدهم الموروث حتى لو زالت تلك الذرائع، إلا أن ممارسات الغلو والشطط من قبل بعض المنتسبين إلى الإسلام، آزرت أهدافهم الخبيثة، وهي مؤازرة لا تشرِّف مسلماً مهما ادعى حسن النية.

ورب قائل يقول: إن دعاة التطرف والغلو هم قلة منبوذة في خضم التيار الإسلامي العريض، وهو أمر نعترف به، غير أن صوت هؤلاء الجانحين شديد القعقعة، وآثار توجهاتهم المدمرة تستفحل، لا سيما أن بعض الشباب المتحمسين لإسلامهم قد ينخدعون بدعاواهم التي يزينونها بغايات لا خلاف عليها، ويسوقونها مشفوعة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بعد تحريف دلالاتها.

الفرق بين العنف والعدوان:

(١) العنف جزء من العدوان، وشكل من أشكاله، سواء كان ذلك العدوان على الأفراد، أم على الممتلكات، أم على المجتمع، لكن العنف يظهر جليّاً بأنه سلوك عدواني مستمر.

(٢) العنف له طابع مادي خالص، في حين أن العدوان يشتمل على المظاهر المادية والمعنوية معاً[(١)].



(١) الضغط المدرسي لعبدى سميرة صـ ٨٤.

المطلب الثاني

الإسلام دين السلام والرفق لا العنف

يُعتبر الإسلامُ نقيضَ العنف والقمع لأنه دين التسامح والرحمة والعفو، وهو الدين الذي ينبذ كافَّة أشكال العنف والإكراه والقسوة في كافَّة مجالات الحياة، وعلى ذلك سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام ومن قبلهم كافّة الأنبياء والرسل الذين دعوا الناس إلى الله.

فالله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فالإسلام يقوم على الحكمة والرفق والموعظة الحسنة، ولا مكان للعنف فيه.

وانتشار الإسلام بالعنف من الشبهات التي يردِّدُها بعضُ المغرضين كثيراً؛ حيث يدَّعُون أن الإسلام كان عنيفاً يحبُّ إراقة الدماء، وأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن معتنقي الإسلام لم يدخلوا فيه طواعية ولا اختياراً، وإنما دخلوا فيه بالقهر والإكراه.

إن هدف الفتوحات الإسلامية نشر الإسلام من خلال إزالة العوائق التي تقف أمام الناس في حرية الاعتقاد، فهم لا يكرهون الناس على الدخول في الدين وإنما انطلقوا لينشروا الإسلام وليرفعوا الظلم عن المظلومين الذين حيل بينهم وبين معرفة الحق.

فالحقيقة أن جوهر الإسلام وخبر التاريخ يكذِّبان هذه الفرية، ويستأصلونها من جذورها، فقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، يمثل قاعدة أساسيَّة صريحة بالنسبة للحريَّة الدينيَّة، فلم يأمر الرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من بعده - أحداً باعتناق الإسلام قسراً، كما لم يُلجئوا الناس للتظاهر به هرباً من الموت أو العذاب؛ إذ كيف

يصنعون ذلك وهم يعلمون أن إسلام المكْرَه لا قيمة له في أحكام الآخرة، وهي التي يسعى إليها كل مسلم؟!

وقد جعل الإسلام قضية الإيمان أو عدمه من الأمور المرتبطة بإرادة الإنسان نفسه واقتناعه فقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولفت القرآنُ نظر رسول الله ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبيَّن له أن عليه تبليغ الدعوة فقط، وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام، فقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ومن ذلك يتَّضح أن دستور المسلمين يرفض رفضاً قاطعاً إكراه أحد على اعتناق الإسلام[١].

ولذا عاش غير المسلمين في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم[٢]، فالإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالإكراه عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم، وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض.

يقول المؤرِّخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب» وهو يتحدَّث عن سرِّ انتشار الإسلام في عهد رسول الله ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده: «قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفْرَض بالقوَّة، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت مؤخَّراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند -التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل- ما زاد عدد

(١) حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود حمدي زقزوق ص٣٣.

(٢) تلبيس مردود في قضايا حية، صالح بن حميد ص٣٠ باختصار.

المسلمين إلى خمسين مليونَ نفس فيها -هذا في زمنه-، ولم يكن الإسلام أقلَّ انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أيَّ جزء منها قطٌّ»[١].

فالإسلام إذن إنما غزا القلوب وأسر النفوس.. وإن كان بإمكان السيف أن يفتح أرضاً، فليس بإمكانه أن يفتح قلباً.

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت**: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)**[٢]، قال رسول الله ﷺ: **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)**[٣].

وقال رسول الله ﷺ: **(من يحرم الرفق يحرم الخير كله)**[٤].

والقاعدة الكبرى في الدعوة إلى الله في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومع الجبارين يأمر الله بمخاطبتهم بالحسنى، يقول الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

فالإسلام دين عظيم، يقوم على السلام والمسالمة؛ ليعيش الناس آمنين على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم؛ وحث المؤمنين على الرد بالسلام على من يجهل

---

(١) كتاب البابا والإسلام، ليوسف بن عبدالله، نقلا عن حضارة العرب، غوستاف لوبون: ص١٢٨، ١٢٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق (٢٥٩٣)،.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق (٢٥٩٤).

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر، باب فضل الرفق (٢٥٩٢).

عليهم؛ مع العفو والمسامحة، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وقال: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]. وقال: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور:٢٢]. وقال: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وينهى النبي ﷺ عن أذية المسلم فيقول: **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)**[١].

إن في روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك منصف أن ينكره أو يراوغ فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلها، لا لجنس فيها ولا لأتباع عقيدة معينة، وإنما هي للإنسان بوصفه إنساناً في حد ذاته خلقه الله وكرمه.



المطلب الثالث
حفظ الإسلام للنفس

حق النفس حق مقدس في نظر الشريعة الإسلامية، فلقد خلق الله الإنسان وألبسه ثوب الكرامة وفضله على كثير ممن خلق بالعقل والعلم والبيان والنطق والشكل والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقامة المعتدلة، وشمله بالرعاية والعناية وهو نطفة في داخل الرحم وفي جميع أطواره، إلى أن صار خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده برقم (١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل(٤١).

اهتم الدين الإسلامي الحنيف بحفظ النفس البشرية كما لم يهتم بذلك دينٌ قبله ولا مذهب ولا قانون وضعي، بل إن الحياة البشرية لم تشهد تشريعاً للأحكام والوسائل التي تحفظ النفس الإنسانية وتعصمها كما في الشريعة الإسلامية.

وحرم الشرع إزهاقها إلا بحق كالقصاص أو الحدود أو التعزير، ولا يقال: هذا مناف لمقصد حفظ النفس؛ لكون مصلحة حفظها -والحالة هذه- عورضت بمصلحة أعظم، فأخِذ بأعظم المصلحتين.

والمقصود بالأنفس التي عنيت الشريعة بحفظها الأنفس المعصومة بالإسلام أو الجزية أو العهد أو الأمان[١].

وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تَدُلُّ على تحريم الاعتداء عليها، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، عن الضحاك قال: «لأن أتوب من الشرك أحب إلي من أتوب من قتل المؤمن»[٢].

اعتبر الله سبحانه أن قتل نفس واحدة تعادل قتل البشر جميعاً وأن إحياءها يعادل إحياءهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢]. قال مجاهد: «وعد الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعنة، والعذاب العظيم.. والقصد بالآية: تعظيم قتل النفس، والتشديد

---

(١) انظر: روضة الطالبين ٩/ ١٤٨.

(٢) الدر المنثور ٢/ ٦٢٩.

فيه؛ لينزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحيائها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر، والترغيب فيه»[(١)].

ويلاحظ أن الآية لم تضف أي قيد على النفس التي يحرم قتلها مثل قيد الإسلام أو الإيمان، في دلالة واضحة على أن عصمة الدماء تتجاوز كل الأطر الدينية

ومنها قوله ﷺ في موقف عرفة: (إنَّ دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ...)[(٢)].

وجعل النبي ﷺ جريمة قتل النفس بعد جريمة الشرك بالله مباشرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ... الحديث)**[(٣)].

ومن ذلك النهي عن الإشارة بالسلاح ونحوه من حديدة وغيرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: **(من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)**[(٤)].

قال النووي: «فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ: **(وإن كان أخاه لأبيه وأمه)** مبالغة في إيضاح

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل ١/ ٢٤٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٧٣٩)، ومسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (١٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] (٢٧٦٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٢٧٢).

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٢٦١٦).



عموم النهي في كل أحد، سواء من يتَّهم فيه ومن لا يتَّهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال؛ ولأنه قد يسبقه السلاح.. ولعن الملائكة له يدلُّ على أنه حرام»[١].

إن ذلك كلّه لا بدَّ أن يؤسَّس لذهنية إسلامية تتورع عن سفك الدماء وتتجنب الخوض في كل ما يؤدي أو يعين على سفكها بغير حق.

وثمة قاعدة شرعية أخرى تصب في نفس الاتجاه، وهي قاعدة «درء الحدود بالشبهات»، والأصل فيها ما ورد عنه ﷺ: **(أدرأوا الحدود بالشبهات)**[٢].

المطلب الرابع
أسباب العنف في الدعوة إلى الله

العنف في الدعوة إلى الله أمر طارئ وشاذ لمخالفة أصل مقاصد الدعوة، ولكن لا بد للعلاج من معرفة الأسباب، ويصعب حصرها في هذا الموجز ولكن نشير إلى أهمها:

أولاً: سوء الفهم للنص الشرعي:

وهي ظاهرة شائعة في كل الأديان، وهي تؤدي إلى عقليات صدامية تكفيرية ضيقة تحكم على الآخر دون أن تفهمه وتستعديه دون موجب أو مبرر، وتقوّله ما لا يقول وتحمله ما لا يحمل.

(١) شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٧٠.
(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ٥٧ (١٥٩٢٢)، حلية الأولياء ٩/ ١٠، مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ١١ (٢٨٤٩٣)، وقال العراقي في نصب الراية ٧/ ٣٨٣ غريب بهذا اللفظ.

إن سوء الفهم أو عجمته هو عجز الشخص عن إدراك النصوص -دينية أو بشرية- وفهمها على حقيقتها فضلاً عن إدراك أبعادها ومراميها، ويأتي فهمه مبتوراً وحكمه منقوصا وخاطئا، لأن الحكم الصحيح على الشيء فرع تصوره وفهمه.

وسوء الفهم يعود: إمَّا إلى حالة السفه الفكري والنظرة السطحية للأمور، أو لافتقاد الرؤية المتكاملة والشمولية عن الدين ودوره في الحياة، أو لاعوجاج في السليقة والذائقة الفقهية التي تتعامل مع النصوص وتستنطقها، أو لعدم الإلمام الكافي بالقواعد اللغوية والفقهية والأصولية المعدّة لفهم النصوص واستنطاقها والموازنة بينها وملاحظة عامها وخاصّها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها و متشابهها، مكّيها ومدنيها.

وإن افتقاد الرؤية المتكاملة والذوق الفقهي وآليات الاستنباط وقواعده معناه افتقاد المنهج السوي في التفكير والاستنباط، وليس مجرد وقوع الشخص في اجتهادات خاطئة في بعض المفردات، كما أن لذلك انعكاسات كبيرة و آثار خطيرة على الواقع الإسلامي برمَّته وعلى قدرة الإسلام على استيعاب المستجدات و الاستجابة لمتطلبات الحياة المتغيرة.

✍ ثانياً: الظُّلم:

إن ردة الفعل تجاه الظلم تؤدي إلى العنف، ومحاولة اجتزاء أدلة من القرآن والسنة تؤيد هذا العنف وردة الفعل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل.. ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام. وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها من خلاق -أي في الآخرة- وإن لم تقم

بالعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به الآخرة»[١].

وقال الإمام القرطبي: «فإن الجور والظلم يخرّب البلاد بقتل أهلها و انجلائهم منها، وترفع من الأرض البركة»[٢].

فلا بد من السعي لإقامة العدل وإشاعة الحرية حتى تستقيم الحياة ولا يتجرأ أحد على دين الله ولا على خلق الله.

✍ ثالثاً: الخواء العقدي:

لا شك أن العقيدة الإسلامية الراسخة تكون زاداً للإنسان في رحلة الحياة، وإبعاداً له من الوقوع في المحظور، وعضداً له في مواجهة مشكلات الحياة وخطوبها، وهي تحرر الإنسان من الخوف من غير الله، وتقيم سلوكه على الحق والعدل، وتشعره بعون اللّه الدائم ورعايته المستمرة، ومن ثَم لا يشعر باليأس أو القنوط، بل تكون نفسه راضية مرضية.

✍ رابعاً: القصور في التربية الدينية:

في كثير من المجتمعات الإسلامية لا يجد الشاب ضالته في المدرسة؛ لأن المدرسة لا تعنى بتدريس الدين ولا بالتربية الدينية بالقدر الكافي، ولا يجد ضالته في الإعلام؛ لأن الإعلام هو الآخر لا يعطي الدين الاهتمام الواجب، ولا يجد ضالته في المسجد؛ لأن المسجد في كثير من المجتمعات قد تخلى عن وظائفه التعليمية والتربوية، وربما لا يجد الشاب ضالته في الأسرة إذا كانت الأسرة تتفشى فيها العلمانية. كما أن حال الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه المجتمعات لا تشفي غلة ولا تطفئ ظمأ. فماذا بقي لهذا الشاب الظمآن للمعرفة عن دينه؟

(١) مجموع الفتاوي ٢٨/ ١٦٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٣٣٤.

لم يبق له إلا المصادر غير الرشيدة، التي تضلله بغرس مفاهيم مغلوطة عن الدين والحياة والمجتمع وأولي الأمر فيه.

خامساً: ازدراء الرأي الآخر:

ويمكن أن نقول احتقار الناس، وازدراؤهم وهذا يكون من المسلم ضد المسلم وضد غير المسلم، وغير المسلم ضد المسلم مما يجعل المسلم في مقام الدفاع ولو كان مخطأ في ردة فعله.

يحدث اختلاف في وجهات النظر بين العلماء المسلمين في بعض القضايا التي تهم المسلمين بعامة والشباب منهم بخاصة؟ ومع أن اختلاف وجهات النظر أمر وارد بين الأفراد والجماعات في مختلف مجالات الحياة، وأن هذا الاختلاف - ما دام لا يمس الأساسيات - قد يكون ظاهرة صحية، تعطي فسحة لحرية التفكير والاجتهاد، فإننا نجد الشباب - على وجه الخصوص - يرون فيه مأخذا على علماء الدين.

ويغذي الراغبون في استقطاب الشباب نحو أهدافهم هذا التوجه، بل يجدون فيه فرصة سانحة لتجهيل العلماء بزعم أن اختلافاتهم في الظنيات دليل على عدم رسوخ علمهم، وهذا - بطبيعة الحال - قول مردود، ولكنه يستخدم لتضليل الشباب عن جادة الطريق.

سادساً: عدم فتح قنوات للحوار أمام الشباب:

الحوار والتعبير عن الرأي من أساسيات الحياة الصحيحة، إذ يُشعر الفردَ بأنه مشارك في صنع القرارات الخاصة به وبمجتمعه، ويشعره بالمسئولية نحو هذا المجتمع، بالإضافة إلى شعوره بكيانه وتحقيق ذاته.

والشاب يمر بمرحلة نمو أحوج ما يكون الفرد فيها إلى الاعتراف بقدره، والتعبير عن وجهة نظره، وأحوج ما يكون إلى التوجيه والإرشاد والنصح.

ولذلك، فإن فتح قنوات الحوار بين الشباب والكبار، فوق أنه يتيح للشاب فرصة التعبير عن رأيه بقدر من الحرية التي تجعله مشاركاً بالرأي في صنع ما يمسه من أحداث، فإنه سوف يجد له مرشداً يوجهه الوجهة السليمة، وهذا يحميه - بتوفيق الله - من أن يتلقفه أحد هؤلاء الذين لا يحسنون الظن بالمجتمع والمسئولين فيه، فيسيء توجيهه، ويدفع به إلى الانحراف عن الطريق القويم، وقد يلقي به في دائرة العنف كوسيلة لإثبات الذات وإجماع الصوت للآخرين.

سابعاً: أسباب اقتصادية واجتماعية:

إن تدني الموارد الاقتصادية في كثير من الدول الإسلامية، يؤدي إلى مشكلات اجتماعية خطيرة، ومن بين هذه المشكلات وأهمها: انخفاض مستوى معيشة الأفراد، وتفشي البطالة بين المتعلمين، وركود الحراك التنموي في المجتمع، واهتزاز ثقة المواطنين في المستقبل، وانتشار مظاهر الانحرافات الأخلاقية في المجتمع.

وجميع هذه المشكلات تكون سبباً في ضعف الولاء للمجتمع، واهتزاز الثقة في القائمين عليه، واتهامهم - بحق أو بغير حق - بمختلف أنواع الفساد. وهذا يمهد للنافخين في الكير أن يقوموا بحملات التضليل التي يستهدفونها ودفع الشباب إلى الغلو والتطرف.

ثامناً: الحملات الإعلامية الظالمة:

فالتهييج الإعلامي سواء من المسلمين للعنف أو من غيرهم يكون ردة فعله عنيفة.

إن العمل على تشويه صورة الإسلام والمسلمين أمر معروف عبر التاريخ، وهو يشتد ويضعف وفق ضعف المسلمين وقوتهم، إلا أن سعير هذه الحملة أصبح -اليوم- أقوى وأشد شراسة من أي وقت مضى، وأصبح أكثر انتشاراً بما أتيح له من أدوات البث

المباشر وأساليبه الحديثة. وقد تداعت له أمم الشرق والغرب بعد أن انتهت الحرب الباردة بينهم، واتفقوا على أن العدو الأوحد هو الإسلام، ومن ثم ركزوا حملاتهم الإعلامية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، ليس فقط في عيون المسلمين أنفسهم لكن في عيون غير المسلمين أيضاً.

هذه بعض العوامل التي تدفع الشباب إلى العنف والإرهاب، فكثير من الشباب يتصورون عن جهل وتغرير أن ما يرتكبونه من عنف هو الطريق إلى إصلاح حال المسلمين، وبعضهم باع نفسه للشيطان رغبة في الثراء أو الشهرة والانتقام من المجتمع الذي لا يروق له ما يجري فيه من أخطاء الحكام وسلبية المحكومين، ومن ثم فالجميع كفار!

وتكفير المسلمين على أساس ارتكابهم المخالفات للسلوك الإسلامي الصحيح هو من عقيدة الخوارج، وهؤلاء وغيرهم من الفرق الضالة يقتدي أصحاب الفكر المنحرف بهم.

ومن الأسباب كذلك:

- الجهل بالشريعة الإسلامية المبنية على الحكمة.
- الهوى الذي يعمي عن رؤية الحق ويصم عن سماعه ويبكم عن النطق به.
- الفرق الضالة القديمة كالخوارج والمعتزلة، الذين عُني أهل السنة والجماعة بدراسة مذاهبهم ومعرفة شبَهِهم وتفنيدها في كتب العقيدة، بل قاوموا هذه الفرق بالسلاح لقمعهم ودفع شرهم عن الإسلام والمسلمين، وبخاصة أن أكثر الفرق الضالة كانت تحارب المسلمين وتنكص عن مقاتلة الكافرين[١].
- تمكن دعاة الفتنة المغرضين من مخاطبة الرأي العام عبر وسائل الإعلام المفتوحة.

---

(١) بل إن كثيرا من الفتن والثورات الظالمة التي قام بها هؤلاء كانت تتم ضد الدولة الإسلامية.



- الصد عن سبيل الله في بعض البلدان المحكومة بتوجهات علمانية متطرفة، سبقت ظهور الغلاة، حيث دأبت على محاربة دين الله واتهامه بأنه رجعي ومسؤول عن حالة الانحطاط الحضاري للأمة.
- التحريض الغربي سياسيًّا وإعلاميًّا – ضد كل ما هو إسلامي.
- ردة الفعل للظلم ونحوه، فقتل المسلمين وتشريدهم والتسلط عليهم واحتقارهم لا شك أنه من أسباب العنف عند بعض المسلمين.

المطلب الخامس

علاج ظاهرة العنف

علاج العنف قضية من أخطر وأصعب القضايا، ظهر هذه من خلال الممارسة، ولن نستطيع هنا أن نذكر كل ما يخص الموضوع ولكن نشير إلى معالم أساسية، ومنها:

☜ أولاً: إقامة العدل ورفع الظلم:

فإن القضاء على العنف كفيل بالقضاء على أسبابه، في القرآن الكريم آيات كثيرة صريحة في تحريم الظلم بذكر اسمه، وآيات كثيرة في تحريم الظلم بصورة غير مباشرة و ذلك بالأمر بالعدل لأن الأمر بالعدل نهي عن الظلم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. «أي ليقوم الناس في الدين والدنيا بالقسط والعدل في حق الله، وفي حق العباد»[١].

(١) تفسير جزء الذاريات لابن عثيمين ص٢٥.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرماً في كل شيء و لكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظالماً»(١).

وفي تقرير واضح وصريح لإحقاق العدل وتطبيقه ولو كُنَّا مبغضين لمن نَحْكُم فيهم، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. أي: «مواظبين على العدل في جميع الأمور مجتهدين في ذلك كل الاجتهاد لا يصرفكم عنه صارف»(٢).

ويقول أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، قال ابن كثير: «أي لا يحملنَّكم بُغْض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كُلِّ أَحَدٍ؛ صديقاً كان أو عدوّاً»(٣).

فلا ينبغي للمسلم أن يتبع هواه في الحكم على الآخرين، قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥]. «الهوى: إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً والباطل حقّاً، وإما أن يعرف الحق ويتركه لأجل هواه»(٤).

ففي الحديث القدسي: **(يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا)**(٥).

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ١٦٦.
(٢) روح المعاني ٥/ ١٦٧.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٢٠٩.
(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧).



وإذا كان الظلم سبباً في هلاك الأمة فمن الواجب شرعاً الإنكار على الظالم ومنعه من الظلم وعدم الاستكانة له ولا الركون إليه وبهذا تنجو الأمة مما قد يحل بها من عقاب أو هلاك بسبب الظلم الواقع فيها. ونتكلم فيما يلي عن سبل الوقاية من الظلم و عقابه.

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ: **(إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع)**، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: **(لا، ما صلوا)**[١].

وعن طارق بن شهاب قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أي الجهاد أفضل؟ قال: **(كلمة حق عند إمام جائر)**[٢]، وفي رواية: **(أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر)**[٣].

فالمنكر على الحاكم الظالم ظلمه من أعلى درجات الشهداء قال ﷺ: (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)[٤].

فوجب على العلماء وغيرهم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وبالوسائل التي تؤدي إلى بعدهم عن المنكر، وقربهم من المعروف، من التلطف ولين القول والإسرار وغيره مما هو معلوم في بابه[٥].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم.. (١٨٥٤).
(٢) مسند أحمد ٣١/ ١٢٦ (١٨٨٣٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.
(٣) سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي (٤٣٤٤) واللفظ له، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر (٢١٧٤) وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب، وسنن النسائي كتاب البيعة، باب فضل من تكلم بالحق عند إمام جائر (٤٢٠٩)، وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠١١)، ومسند أحمد ٣٦/ ٥٤١ (٢٢٢٠٧) وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره.
(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ٢١٥ (٤٨٨٤) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٠٨).
(٥) السياسة الشرعية في حالة غياب حكم إسلامي ص ٢١٢.

☜ ثانياً: علاج التطرف الفكري:

لمعالجة هذه الظاهرة يجب معرفة منطلقاته كمقدمة ضرورية لمعالجتها والتخلص منها، فربما كانت الأجواء الاقتصادية والأمنية والسياسية مؤثرة في نمو الأفكار التكفيرية، وطريق المعالجة في هذه الحالة ينحصر برفع تلك الموانع وإزالة تلك الأسباب، وأمَّا لو كانت أسباب التكفير ثقافية، فالمشكلة هنا صعبة وعلاجها أشد صعوبة، ففي هذه الحالة يكون لزاماً علينا مواجهة الفكر التكفيري ومقارعته بالحجة والبرهان لا بالسجن والسنان، لأن دروس التاريخ علمتنا أن السيف يقمع ولا يقنع، والسجن يعالج المشكلة من الخارج لا من الداخل.

لذا، فإن المطلوب إزالة الركائز الأساسية للفكر العنفي والتكفيري بإثبات وهنه من الناحية الإسلامية وابتعاده عن أسس الشرعية الدينية، هكذا يتم تجفيف منابع العنف والتطرف.

☜ ثالثاً: تعزيز ثقافة التسامح:

لا بد من تعزيز ثقافة التسامح ونشر رسالة المحبة والتأكيد على احترام الآخر في نفسه وماله وعرضه، ورعاية حقوقه وحفظ إنسانيته وكف الأذى عنه ما دام لا يتحرك بالظلم والعدوان قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

☜ رابعاً: بناء منهجية التدرج وعدم الاستعجال في العمل الدعوي، والعلمي والتربوي:

إنه لا بد من نشر العلم الشرعي بتدرج وحكمة تناسب المسلم ليكون واعياً بالشريعة وسماحتها، فبعض الذين يقع منهم العنف الدعوي يريدون أن يستجيب



الناس بسرعة، وأن يطبقوا منهج الله في الأرض بقوة وبسرعة متغافلين عن السنن الربانية في التغيير والتمكين والاستخلاف.

فالحماس الجارف والعاطفة الجياشة لدى بعض الشباب من ذوي البضاعة العلمية المحدودة، يدفعان إلى الاستعجال والتهور ومحاولة فرض ما يرونه حقًّا على الآخرين عنوة، وهم بذلك يكونون لقمة سائغة للخبثاء الذين يرومون تحقيق مآرب سياسية وشخصية باسم الإسلام، بل إن من هؤلاء من لا يكتفي بجهله، وإنما يضم إليه الجرأة على الفتوى والافتئات على علماء الأمة العاملين، والانتقاص من قدرهم.

خامساً: العناية بفقه إنكار المنكر:

فالإنسان في بيته يستطيع أن يغير المنكر لكنه في الشارع قد لا يستطيع ذلك، وهنا يجب أن ننبه إلى أن هناك دعوة للخير وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتغييراً، وقد فرق الله ﷻ بينها، فأما الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يذكر اللّه تعالى فيها استطاعة، بل قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والنبي ﷺ قيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالاستطاعة تقييداً خاصًّا فقال: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[١].

ويزعم البعض أنهم حين يقومون بتغيير المنكر باليد إنما يأخذون بمرتبة أقوى الإيمان: وهذا على اعتبار أن التغيير بالقلب هو أضعف الإيمان، وهذا خطأ وقصور في فهم النص بالنظر للنصوص الأخرى ومقاصد الإسلام، فمن يملك التغيير باليد هو ولي الأمر -أو من ينيبه- وإلا اعترت الفوضى المجتمع المسلم.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان (٧٨).

«**فالتغيير باليد مشروط بـ:**

١- حصول القدرة.

٢- وألا يزول المنكر إلا باليد.

٣- وألا يزول بيد فاعله لامتناعه ونحوه.

٤- وألا يؤدي التغيير باليد إلى إثارة فتنة أو مفسدة أو منكر أعظم.

٥- وألا يترتب عليه من الضرر ما لا يحتمل في النفس أو الغير.

٦- وأن يقتصر في التغيير على القدر المحتاج إليه من غير زيادة.

وتقدير ذلك عمليًّا من أمور الاجتهاد التي توكل لأهله دون غيرهم»[(١)].

أما التغيير باللسان فله أربع خطوات[(٢)]:

١- **التعريف باللين واللطف:** وذلك بأن يعرف مرتكب المنكر - إما بالإشارة أو التعريض حسب الموقف - بأن هذا العمل لا ينبغي أو حرام.

٢- **النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى:** وهذه الخطوة تتعلق غالباً في مرتكب المنكر العارف بحكمه في الشرع بخلاف الخطوة الأول.

٣- **الغلظة بالقول:** وهذه الخطوة يلجأ إليها المُنكر بعد عدم جدوى أسلوب اللطف واللين، فحينئذ يغلظ له القول، ويزجره مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك. وعليه ألا ينطق إلا بالصدق، ولا يطيل لسانه بما لا يحتاج إليه بل على قدر الحاجة.

---

(١) معالم في أصول الدعوة ص١١٣، نقلا عن: مختصر منهاج القاصدين ص١٢٦، والآداب الشرعية لابن مفلح ١/ ٢١٩، والتشريع الجنائي لعبدالقادر عودة١/ ٥٠٦، والحسبة لابن تيمية ص٢٥.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٢/ ٣١٥، وتنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس. ص ٤٧ - ٥٤.



٤- التهديد والتخويف: وهذه الخطوة هي آخر المحاولات في النهي باللسان، ويعقبها بعد ذلك إيقاع الفعل كأن يقال لمرتكب المنكر: إن لم تنته عن هذا الفعل لأفعلنَّ بك كذا وكذا، أو لأخبرن بك السُلطات لتسجنك وتعاقبك على فعلك.

ولكن ينبغي أن يكون هذا التهديد والتخويف في حدود المعقول عقلاً وشرعاً حتى يعرف أن المنكر صادق في تهديده.

قال ابن النحاس: «مَن لم يقدر على الإنكار باللسان، وقدِر على إظهار دلائل الإنكار مثل تعبيس الوجه، والنظر شذراً، والتجهم، وإظهار الكراهة لفعله، والازدراء به، وهجره في الله تعالى لزمه ذلك، ولا يكفيه العدول إلى الإنكار بالقلب مع إمكان دلائل الإنكار الظاهرة»[١].

☜ سادساً: عرض القضايا المنهجية وفق منهج أهل السنة:

يوجد قضايا منهجية كثيرة مهمة تعتبر مرتكزاً من مرتكزات العنف إذا تم عرضها بتطرف وغلو بدون فهم للنصوص.

مثل قضايا الولاء والبراء والتكفير، والجهاد، والحكم بما أنزل الله، فهذه القضايا وغيرها تحتاج من علماء الأمة أن يوحدوا فيها الكلمة وأن يوصلوا كلمتهم إلى الأمة كلها مسلمين وغير مسلمين، دعاة وعلماء وقادة ورموز.. حتى إذا شذ أحد استحق العقاب الدنيوي والأخروي.

فلا بد من الحكمة والوسطية وعدم تمييع الدين أو الأخذ ببعضه دون بعض، والتركيز على التسامح والتغافر والرفق واللين حتى مع المخالف المخطئ والحرص على هداية الناس وسلامتهم وصحة تعبدهم.

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين لابن النحاس ص ٥٢.





المبحث السادس
التثبيط والتوهين عن الدعوة

التثبيط عن الدعوة، والتهوين من شأن وقيمة البرامج الدعوية من الأخطاء الكبيرة التي تقع من بعض المنتمين للدعوة تجاه بعضهم أو من خارج الدعوة تجاه الدعاة، وهي مشكلة وعائق استسلم له وتأثر به بعض الدعاة.. فولد السلبية والقعود، وضعف حسن الظن بالله.

ولذا كان من المهم أن نتحدث عن هذه المشكلة، من خلال أربعة مطالب:

المطلب الأول: خطورة التثبيط والتهوين.

المطلب الثاني: نماذج من التثبيط والتهوين.

المطلب الثالث: أسباب التثبيط والتهوين.

المطلب الرابع: علاج مشكلة التثبيط والتهوين.






المطلب الأول

خطورة التثبيط والتهوين

المقصود بالتثبيط والتهوين: إضعاف الهمم، وزيادة التشكيك والتخويف، مما يؤدي بالعامل مع الله ﷻ أن يتراجع عن الخير، وأن يترك سيره وعمله لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

التثبيط والتهوين يؤدي لتعظيم الأمور الهينة وتضخيمها وتصعيبها، حتى لا يقدم العامل عليها والداعية إليها، هذا قبل أن يحدث شيء، أو أن يقع فعل، وإذا وقع فعل وظهرت تظهر بعض الأخطاء، فيكون دور المثبطين تكبير هذه الأخطاء، والتذمر من وقوعها، ويسعون إلى إقعاد العاملين عن الأعمال الجادة، أو التهوين من شأن الأعمال الكبيرة والتهوين من نتائجها وثمراتها.

والتثبيط والتهوين لأعمال الدعوة يظهر في الاعتراض الدائم، وإظهار عدم التحمس لأعمال الدعوة والخير لا لأسباب مقنعة، وإنما لأن المرض متمكن فيهم.

ومهما كانت النتائج طيبة، وفيها شيء من الخير، تجد المثبطين والمهونين لا ينظرون إلا إلى الجانب المظلم، ويقولون: ماذا فعلتم، ماذا قدمتم؟ لا شيء يُذكر، هذه أشياء سهلة، أي إنسان يستطيع أن يقوم بها، أين ثمرتكم؟ ويبدأ يضخم الأخطاء ويلغي الحسنات.

وقد يزيد المثبطون والمهونون فيبدؤون في إيذاء الدعاة العاملين، محاولة لإفشالهم، وتأخيرهم عن العمل وتأخير ثمرتهم.

التثبيط والتهوين نوع من العوائق التي ينبغي ألا يهون من خطورتها والتي تأتي في صورة نصائح أو تحذيرات ممن قصرت هممهم عن المواصلة ومكابدة المشاق في سبيل

دعوة الحق أو ممن في قلوبهم مرض أو من الأعداء الذي يكيدون لدين الله ليلاً ونهاراً.

قد لا يكون لمثل تلك الأصوات المثبطة أثر على الداعية المتمرس أو الخبير بسلوكيات هذه الفئة من الناس إلا أنها قد تفعل فعلها في دعاة آخرين مبتدئين أو طلاب علم ليس لهم بعدُ باع في تمييز النقد والنصح الصادق الهادئ الإيجابي من غيره الذي تفوح منه رائحة التثبيط وتبدو عليه أمارات وعلامات التفشيل والتخذيل.

وصدور مثل تلك الأصوات من بعض الأقران وربما المقربين نسباً وعقيدة فهو مما لم يكن ينتظره الدعاة أو يتوقعه مريدو الإصلاح وآملو التغيير.

التثبيط والتهوين يؤدي إلى تفويت أجر العمل، والسعي والنية الطيبة، وبالتالي يحمل إثم كل من تخلف عن الدعوة.

التثبيط والتهوين يؤدي إلى توقف الداعين إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحياناً وربما يحمل آخرين على منع غيرهم وصدهم عن أحسن القول والعمل.

غير أنَّ هناك نفوساً عجيبة تنظر إلى العمل الدعوي والإسلامي كله، نظرة متشائمة، وليتها تقف عند هذا الحد، بل تزيد النار أُواراً، واللهب اشتعالاً، حينما تجدها قد تصدَّت لإبراز المثالب، وشرح المعايب، وتحرير الأوراق في النقض باسم النقد وهكذا دواليك!

العمل الإسلامي -ولا شك- بحاجة إلى مطارحة همومه، وتبيين بعض نواقصه، ولكن في إطار التقويم والتحفيز والتشجيع، وليس على أساس التجريح.

إن هذا المرض الخطير سيعصف بالفرد، بل وسيعصف بالجماعة المؤمنة إن لم ينتبه له، فسيؤدي أولاً إلى القعود وترك العمل، وبالتالي سيؤثر في تأخير النصر والتمكين عن هذه الأمة، ثم سيؤدي ذلك إلى طول حياة الذل والهوان التي تعيشها وخاصة إذا مكنت أمثال هؤلاء من قيادها أو التحكم في مصيرها.

وهؤلاء المثبطون المحطِّمون لجهود الآخرين يقلُّ عمل أحدهم بمقدار كثرة نقده، فيكون ما يفسد أكثر ممَّا يصلح.

وهذا أحد السلف يقول: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبدٍ شرَّاً أغلق عليه باب العمل وفتح له باب الجدل»[(١)].

المطلب الثاني

نماذج من التثبيط والتهوين

والتثبيط والتهوين موجود في كل زمان ومكان، وقد عُرف به المنافقون فمن علامة النفاق: التثبيط عن الأعمال الجادة التي فيها النفع، والسخرية من العاملين وأذيتهم.

فكانوا هؤلاء في زمن موسى عليه السلام لما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم فيها الخير والعزة والنصرة، ماذا قالوا؟ ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ثم قالوا بعد محاولة إقناعهم: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

وفي قصة طالوت وجالوت، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وكانوا أيضاً على عهد الرسول ﷺ، بل عُرف صف النفاق بشكل واضح في المدينة، ومع الغزوات، وبالذات بعد غزوة بدر مباشرة، بعد انتصار الإسلام ظهر

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٦١.

صف المنافقين والمثبطين، في غزوة أحد قالوا، كما قال الله عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٥].

وفي غزوة تبوك نزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:٨١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩].

المطلب الثالث

أسباب التثبيط والتهوين

- اليأس من الإصلاح والقنوط من إحداث التغيير المنشود والاتكاء على دعوى فساد الزمان وعدم جدوى محاولة تزكية النفوس وإصلاح القلوب...هي إحدى أبرز مداخل المثبطين وأهم سلوكياتهم الخاطئة في طريق الدعوة وأشدها خطراً على الدعاة والمصلحين.

- مرض التشاؤم، فبعض الناس ينظر للأشياء بمنظار الشر، وبمنظار عدم التوفيق،



قد يكون مرّ ببعض التجارب الفاشلة في حياته، فأصبح بعد ذلك يفشّل كل عمل يقوم، ولا يرى فيه النجاح.

◆ الجهل بالسنن الكونية والشرعية لله ﷻ، فالله له سنن في أن يزداد الباطل، لكن الباطل ساعة والحق إلى قيام الساعة، لابد أن ينتصر الحق. وأن توضع بعض الابتلاءات، أو توجد بعض العقبات، وأن لا يكتمل الشيء تماماً، هذه سنن الله تعالى، لكن لأنه لا يفهم هذه الأمور، يظن أن هذا علامة الفشل وعدم النجاح.

◆ الجبن الذي يخفى وراء التثبيط والتهوين، فهو أصلاً جبان في أن يتحمل المسئولية أو يقوم بعمل دعوي، وبالتالي لا يريد أن يعترف بهذا، فيحاول أن يفشّل الأعمال وأن يرد العاملين عنها.

◆ وقد يكون من أسبابه: الحسد، أو الغيرة، فيحاول أن يثبط أو يهون لكي يشفي صدره من الدعاة خصوصا مع الأقران.

◆ قلَّة الحيلة وضعف التدبير بصناعة مشاريع تربويَّة، فتجده يقوم بدور المثبط والمهون في صورة الناقد.. وهو عاجز وليس ناقد.

◆ الانهزاميَّة الفكريَّة، من خلال التأثر بالمؤثرات الخارجية والوهن، والارتماء في طريق الغزو الفكري، الذي يشوه أعمال الدعاة والدعوة وينظر بمنظور الانتقاص والرجعية، والانغلاق.

◆ قلَّة الإنصاف، حيث تجعل قلة الإنصاف من الشخص عدوّاً لكل ناجح، ولكل عمل متزن.

◆ حالة نفسيَّة لازمته طول عمره فهو يعيش من خلالها على إلغاء جهود الآخرين.

المطلب الرابع
علاج مشكلة التثبيط والتهوين

◈ أولاً: إحياء الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القلوب:

أي: التفاؤل والأمل دائماً بالله سبحانه؛ فإن الله ﷻ وعدنا وعداً عظيماً ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧١ - ١٧٣]، فهذا وعد من الله ﷻ، ووعد الله لا يخلف مهما دارت الأمور وطالت، قال تعالى: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨].

◈ ثانياً: وضع كل إنسان في مكانه:

أحياناً نخطئ كثيراً لما نضع الناس في مكان أعلى مما يستحق، ونطلب منه أن يفعل أعلى مما يستطيع، فيتشاءم، ويثبط العمل.

بعض الناس يمن أن تشاورهم في الأمور الجادة؛ لأن عندهم همم عالية وعندهم عزائم وطاقات، وبعضهم لا يصلح أن تشاورهم إلا فيما يستطيعون عمله؛ لأن العمل أحياناً يفشل، لا لأنه ليس بصحيح، أو ليس بممكن، لكن لأن الذين تحملوه ليسوا أهلاً للقيام به، فلنفهم هذا ولننزل الناس منازلهم حتى تسير الأمور على ما نريد من الخير، وعلى سنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهدي رسوله ﷺ.

فقد كان الرسول ﷺ ينظر في الناس، وفي طاقاتهم، وفي قدراتهم، فالناس على درجات؛ منهم من يستطيع أن ينصر الإسلام ويقوم به في أول زمانه، وفي ساعات ضعفه، ومنهم من يُجنب هذا حتى لا يُبتلى، فيفسد عليه الأمر، أو يرجع القهقري في ترك دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

◈ **ثالثاً: التأكيد على أن الدعوة إلى الله تعالى واجب وفريضة إسلامية بغض النظر عن النتائج والثمار.**

◈ **رابعاً: التأكيد على أن الخير في أمة المصطفى ﷺ إلى يوم الدين**، وأن اليأس والقنوط من إصلاح القلوب وتزكية النفوس منهي عنه في كتاب الله وسنة وسيرة المصطفى ﷺ وأن من يقول: هلك المسلمون فهو أهلكهم بنص حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**)[1].

◈ **خامساً: العناية بدراسة السيرة النبوية وترجمة حياة السلف الصالح** من هذه الأمة والتي تضج بالقدوات ونماذج التأسي في وجوب عدم التفات الدعاة إلى أصوات المثبطين في طريق أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وضرورة المضي قدما في مسيرة الدعوة إلى الله مهما كثرت العقبات وازدادت الصعوبات.

◈ **سادساً: محاولة أن يكون المثبطين جزءاً من هذا المشروع**، وبدلاً من أن يقوموا بالتشنيع والتبشيع على أصحابهم وحسب، فإنَّه كان بإمكانهم أن يقوموا بنصرة هذا الدين من خلال عملهم الدؤوب وسعيهم الحثيث لعمليَّة الإصلاح والبذل.

وخصوصاً أنَّ الأمَّة المسلمة اليوم تعيش حالةً تتماثل فيها من داء أزمن وأعيا؛ فلا بد من رفع الهمم، وتشجيع أية بادرةٍ لخير؛ فإنَّ ذلك خطوة في الاتجاه الصحيح...

مع الانتباه إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧].

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس (٢٦٢٣).

فلا بد أن ننتبه من نخرهم في طريق الدعوة وأعمالها.. فنسأل الله تعالى أن يطهر الصف الدعوي منهم.

إنَّ من المعلوم أنَّ أسهل شيء على المرء قيامه بالنقد والإسفاف وتحقير جهود الآخرين، ظانَّاً أنَّ القيام بالمشاريع والتفكير فيها من أسهل ما يكون، ولكن حين تدعوه إلى أن يفكر معك ويستنهض همَّته لتقليب عقله فيما ينفع ويفيد، فسيجد أنَّ الشروع في هذا المشروع أمر ليس من السهولة بمكان، بل قد يستصعب كثير من هؤلاء المضي في مثل هذه المشاريع، سواء أكانت فكرية أو توجيهية أو سياسية أو تربوية أو اقتصادية، مع أنه يرى بأمِّ عينيه أهميَّة مواصلة المسير إلى الهدف وعدم الانحراف عنه، مع ما يشعر به أنَّه قد تقف رجله وتتعثر أخرى بسبب بعض العراقيل، وحدوث الأزمات، وفتور العاملين، وقلَّة المعينين.

◈ سابعاً: نشر ثقافة التشجيع بين هدم المشاريع ونقدها:

العمل الدعوي -ولا شك- بحاجة إلى مطارحة همومه، وتبيين بعض نواقصه، ولكن في إطار التقويم والتحفيز والتشجيع، وليس على أساس التجريح والتنكيد على الآخرين في عملهم ومشروعاتهم، ومحاولة نسف جهودهم، والتقليل من شأنهم، والتثبيط من همَّة القائمين بها.

نحن مع النقد البنَّاء، ومع النصح الهادف، ومع توضيح الأخطاء سواء كان من وضَّح الخطأ صغيراً أو كبيراً، ورحم الله الإمام ابن تيميَّة حين قال: «ولهذا يسوغ بل يجب أن نبين الحق الذي يجب اتِّباعه وإن كان فيه بيان مَنْ أخطأ مِنَ العلماء والأمراء»[١].

وهكذا كتب الحافظ ابن رجب حين كان يتحدَّث عمَّن يبيِّن الخطأ ويوضِّح وجه

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٢٣.



الصواب، حيث قال: «فإن كان مقصوده في ذلك مجرد تبيين الحق ولئلا يغتر الناس بمقالات من أخطأ في مقالاته، فلا ريب أنه مثاب على قصده ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، وسواء كان الذي بيَّن الخطأ صغيراً أو كبيراً»[1].

بيد أنَّه من أخلاق المسلمين بعامة، والعلماء والدعاة منهم بخاصة، الإنصاف؛ بذكر المحاسن والإيجابيات حتى مع الخصوم، بل والكافرين؛ فكيف بالمسلمين؛ وهم يخوضون المحاولات للنهوض والظفر! مجتهدين في أمثل الطرق، متحرين للصواب والحق؟ أمَّا أن ينتقل الأمر إلى مسبَّة أي جهد إسلامي، والتهوين من أي عمل يراد به نصرة الله تعالى، بحجج واهية وغير موضوعيَّة، فهذا مما ينبغي ألاَّ يفعله عاقل فضلاً عن مسلم!

كما أنَّه من المؤسف كما قال الإمام الشعبي: «والله لو أصبت تسعاً وتسعين وأخطأت مرَّة واحدة لعدُّوا عليَّ تلك الواحدة»[2].

وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين تحدَّث عن أمثال هؤلاء «مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة، ويقع على الجرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس، وفساد المزاج»[3]، ولذلك لا تجد نظراتهم تسقط إلاَّ على مكامن الإساءة، ومنافذ الخطأ والقصور، ويرون نصف الكأس الفارغ، ولا يرون نصفها الآخر المليء.

◈ ثامناً: الدعوة للتفاؤل والتشجيع:

التشجيع والتحفيز لمبتغي عمل الخير ولو كان قليلاً، أمرٌ حبَّذته الشريعة، وأمرت

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير ص١٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧.

(٣) هذا منسوب لشيخ الإسلام ولم أقف عليه، ولكن ذكره العلامة عبدالرحمن السعدي في كتاب طريق الوصول، ولم أقف عليه كذلك.

بالقيام به وعدم احتقاره أو التقليل من شأنه، ولهذا نجده ﷺ يقول: **(لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)**[١].

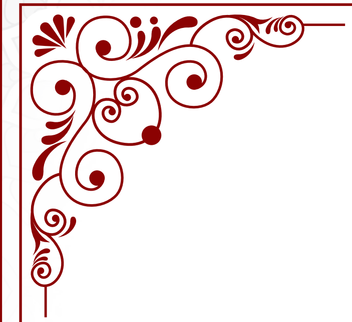
طوبى وحبًّا وكرامة، لمن كان مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وصدق رسول الله ﷺ: **(إنَّ من الناس ناساً مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وإنَّ من الناس ناساً مفاتيح للشر، مغاليق للخير، فطوبى لمن كان مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه)**[٢].

وختام القول: لقد قدَّم هؤلاء الفضلاء والدعاة ما لديهم من مشاريع وأفكار لنصرة هذا الدين، فماذا قدَّم أولئك المثبِّطون سوى التقليل من الجهود الخيِّرة الإسلاميَّة، فأولئك قدَّموا مشاريعهم؛ فماذا قدَّم المحبطون لجهود غيرهم من مشاريع؟!



(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٢٦٢٦)

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والحديث حسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٣٢).




الفصل الرابع

مشكلات وعوائق سننية

لله سبحانه سنن وقوانين، ومنها سنن تتعلق بشكل كبير بالدعوة، إذا وعاها الدعاة استطاعوا أن يتعاملوا معها معاملة صحيحة، ويقوا أنفسهم ودعوتهم من التأثر بها.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العداء للإسلام وأهله.

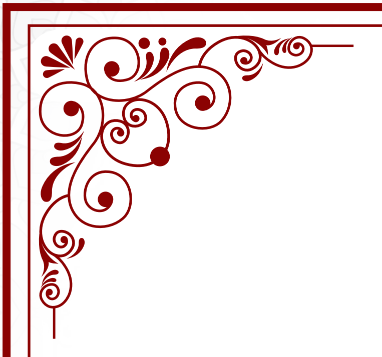
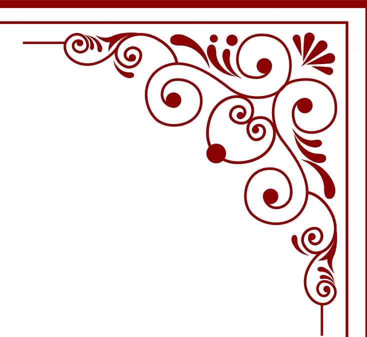
المبحث الثاني: مشكلة الابتلاء.

المبحث الثالث: إعراض الناس وانصرافهم عن الدعوة.

المبحث الرابع: قلة الرفيق والمعين في طريق الدعوة.





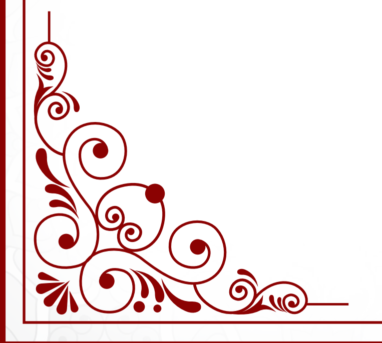
المبحث الأول
العداء للإسلام وأهله

وهي سنة بينها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وكشفها الرسول ﷺ في سنته وسيرته، وبيان ذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العداء للإسلام سنة في كل دعوات الأنبياء.

المطلب الثاني: نماذج من وسائل أهل الباطل في صراعهم مع أهل الحق.

المطلب الثالث: وسائل علاج العداء وسبل أمن مكر الأعداء.






المطلب الأول
العداء للإسلام سنة في كل دعوات الأنبياء

لا يزال الصراع بين الحق والباطل قائماً منذ خلق الله الأرض ومن عليها، فقد قص الله سبحانه في كتابه قصة ابني آدم، وعدوان أحدهما على الآخر، فقال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وما بعث الله نبيّاً إلا وعاداه بعض قومه، وحاربوه واتهموه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

فهذا الصراع سنة ربانية تاريخية على مر العصور، وهو لأمة الإسلام على أشده، إذ إنها آخر الأمم التي على دين الحق، وستبقى مستمسكة بنور الوحي إلى قيام الساعة، ولا بد لها من أعداء يبغضون كتابها، وسبيلها المستقيم، وصلتها بربها، حقداً وحسداً، وإبقاء على علو الباطل بكفره وشهواته وشبهاته.

فقد بين الله تعالى أن أعداء الدين يريدون أن يكون الناس مثلهم كفاراً أو أصحاب يريدون شهوات محرمة، قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

إن إنشار وتطبيق الإسلام في الأرض غيظ ورعب لأعداء هذا الدين وأهله في

كل حين، فالإسلام، من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد، فلا غاية تُرتجى ولا نهاية تنتظر لهذه الحرب، وهذا الصراع وتلك البغضاء لن تتوقف إلا بالتحول والارتداد عن دين الحق الظاهر القاهر، والركون إلى الكفر والباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] وهذا لا يمكن لمسلم أن يرضى به.

كما أن من صور العداء أنه لا يمكن لأممٍ لم تسالم أنبياءها ورسلها أن تسالم أمة الإسلام أبداً؛ فقد امتلأت قلوبهم عناداً وعداوة لأنبيائهم، فكيف يسالمون دين الإسلام وأهله؟! قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] فما بعث الله نبيّاً إلا عادوه أو قتلوه.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

فلا يزال الغيظ يملأ قلوبهم على أهل الحق، عامة، والدعاة المصلحين منهم خاصة، فيما كانت قريش تعادي النبي ﷺ وقت صلاحه وأمانته في نفسه، بل كانت تثني عليه خيراً، لكنه لما بعث بالرسالة لإصلاح الناس وإخراجهم من عبادة العباد

لعبادة رب العباد، وخلع الأوثان، والكفر بالطاغوت، عادوه وأخرجوه وأرادوا قتله ﷺ، وهذا سنة أهل الباطل في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

المطلب الثاني

نماذج من وسائل أهل الباطل في صراعهم مع أهل الحق

تتفاوت وسائل أهل الباطل في كل زمان ومكان وتتنوع، ولكن ربما تتشابه أصول أفكارهم أحياناً، ومن ذلك:

أولاً: تزيين الباطل:

هذه الوسيلة من أقدم الوسائل في إغواء أهل الحق ومتبعي الخير، فقد استخدمها إبليس عليه لعنة الله مع آدم وزوجه عليهما السلام، فزين لهما الأكل من الشجرة، ومخالفة أمر الله سبحانه، ولم يكتف بذلك؛ بل أقسم لهما أنه ما أراد لهما إلا الخير، والملك، وأنه لهما ناصح أمين.

قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠، ٢١].

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، وحلف على ذلك مع تباعد الدهر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

وهكذا أهل الباطل في كل عصر، لا يأتون بالوجه الحقيقي الحاقد على الإسلام وأهله، بل يتزينون مرة بثوب الواعظ، ومرة بثوب الناصح، وأخرى بثوب الصديق الحميم، حتى يقع أهل الحق في شباك باطلهم ومكرهم، ثم تنكشف الوجوه، وتسقط الأقنعة، ولات حين مندم!

ثانياً: التشويه:

وهي أيضاً وسيلة قديمة حديثة، ما سلم منها داعياً إلى الله بالحق، وقائماً لله بالقسط، كما فعل الملأ الذين كفروا مع أنبيائهم ورسلهم، ومَن بعدَهم من أهل الاتباع والهدى.

فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يتهمه فرعون وملؤه بالسحر؛ ليصدوا الناس عن الإيمان به واتباعه.

قال تعالى -حكاية عن قول فرعون- عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الشعراء: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٩، ١١٠].

بل حتى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسلم من هذا التشويه، قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

وقد يكون التشويه لصاحب الحق، والداعي إلى الله، وقد يكون للمنهج الذي جاء به، وكلها من حملات التشويه الآثمة التي يستخدمها أهل الباطل لصرف الناس عن اتباع الخير والهدى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فعن الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ أي: عيبوه[١]، وعن أبي العالية: «قعوا فيه وعيبوه»[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١٧٤.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٨/ ٢٩٣.

واليوم لم يسلم أهل الحق من التشويه بنوعيه؛ تشويه الداعية إلى الله -بل وكل داع إلى خير وفضيلة- وتشويه المنهج.

فمن ساخر من الدعاة في طريقة ملبسهم، أو هديهم الظاهر، وما هم عليه من استمساك بهدي النبي ﷺ، ومن لامزٍ لهم بالجمود والرجعية، وآخر يتهمهم بالجهل وعدم الفهم.

حتى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لم يسلما من ألسنة المبطلين؛ فمن قائل لا يصلحان لهذا الزمان، ومن ضال مضل يقول: هما كغيرهما من الكتب صالحان للنقد![1]، ومن طاعن في الأصول والثوابت منتقص لهما، إلى غير ذلك من سبل التشويه والتشكيك.

ثالثاً: التعذيب والقهر والإذلال:

وهذا في دعوة الأنبياء عامة، ومن أمثلة ذلك قول فرعون لسحرته بعد إسلامهم:
﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١].

وقال تعالى عن أصحاب الأخدود: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٤ - ٨].

وأول من أصابه من هذا البلاء هم صحابة رسول الله ﷺ، فقد كانت قريش تعذب كل من آمن بالنبي ﷺ ابتغاء فتنتهم وصدهم عن سبيل الله.

قال ابن إسحاق: ثم إنهم عدوا على من أسلم، واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب

(١) ينظر كتاب سابغات، د. أحمد السيد، ففيه رد على مثل تلك الشبه، وإحالة على مراجع مهمة، وكذلك ينظر: حلقات برنامج كامل الصورة كذلك د. أحمد السيد.

والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، مَن استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم[١].

ولا تزال تلك طريقة أهل الباطل في كل زمان ومكان، فإما أن تلزم باطلهم، وإما عذبوك وسجنوك، أو أخرجوك، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

رابعاً: المنع من إبلاغ الدعوة والتضييق على أهلها:

فهؤلاء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يهددهم أقوامهم؛ إما أن ينتهوا عن الدعوة إلى التوحيد والفضيلة وإلا ستكون العاقبة المنع؛ إما بقتل، أو إخراج أو غير ذلك.

قال الله حكاية عن قول والد إبراهيم عليه السلام له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦].

وكذلك قال قوم نوح ولوط لهما: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

وقال تعالى حكاية عن النبي ﷺ وقومه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومحاولات قريش في صد النبي ﷺ عن دعوته، والسعي في فض حماية عمه أبي طالب للنيل منه ومن دعوته ﷺ؛ كثيرة مشهورة، وقبل ذلك قصة أصحاب الأخدود المشهورة المعروفة، ولا تزال تك الحوادث متصلة إلى يومنا هذا، وما تخلى أهل الباطل عن محاولة فرض سيطرتهم على أهل الحق، ومنعهم من البلاغ عن الله ورسوله ﷺ على وفق مراد الله، قال تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٧٧.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوّجوه ما أراد من النساء، فقالوا: هذا لك يا محمد وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكر آلهتنا بسوء، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح. قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي من عند الله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢]، الآية، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر٦٤-٦٦][1].

خامساً: المجادلة بالباطل:

وهي سنة متبعة وطريق مطروق يسلكه المبطلون خلفاً عن سلف ويريدون به إما إضعاف الحق، أو صرف أتباعه عنه، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال الله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]. قال ابن كثير: «ثم أخبر عن الكفار بأنهم يجادلون بالباطل ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ أي: ليضعفوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ الذي جاءتهم به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم»[2].

ولكن يأبى الله إلا أن يعاملهم بنقيض قصدهم، ويكون ذلك سبباً في ظهور الحق وبيانه إذا سلك أهل الحق سنة التدافع، ودافعوا عن الحق بما يملكون وما آتاهم الله من قوة.

قال الشيخ السعدي: «ومن حكمة الله ورحمته، أن تقييضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل، من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق وتبين شواهده وأدلته، وتبين

---

(١) جامع البيان ٢٤/ ٧٠٤، والطبراني في الصغير ١/ ٢٦٥، وانظر الدر المنثور ١٥/ ٧١١، وضَعَّفَ ابن حجر إسناده في الفتح٨/ ٧٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ١٧٢.

الباطل وفساده، فبضدها تتبين الأشياء»[١].

فعلى الدعاة إلى الله ألا يستسلموا لشبهات المبطلين، ومجادلة المضلين، وأن يفرقوا بين مجادلة المسترشد الذي يبحث عن الحق، وبين مجادلة الضالين المضلين الذين يريدون بجدالهم إضعاف الحق وصرف الناس عنه، فالأولون يجادلون بالتي هي أحسن، والآخرون يجادلون بالإغلاظ عليهم كما هو الحال مع المنافقين.

سادساً: المساومة:

وذلك كما كانت تفعل قريش مع رسول الله ﷺ، فطلبت منه مرة أن يعبد إلههم سنة ويعبدون إلهه سنة، وعندما عرضت عليه الملك والمال ليترك ما أمره الله به، إلى غير ذلك من مساومات تريد منها قريش ومن تبعها من أهل الغواية ورافعي لواء العداء للإسلام وأهل الحق والمصلحين يريدون منها صرف أهل الحق عن الدفاع عن قضيتهم، والتخلي عنها، وإضعاف شوكتهم ليتمكنوا منهم، أو ليدخلوهم تحت سلطانهم ويتمكنوا من فرض ما يرونه عليهم، فتزل قدم بعد ثبوتها!

سابعاً: التهديد بالبطش:

وهكذا أهل الباطل إذا عجزوا عن صرف أهل الحق عن سبيلهم ودعوتهم بالوسائل السابقة لجأوا للقتل أو البطش أو السجن أو التعذيب، كما فعلت قريش حين سعت لقتل النبي ﷺ، والتنكيل بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكذا الأمم السابقة مع أنبيائهم ومصلحيهم.

قال الله حكاية عن إبراهيم وقومه لما كذبوه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وحكى الله عن قوم شعب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٠.

ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وكذا مع نبينا ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

فتلك سنة أهل الباطل في كل زمان ومكان، وليس الدعاة أكثر إيماناً وأشد توكلاً على الله من رسوله ﷺ، فقد كان يبحث عمن يؤيه وينصره ليبلغ دعوة ربه، حتى قيض له جماعة من الأنصار، فناصروه وآووه حتى بلغ رسالة ربه ونصر الله بهم دينه وأعلى بهم كلمته، فمن رزق بقوة منصب أو عشرة تحميه أو جماعة تؤويه ليبلغ دين ربه ويصدع بما أمره الله به فليفعل إنه ليس أكمل إيماناً من رسول الله ﷺ.

ثامناً: محاولة صرف الناس عن حقيقة الدين ومراد الله من الرسالة:

وهذه من أخطر الوسائل حيث إن الله أرسل رسله وأنبياءه حتى يعبد الله وحده ولا يشرك به أحد لا في عبادته ولا في أمره، وأرسل نبينا محمد ﷺ ليظهره على كل الأديان والملل، لأنه النبي الخاتم، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وكانت قريش تسعى لصرف النبي ﷺ عن هذه الغاية بشتى الوسائل، وترسل الوفود إليه ﷺ ليعرضوا عليه ما يصرفه عن دعوته وعن حقيقة ما جاء به، فمرة يعرضون عليه الملك والمال، والنساء، ومرة يعرضون عليه سبيلاً وسطاً بين دين المسلمين ودين المشركين: اعبد إلهنا سنة ونعبد إلهك سنة، وحاشاه أن يقبل ﷺ، ولما يئست قريش من النبي ﷺ لجأت إلى عمه بالعروض والمغريات مرة؛ فعرضت عليه فتاً من فتيانها مقابل أن يسلم إليها النبي ﷺ لتنال منه، وبالتهديد والوعيد والإيذاء أخرى؛ كما فعلت يوم الصحيفة، وتحريض القبائل على مقاطعة بني هاشم ومحاصرتهم في الشعب[1].

---

(١) هذه أحداث ومواقف كثيرة ذكرها أهل السير، ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٩٤ و ١/ ٤١٧- ٤١٩ وجامع البيان ٢٤/ ٧٠٤، دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٨٠- ٨٥، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٤٣- ٧١. وغيرها.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقال تعالى محذراً نبيه ﷺ: ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

وكأن أعداء الإسلام اليوم درسوا في مدارس أعداء الإسلام بالأمس، فلا تكاد تختلف وسائلهم بين الأمس واليوم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: ١٣]. وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

فقد نشأت في هذا العصر مؤسسات ابتكرت طريقة جديدة، فعمدت إلى الترويج إلى دين إسلامي جديد لا يتعارض مع مصالح أعداء الإسلام وقيمه، مفرغ من محتواه، ليس فيه إلا شعائر تعبدية يفعلها المسلم بينه وبين ربه، سواء في البيت أو في المسجد، وأما الشعائر الظاهرة التي على مستوى المجتمعات والدول والأمم؛ فتلك أمور ممنوعة محظورة.

تاسعاً: التحريش بين المسلمين:

فقد بين النبي ﷺ خطورة هذا الأمر بقوله: (إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم)[١].

ويوجد من المسلمين ومن الدعاة من يسمع لهم، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

علم أعداء الدعوة قديماً وحديثاً أن سر قوة المسلمين في استمساكهم بهذا الدين

---

(١) مسند أحمد٢٣/ ١١٩ (١٤٨١٦)، وجامع الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التباغض (١٩٣٧) قال: أبو عيسى هذا حديث حسن.



العظيم، ليس لمجرد الاستمساك، وإنما لأن هذا الدين يملك مقومات التمكين والعلو، فمن استمسك به على وفق مراد الله ورسوله علا وظهر ونشر العدل والقيم الربانية، ووصل الناس بنور الوحي.

ومن تلك المقومات؛ حث الدين الإسلامي على الوحدة والاجتماع، وعدم الفرقة والاختلاف، كما سبق بيان ذلك تفصيلاً في مبحث «فقه الائتلاف والاختلاف»، فإن المسلمين إذا تنازعوا فشلوا، وذهبت ريحهم، وضعفت شوكتهم. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ولما أدرك أعداء الدعوة سر هذه القوة عمدوا إلى التفريق بين المسلمين، والوقيعة بين العاملين لدين الله -سبحانه- قديماً وحديثاً حتى يسهل عليهم هزيمة المسلمين والتحكم في بلدانهم وسرقة ثرواتهم.

فقد كان المنافقون يسعون للوقيعة بين الصحابة رضي الله عنهم، ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعة كعب بن مالك ومن معه من الصحابة ممن تخلفوا عن غزوة تبوك، أراد ملك غسان أن يستغل هذا للوقيعة بين المسلمين، وجلب كعب رضي الله عنه إلى معسكره.

قال كعب: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي. حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان؛ وكنت كاتباً؛ فإذا فيه: أما بعد، فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك[١].

واليوم يسعى أهل الباطل إلى الوقيعة بين الدعاة وأهل العلم والجماعات والتيارات الإسلامية؛ ليتمكنوا منهم، ويضمنوا بذلك ألا تقوم لأهل الحق شوكة، ولا

(١) هو جزء من حديث في مسند أحمد ٢٥/ ٦٦ (١٥٧٨٩) وصححه شعيب الأرناؤوط.

يحصل لهم اجتماع يعلو به دينهم وقيمهم.

فهؤلاء هم أهل الباطل في كل عصر ومصر، يصارعون أهل الحق، وخاصة الدعاة إلى الله، تتشابه وسائلهم وتختلف طريقتهم وعباراتهم، لكن مقصودهم واحد، وهو أن يبقى دين المشركين في علو وظهور، فتعلو قيم أهل الكفر، وتكون العزة للكافر.

وتختلف دوافعهم ما بين حاقد أو حاسد أو راغب في الملك أو خائف على تعطيل شهوة أو ضياع شهرة ومكانة، أو غير ذلك من مقاصد الدنيا، وأمراض القلوب.

فالصراع إذاً قائم إلى قيام الساعة، ولن يتوقف يوماً من الدهر، ولا بد في كل زمان من أهل باطل وأهل حق، ولن يتخلى يوماً أهل الباطل عن باطلهم والدفاع عنه والمكر له، وإنما الذي يتغير في كل زمان هم أهل الحق، فتتفاوت درجاتهم في: تمسكهم بالحق الذي هم عليه، وشغفهم في مدافعة أهل الباطل والنيل من باطلهم، وفي امتلاء قلوبهم غيظاً على قضيتهم وعلو الحق وأهله.



المطلب الثالث

وسائل علاج العداء وسبل أمن مكر الأعداء

من الواجب إذاً على الدعاة من أهل الحق في كل زمان ومكان، ما يلي:

◈ أولاً: أن يعرف الدعاة أن الصراع سنة كونية يميز الله بها الخبيث من الطيب:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

«وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه. ومعنى إلا لنعلم أي علماً يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالماً به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس، أما عالم السر والنجوى، فهو عالم بكل ما سيكون، كما لا يخفى»[(١)].

«فبالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال، فيظهر المخلص وينكشف المنافق»[(٢)].

إنه وعد من الله بالابتلاء.. ابتلاء الأمة كلها، لينكشف المجاهدون والصابرون ويتميزوا وتصبح أخبارهم معروفة، ولا يقع الالتباس في الصفوف، ولا يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين ولا أمر الضعاف والجزعين.

◈ ثانياً: أن سنة المدافعة سنة ربانية بين الحق والباطل:

قضى الله سبحانه كوناً أن الباطل لا تنكسر شوكته، وتدفع مضرته إلا بسعي أهل الحق، وبذل الأسباب إلى ذلك، فبالمدافعة يدحر الباطل، وتحفظ بيوت الله، وتنصلح أحوال البلاد والعباد، قال الله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، قال ابن كثير: «لولا أنه يدفع عن قوم بقوم، ويكشف شر أناس عن غيرهم، بما يخلقه ويقدره من الأسباب، لفسدت الأرض، وأهلك القوي الضعيف»[(٣)].

وقال السعدي: «لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار، وتكالب الكفار؛

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٣٨٥.

(٢) نظم الدرر ٧/ ١٧٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٤٣٥.

لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها، وإقامتهم شعائر الكفر، ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه»[١].

◈ ثالثاً: اليقظة ومعرفة الخير والشر:

فينبغي على المسلم دائماً أن يكون يقظاً مع أعدائه، ما دام يعلم يقيناً أنهم متربصون به في كل وقت وحين، فما أن يغفل عنهم لحظة إلا وسينقضون عليه انقضاض الأسد على فريسته، يرومون بذلك علو دينهم وقيمهم.

قال تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

وقال الله محذراً عباده المؤمنين من هذه اللحظة، ومنبهاً لهم على وجوب الأخذ بالأسباب: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] ثم أكد ذلك عليهم في آخر الآية، فقال: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢].

ومن أسباب اليقظة معرفة سبيل الخير والشر، ولا يُكتفى في ذلك بمعرفة الخير وحده، إذ إن العالم بالخير فحسب ربما يمكر به أعداؤه من حيث لا يدري، أو يلبسون له الباطل ثوب الحق فيلتبس عليه ويقع في شباك مكرهم.

قال تعالى مبيناً سبيل المجرمين لعباده كي يحذروه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وفي سورة التوبة ذكر الله لعباده صفات المنافقين وسيماهم كي يحذروهم، ويأمنوا مكرهم، فتكرر قول الله في أربعة مواضع من سورة التوبة، بقول: ﴿وَمِنْهُم﴾ ثم يذكر صفة من صفاتهم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٩.

وعن حذيفة رضي الله عنه، قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...» الحديث[(١)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم، ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه -إذا كان حسن القصد- عنده من الاحتراز عنه، ومنع أهله، والجهاد لهم، ما ليس عند غيره. ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيماناً وجهاداً ممن بعدهم، لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر»[(٢)].

فمعرفة الخير والشر وأهلهما، واليقظة لأهل الباطل ومكرهم: سبيل رباني، ومنهج نبوي، وطريقة الصحابة الكرام، وفَهْم العلماء من بعدهم، والله المستعان.

◈ رابعاً: إدامة الإعداد والاستعداد:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فكل ما كان داخلاً في الإعداد لأهل الباطل فيما يقدر عليه المسلمون؛ من جمع للمعلومات، وتدريب وتسليح وتطوير وغير ذلك، فهو حتم لازم لحسم الصراع لصالح المسلمين، بعد الاستعانة بالله سبحانه والتوكل عليه.. فالمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض ولتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله.

«لما عمل الأمراء بمقتضي هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزاً،

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة (٣٦٠٦)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (١٨٤٧).

(٢) الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٦٤.

عظيماً، أبي الضيم، قوي القنا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقاباً متتالية وهم سادة الأمم، وقادة مشعوب، وزمام الحول والطول وقطب روحي العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة»[1].

◈ خامساً: الصبر والمصابرة.

فلا بد للعبد في كل أحواله من الصبر، وهو على الدعاة إلى الله آكد! إذ إن الداعية إلى الله يلاقي من قومه، ومن أهل الباطل وأعداء الله ورسوله، ما لا يلاقيه غيره، فعليه أن يتحلى بالصبر، ويصابر حتى يحكم الله بينه وبين قومه.

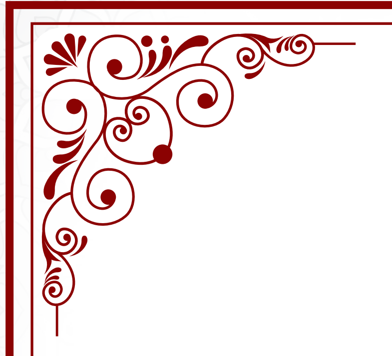
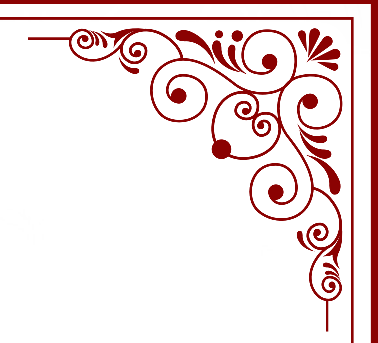
ولا يتعارض الصبر والمصابرة مع الأخذ بالأسباب، والسعي لرفع البلاء، ومدافعة الأعداء بما يوفقه الله إليه، ولكن إذا قل الأعوان وضعفت الحيلة وغلقت الأبواب فعليه أن يصبر ويصابر، ويستأنس بأحوال المرسلين وأتباعهم.

فهذه سمية وهذا عمار يعذبان في ذات الله، ولا يقدر رسول الله ﷺ على دفع العذاب عنهما فيكتفي بقوله: **(أبشروا آل ياسر، موعدكم الجنة)**[2]، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:٢٠٠].



(١) محاسن التأويل ٥/ ٣١٦.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٢/ ١٤١ (١٥٠٨)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩/ ٢٩٣.

المبحث الثاني

مشكلة الابتلاء

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الابتلاء وأقسامه.

المطلب الثاني: سنة ابتلاء الدعاة.

المطلب الثالث: أنواع الابتلاءات للدعاة عامة.

المطلب الرابع: كيف ينظر الدعاة للابتلاء.

المطلب الخامس: الحكمة من ابتلاء الأنبياء والدعاة ومن بعدهم.

المطلب السادس: ما يتسلى به الداعية عند الابتلاء.

المطلب السابع: واجب الدعاة تجاه الابتلاء.








كلما كان العمل شاقاً ودقيقاً ومعقداً، احتاج المرء إلى بذل جهد أكبر في الإعداد والتدريب؛ لكي يكون على مستوى ذلك العمل، والعمل الدعوي مستمر ومتنوع وفسيح، ومسؤولية الداعية تزداد يوماً بعد يوم، ومسؤوليته بعد انتصار دعوته أعظم منها قبل ذلك.

من أجل ذلك وغيره، أراد الله سبحانه أن يخضع الدعاة لصنوف من الاختبارات، فلا يصل الدعاة إلى تحقيق أهدافهم الدعوية إلا مروراً بالابتلاء.

وقد يتشكى بعض الدعاة من توالي المصائب عليه، ويلخص حياته بأنها سلسلة متصلة الحلقات من الآلام والمحن، فما أن يخرج من حفرة إلا ويقع في أخرى.

جميل أن يكون لدى الداعية إحساس ويقظة ضمير حتى لا يرى نفسه مطهَّراً بريئاً، على أن اعتبار المصيبة عقوبة مرتَّبة على ذنب سابق من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وقد يبتلي الله عبده ليرفع درجته كما في حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومن هنا لا بد من بيان حقيقة الابتلاء في حياة الدعاة، وفقه تعامل الدعاة مع البلاء، وذلك من خلال سبعة مطالب[1]:

---

(١) تم جمع مادة هذا المبحث من: كتاب قواعد الدعوة إلى الله- القاعدة الثامنة، وبحث بعنوان: متى نصر الله الابتلاء في حياة الدعاة، د. أحمد بلوافي، منشور بمجلة السنة، العدد الثامن، والابتـلاء طريق الدعاة إلى الله ﷻ، د. محمد علي محمد إمام، وسنة الله في الفتنة والابتلاء وأثرها العقدي د. الزايدي طويل، وموسوعة فقه الابتلاء، جمع وإعداد د. علي بن نايف الشحود، ومقال بعنوان: ابتلاءات بعض الأنبياء و الرسل.. في القرآن الكريم، د. جلال المنوفي منشور على موقع طريق الإسلام.



المطلب الأول
حقيقة الابتلاء وأقسامه

☜ أولاً: حقيقة الابتلاء:

قال ابن منظور: «بلوت الرجل بلواً وبلاءً وابتليته، اختبرته، وبلاه يبلوه بلواً إذا جربه واختبره، وابتلاه الله: امتحنه والبلاء يكون في الخير والشر»[(١)].

فمفهوم حقيقة الابتلاء يدور حول: الاختبار، والامتحان والتجريب، فالابتلاء امتحان واختبار للناس عموما، والدعاة خصوصا لصقل معادنهم.

وقد يعبر عن الابتلاء بالفتنة، وهو أشمل، قال ابن منظور: «معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد.. والفتنة الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار، وقيل الفتنة في التأويل الظلم، يقال: فلان مفتون يطلب الدنيا قد غلا في طلبها»[(٢)].

☜ ثانياً: شمولية مفهوم الابتلاء للخير والشر:

يتقلَّب الإنسانُ عامة والداعية خاصة في رحلة حياته الدنيوية بين بلاءين واختبارين؛ مصداقَ قول الحقِّ سبحانه: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى؛ لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦].

---

(١) لسان العرب ١٤/ ٨٣.

(٢) لسان العرب ١٣/ ٣١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٤٢.

وقد يبتلي الله تبارك وتعالى الإنسان بشيء ظاهره الشر لكنه في حقيقته خير كثير، وقد يكون عكس ذلك، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

قال ابن سعدي: «أخبر أن القتال مكروه للنفوس، لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع المخاوف، والتعرض للمتآلف، ومع هذا فهو خير محض لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء، والظفر بالغنائم؛ وغير ذلك..»[١].

والسعيد مَن وفَّقه الله لالتزام الصبر في العُسر، والشكر له تعالى في اليُسر؛ ليكونَ فيمَن أخبر النبيُّ ﷺ عنهم بقوله: **(عجباً لأمر المؤمن إنَّ أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرَّاءُ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبرَ فكان خيراً له)**[٢].

ثالثاً: أقسام الابتلاء:

يمكن تقسيم أنواع الابتلاء إلى ثلاثة:

- **الأول: ابتلاء عام يشمل جميع البشر مؤمنهم وكافرهم:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وقال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٩٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩).

قال ابن القيم: «فلا بد من حصول الألم والمحنة لكل نفس آمنت أو كفرت، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له عاقبة الدنيا والآخرة، والكافر والمنافق والفاجر، تحصل له اللذة والنعيم ابتداء، ثم يصير إلى الألم، فلا يطمع أحد أن يخلص من المحبة والألم البتة»[١].

◆ **الثاني: ابتلاء خاص بالمؤمن:**

قال تعالى: ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ [الأنفال:١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

إن الإيمان حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

هذه الآية «نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين، وكان كفار قريش يؤذونهم، ويعذبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك؛ فآنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على الإيمان، فأعلمهم الله تعالى أن تلك سيرته في عباده: يسلط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب. ولفظها مع ذلك عام، فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة من معصية أو مضرة في النفس، والمال، وغير ذلك»[٢].

فالله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما

---

(١) بدائع التفسير ٣/ ٣٦٦.

(٢) تفسير ابن جزي ٢/ ١٥٤.



هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، والفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية، في ميزان الله سبحانه.

◆ **الثالث: ابتلاء خاص بالدعاة إلى الله:**

وهو ما وضحه النبي ﷺ، فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: **(الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة)**[(١)].

وعندما ذهب النبي ﷺ مع خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل بعد أن جاءه الوحي، قال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني كنت فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك! قال رسول الله ﷺ: **(أومخرجي هم؟)**، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي»[(٢)].



المطلب الثاني
سُنّة ابتلاء الدعاة

لقد كثر في القرآن ذكر قصص الأنبياء والمرسلين، وخاصة في الفترة المكية -فترة الاستضعاف- التي مر بها المسلمون الأوائل، ليلفت الله نظرهم لمجموعة من السنن

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٧٨ (١٤٨١)، واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن، وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٢٣)، وجامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٨٩) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٦٠).

حتى لا يستوحشوا طريق الدعوة، فيملوا ويتخلوا عن الدين الذي جاءهم به محمد ﷺ، ويمكن عرض نماذج لذلك في ثلاث نقاط:

أولاً: نماذج لإجمال القرآن في عرض ابتلاءات الرسل عليهم السلام:

فبين الله تعالى أن كل الرسل كان لهم أعداء، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام:١١٢]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الفرقان:٣١].

وبين أن الرسل توعدهم قومهم بالإخراج، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم:١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٦، ٧٧].

وبين أن من الرسل من تعرض للقتل، ومنهم من همَّ قومه أن يقتلوه، قال تعالى: ﴿ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُ ﴾ [غافر:٥]. قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

وبين أن كل الرسل تعرضوا للتكذيب من أقوامهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ ﴾ [الأنعام:٣٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وأن الرسل كذلك تعرضوا للاستهزاء، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الحجر:١١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ [الأنعام:١٠].

وأن الرسل اتهمهم قومهم، بتهم مثل السحر والجنون، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢].

فالابتلاء سنة الله في الدعاة إلى منهجه، قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

ثانياً: نماذج لتفصيل القرآن في ابتلاء بعض الأنبياء والرسل عليهم السلام:

وقد ذكر الله تعالى في كتابه صوراً من الابتلاء الذي تعرض له الأنبياء، على وجه التفصيل، فقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠].

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦، ٦٧].

وقال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام بمعاداة أبيه وقومه له، وبالإلقاء في النار: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام، وأذية فرعون له: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، وقال تعالى عن أذية بني إسرائيل له: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الصف: ٥].

قال ابن القيم: «أين أنت الطريق طريقٌ تعِب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في

النار الخليل، وأُضْجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ»[١].

فصدق في وصفهم النبي الكريم ﷺ حين جاءه خباب بن الأرت وهو متوسد في ظل الكعبة فقال له: «ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: **(كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه...)**[٢].

يقول شيخ الإسلام: «وفي قصصهم عبرة للمؤمنين بهم؛ فإنهم لا بد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك، ولا ييأسوا إذا ابتلوا، وليعلموا أنه قد ابتلي من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير، فيتيقن المرتاب، ويتوب المذنب، ويقوى إيمان المؤمنين»[٣].

ويقول ابن القيم: «ولما صدع رسول الله ﷺ بأمر الله، وصرح لقومه بالدعوة، وناداهم بسبب آلهتهم، وعيب دينهم، اشتد أذاهم له، ولمن استجاب له من أصحابه، ونالوه ونالوهم بأنواع الأذى، وهذه سنة الله ﷻ في خلقه كما قال تعالى: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فصلت:٤٣]»[٤].

«فابتلاء دعاة الحق من الرسل عليهم السلام، وأتباعهم أمر لازم لا محيص عنه، يدل على

---

(١) الفوائد ص ٤٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٢).

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٧٨ باختصار.

(٤) زاد المعاد ٢/ ١٢.

ذلك كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ»[١].

ولهذا عندما سئل الإمام الشافعي: «أيما أفضل للرجل، أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى»[٢].

ثالثاً: نماذج لتنوع ابتلاء الأنبياء في أنفسهم وأهليهم:

لم يكن ابتلاء الأنبياء في دعوتهم فحسب، بل شمل ابتلاء بعضهم في أنفسهم أو في أهليهم، بالخير والشر:

فمنهم من ابتلي في جسده بشتى الأمراض ومسه كل أنواع الضر لمدة طويلة **كأيوب** عليه السلام حتى نادى ربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ومنهم من ابتلي في زوجته كنوح ولوط عليهما السلام، **قال تعالى:** ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

ومنهم من شهد مصرع ولده على الكفر، **قال تعالى:** ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢، ٤٣].

ومنهم من أمر بذبح ولده إرضاء لربه كإبراهيم عليه السلام، **قال تعالى:** ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ومنهم من ابتلي بفقد ولده وأخويه وهو أحب أبنائه إلى قلبه مدة طويلة، ومع ذلك

---

(١) أهمية الجهاد في نشر الدعوة، للعلياني ص ٩٤.

(٢) نقله ابن القيم عن الشافعي في الفوائد ص٢٠٨. ولم أقف عليه في الكتب المتقدمة.

قال: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

ومنهم من فقد كل أولاده في حياته ولم يبق بعده إلا إحدى بناته، وكانت أسرع أهله لحوقا به رضي الله عنها وأرضاها.

ومنهم من تزوج وظل عقيماً طوال حياته إلا قبل موته بقليل، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٤ – ٧].

وابتلي كذلك جميع الأنبياء عليهم السلام في المحيطين بهم، فابتلوا فيمن اتبعوهم فكانوا من الضعفاء الأرقاء الذين ابتلوا في كل موطن وخضعوا للتعذيب.

وغير ذلك من الابتلاءات الذي ذكر الله تعالى في القرآن.

وقد تعرض نبينا محمد ﷺ لجميع أنواع الابتلاءات التي يمكن أن يتعرض لها إنسان في هذه الحياة والتي تعرض لها الرسل جميعاً ومن هذه الابتلاءات:

- الاضطهاد والتعذيب والإيذاء والتجويع والسخرية والردود القبيحة عليه والإهانات المتوالية وكل ما أصيب به هو، أصيب به أتباعه والأذى الذى لحق به لحق بأقاربه.
- الجهاد في سبيل الله ولعل أبرز مواقفة موقفه يوم أحد ويوم الخندق.
- مصيبة الموت في أولاده وأقاربه وأصحابه.
- ولد يتيماً وتوفيت والدته وهو في صغير.



- وابتلي النبي ﷺ بالمرض والجوع والفقر.
- كما ابتلي النبي ﷺ بالقوة والجاه والسلطان والمتعة والغنى والحكم وسائر مُتع الحياة وقد التزم حيال كل ذلك بالسلوك الخُلقي القويم كنموذجٍ يُحتذى به في كل موقفٍ من مواقف الابتلاء.



المطلب الثالث

أنواع الابتلاءات للدعاة عامة

من خلال دعوة الأنبياء في القرآن تبين أن هناك صوراً شتى ابتلي بها الأنبياء ومن سار على نهجهم من الدعاة إلى الله وهم يبلغون رسالات الله، وأصل هذه الصور لا تختلف من عصر إلى عصر إلا بحسب التفنن في الوسائل المستخدمة، يجمعها قول الله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

ولهذا سنقتصر على ذكر بعض من تلك الصور على وجه الإيجاز كالآتي:

❐ أولاً: الدعاية المغرضة ورمي المصلحين بتهم لا أساس لها:

مثل السحر، الشعر، الكهانة، الجنون، الإفساد في الأرض، تبديل دين الناس، وفي أيامنا هذه التطرف، والأصولية، والإرهاب، والتشدد، وغير ذلك من الألقاب والأوصاف المعهودة التي حفظها العام والخاص من كثرة الترداد والدندنة حولها في

وسائل الإعلام والاتصال المختلفة.

قال الحق جل ذكره: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦]، وقال تعالى على لسان الملأ من قوم فرعون: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

فقد قدم فرعون إلى قومه ما يبرر به قتل موسى في قوله: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ فهذه بعينها كلمة كل عدو للإسلام عن كل داعية ومصلح، إنها كلمة الباطل في وجه الحق، إنها كلمة الخداع للخواطر قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

❑ ثانياً: اعتماد سياسة الترهيب:

قال تعالى عن فرعون وتهديده لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وقال تعالى عن تهديد قوم نوح: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وقال تعالى عن تهديد قوم لوط: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

❑ ثالثاً: الابتلاء بالمال والأقربين والرفقاء والاتباع الذين لا يعرفون حقيقة الطريق:

قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وقال تعالى حاكياً عن الأعذار التي قدمها المنافقون: ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا

﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح:١١]، وقال: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب:١٣].

فالمال والبنون والرفقاء من حيث الأصل هم نعمة من النعم الكثيرة التي أسبغها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده الدعاة، ولكنها قد تتحول إلى ابتلاء إذا كانت تثقل كاهل الداعية عن الإسراع إلى جنب الله وتلبية ندائه، وقد ابتلي أنبياء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بهذا النوع من البلاء؛ فهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يبتلى في ابنه وزوجه، وذلك لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ يبتلى في زوجه وهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في أبيه، ومحمد ﷺ في عمه وعشيرته.

❏ رابعاً: الابتلاء بما يتطلب الموقف الصريح والواضح:

فقد أخذ الله عَزَّ وَجَلَّ العهد والميثاق على الذين أوتوا الكتاب أن يبينوا للناس ما آتاهم الله من العلم والأحكام، وأن لا يكتموها أو يؤخروها حين الحاجة إليها، قال جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

يقول الإمام النووي: «وقد أوجب الله إيضاح الأحكام عند الحاجة إليها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧] فوجب علينا حينئذ بيانه، وحرم علينا السكوت»[(١)].

ولاشك أن إيضاح الأحكام، واتخاذ الموقف الصريح والواضح في القضايا التي تمس مقومات الأمة وكيانها، أو تمس طريقة حكمها وسياستها من الأمور التي يمتحن بها الأنبياء ومن سار على نهجهم، فيثبت الله في تلك المواقف الراسخين في العلم، الصادقين في دعواهم ومطالبهم.



(١) المنهل العذب للسخاوي ص٣٢.

المطلب الرابع

كيف ينظر الدعاة للابتلاء

ومن خلال الآيات والأحاديث النبوية يظهر للدعاة كيف ينظرون للابتلاء:

أولاً: التدريب على تحمل الصعاب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: **(مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تُستحصد)**[(١)].

فإن تعرض الزرع للحركة الدائمة يكسبه قدرة على الثبات أمام الأعاصير، في حين أن الأرز التي لا تحركها الرياح العادية فإنها لا تقف أمام الأعاصير والرياح الشديدة، ولذلك فإنها تتحطم، وكذلك الدعاة فإن لا بد أن يكون لديهم قوة احتمال على مواجهة الصعاب وذلك لا يكون إلا بالابتلاء.

فلا بد من الابتلاء حتى يصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد، والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة، التي تزيل الغبش عن العيون، والران عن القلوب.

ثانياً: اصطفاء العناصر القوية الصالحة للدعوة:

قال تعالى: ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

---

(١) صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز (٢٨٠٩).



فالابتلاء يعمل على اصطفاء العناصر القوية الصالحة للدعوة، فلا يدخل في العمل الدعوي من يكون عبئاً على الدعوة والدعاة، وإنما يأتي إلى الدعوة ويثبت عليها من تمكن الإيمان في قلبه، ومن يبتغي وجه الله والدار الآخرة، لأن المرء إذا علم أن المغارم أكثر من المغانم، فإنه لا يختار المغارم إلا إذا رضي بالآجلة عوضاً عن العاجلة.

○ ثالثاً: التفريق بين الصادقين والمدعين وبين الخبيث والطيب:

والابتلاء يكشف عن صدق الصادقين، وحقيقة انتسابهم للإيمان، وهذا ما تضمنته آيات من سورة آل عمران وهي تُعقِّب على ما أصاب المسلمين يوم أحد: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، وهذا الأمر واضح من خلال أحداث السيرة ووقائعها، فالخبيث تمثل في النفاق والمنافقين والطيب تمثل في الإيمان والمؤمنين.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصيت، دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطناً، فاقتضت حكمة الله ﷻ أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمنين والمنافقين.. إلى أن يقول: أي ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين، حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق، كما ميزهم بالمحنة يوم أحد»[(١)].

---

(١) زاد المعاد ٣/ ١٩٧.

رابعاً: التمايز بين المؤمنين والمعادين للدين وكشفهم:

الابتلاء يعمق الهوة بين المؤمنين والكافرين، فلا يعود اللقاء ممكناً؛ لأن ممارسات الكافرين في إيقاع الأذى بالمؤمنين، وحرص الكافرين على استئصال الإيمان وجنده، كل هذا يجعل المعركة دائمة مستمرة لا تنتهي إلا بخضوع الكفار لأحكام الإسلام.

ولو ظهر لين الكفار مع المؤمنين، وسمح الكفار للمؤمنين بأن يدعو للإسلام كما يشاؤون لقال ضعاف الإيمان: إن الكفر ليس بتلك الصفة البالغة في السوء. ومن هنا جاء البيان الإلهي لهذا الموقف المبدأي الدائم: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

خامساً: الترابط الأخوي بين الدعاة:

فالابتلاء يربط بين الدعاة بعضهم ببعض برباط عقلي وعاطفي، إذ بالابتلاء تصل عقول الدعاة إلى حقيقة البناء الإسلامي المتراص، وأن الابتلاء يعطي هذا البناء قوة وصلابة. وإن الذين يبتلون من أجل إيمانهم ودعوتهم، إنما يسهمون بأعز ما يملكون من النفس والمال والأهل والأوطان، وأمّا ما يحققه الابتلاء من الرباط العاطفي، فإن الألم أدعى إلى تحقيق المشاركة والتعاون، وقد ينسى المرء من شاركه في مناسبة سعيدة هنيئة، ولكنه لن ينسى من شاركه في الألم والمعاناة.

ولذلك نجد أن الله تعالى حث على التواصي بالصبر بقوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]، وامتن الله علي نبيه بأنه أيده في وقت الشدة بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ⑥٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ

﴿جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٤].

○ سادساً: دخول الناس في الإسلام وثباتهم عليه:

كذلك لن يدرك الآخرون قيمة الدعوة والرسالة إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها، وصبرهم على بلائها، إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيراً مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه، وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها، وعندئذ يجيء نصر الله، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

فالابتلاء يقدم الدليل القوي على جدارة الدعوة؛ ومن هنا فإن كثيرين أقبلوا على الدعوة عندما رأوا ثبات أهلها واصطبارهم على تحمل الابتلاء الذي لا تثبت له الجبال الراسيات. وتحمل الابتلاء شهادة يُدلي بها الـمُبتلى أمام الناس.

وهذا ظاهر جدًّاً في قصة أصحاب الأخدود، فعندما ضحى بنفسه في سبيل الحق، آمنَ كل الناس، وثبتوا على دينهم بل ثبتوا عند وقوع العذاب، فقتلوا جميعاً في سبيل الحفاظ على دينهم لما رأوا صدق الداعية وثباته.

يقول الرازي: «ومن المعلوم أن التبع إذا عرفوا أن المتبوع في أعظم المحن بسبب المذهب الذي ينصره، ثم رأوه مع ذلك مصرًّاً على ذلك المذهب، كان ذلك أدعى لهم إلى اتباعه مما إذا رأوه مُرَفَّه الحال لا كُلفة عليه في هذا المذهب»(١).

○ سابعاً: الخوف الدائم من الله الذي يولد المراقبة وإحسان العمل:

إذا علم الداعية أنه سيبتلى، فإنه يبقى دائماً على حذر وخوف من الله، وهذا يدعوه

---

(١) مفاتيح الغيب ٤/ ١٥٠.

إلى إحسان العمل، والحرص على توافر شروط النصر، والبعد عن أسباب الهزيمة من المعصية والعجز والتواكل، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

○ ثامناً: إخلاص العبودية لله وتجريد الدعوة له وحده:

فالابتلاء يحقق الإخلاص في نفس المؤمن. قال الرازي: «إن إخلاص الإنسان في حال البلاء ورجوعه إلى الله تعالى أكثر من إخلاصه حال إقبال الدنيا عليه»[١].

يقول ابن القيم في ثنايا حديثه عن بعض الحكم المستخلصة من غزوة أحد ومنها: «استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون ويكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقاً وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية»[٢].

فإن كثيراً من الناس عبد لهواه وليس عبداً لله، يعلن أنه عبد لله، ولكن إذا ابتلي نكص على عقبيه، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج:١١].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف.. فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته، فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكاد

---

(١) مفاتيح الغيب ٤/ ١٥٠.

(٢) زاد المعاد ٣/ ١٨٩.

يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية، فالابتلاء كير العبد ومحك إيمانه»[(١)].

○ تاسعاً: إرادة الخير للدعاة وللدعوة:

يقول جل ذكره في محكم كتابه، عندما فرض القتال على المؤمنين: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦].

ويقول معلقاً على ملابسات غزوة بدر: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال:٧].

ويقول عقب وقوع حادث الإفك الأليم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور:١١].

يقول ابن القيم: «وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته؛ بما ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة»[(٢)].

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ النعم التي حلت على أنبياء الله ورسله بعد الابتلاءات التي تعرضوا لها، وختم ذلك بالحديث عن النبي ﷺ، فكان مما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا جئت إلى النبي ﷺ، وتأملت سيرته مع قومه وصبره في الله واحتماله ما لم يحتمله نبي قبل، وتلون الأحوال

(١) طريق الهجرتين ٢/ ٧٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٩٩.

عليه، من: سلم، وخوف، وغنى، وفقر، وأمن، وإقامة في وطنه، وظعن عنه، وتركه لله، قتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب، والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله، فلم يؤذ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله ذكره، وقرن اسمه باسمه وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهاً، وأسمعهم عنده شفاعة، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفاً وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات.. وهذا حال ورثته من بعده، كل له نصيب من المحنة، يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعته له.. فله سبحانه من الحكم في ابتلاء أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين من معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء»[١].

○ عاشراً: بيان حقيقة دعوة المصلحين وفساد دعوة أهل الباطل:

ليدرك الناس حقيقة دعوة المصلحين وعظم المبدأ الذي ينافحون عنه ويذودون عنه بمهجهم وأرواحهم، كما يبين ضعف حجة الباطل الذي يلجأ إلى الأساليب المعهودة حين لا يملك أن يقرع الحجة بالحجة، ولا الدليل بالدليل.

«وقد يلجأ المبطل إلى القوة المادية فيقتل بعض أنبياء الله ويعذب بعضاً آخر، بعد أن تعوزه الحجة، وينقصه البرهان والدليل، فيكون التجاؤه إلى التعذيب والتقتيل عنوان خذلانه وعلامة على نصر أعدائه، ورب معذب أو قتيل كتب الله له النصر، ولدعوته الظفر والتأييد، ورب جبار أو عنيد كتب الله عليه الذل وسجل عليه الخذلان؛ فكان

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٠١.

الأول حياً في موته منتصراً في قبره، وكان الثاني ميتاً في حياته، مكبوتاً في جبروته وكبريائه، فهو نصر معنوي، يظفر فيه الحق بالباطل، وتظهر فيه الحجة على التقليد والبرهان على الشبهة وقوة الروح على قوة المادة وقد يكون مع النصر المعنوي نصر مادي»[(١)].

وفي قصص الأنبياء أكبر دليل على ذلك، فأعداء الدعوة لا يملكون أمام الحق إلا البطش، ومن ذلك ما فعله فرعون مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما أقنعه بالحجة والبرهان، حيث قال له فرعون: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩]، فانتقل موسى لبيان الحق من خلال المعجزات فقال لفرعون: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٠ - ٣٣].

ولم يكن أمام فرعون كذلك إلا الإيمان أو البطش، فاختار البطش.. حتى وصل الأمر إلى إيمان السحرة لما رأوا الآيات، فلم يبق أمامه هو كذلك إلا قبول الحق، ولكنه عاند وكابر واختار البطش والتعذيب لهؤلاء المؤمنين الذين تبرؤوا من فرعون بعدما كانوا سحرته وأعوانه.

فكل هذه المواقف وغيرها تبين للناس والمشاهد أن الحق يظهر بابتلاء أهله وعدم صمود الباطل أمام أهل الحق.

○ الحادي عشر: رفع درجات المؤمنين وتكفير خطاياهم:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) دعوة الرسل إلى الله د. محمد العدوي ص٢٤١.



وقال ﷺ: (وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة)[١].

وقال ﷺ: (ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه)[٢].

وقال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوَافِيَ به يوم القيامة)[٣].

الثاني عشر: إظهار آياته:

فالله تعالى من خلال الابتلاء يظهر للناس آياته، ويبين لعباده عاقبة الظلم والظالمين، ويستخلف عباده الصالحين مهما طالت مدة الابتلاء.

فأين فرعون الذي قال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]، والذي قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، والذي قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف:٥١]، فأجراها الله من فوقه.

وأين هامان؟ وأين قارون؟ وأين عاد؟ وأين ثمود؟ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٧٨ (١٤٨١)، واللفظ له، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن، وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٢٣)، وجامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٨٩) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (٢٥٧٣).

(٣) جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ٥٦ ما جاء في الصبر على البلاء (٢٣٩٦) وقال الترمذي: حسن صحيح.

○ الثالث عشر: التجافي عن الدنيا والإقبال على الله والدار الآخرة:

الابتلاء في الدنيا يجعل الداعية في شوق للقاء الله تعالى، فالدنيا لا تستقر لأحد، ولا تدوم على حال، فإذا ما اشتد الكرب وتعاظم الابتلاء اشتاق المؤمن للقاء مولاه، وخرج حب الدنيا من قلبه، وتعلق بالآخرة وعمل لها وسعى.

فالابتلاء يكشف حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور، وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا، في حياة لا مرض فيها ولا تعب، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤].

فلن يشتاق الداعية إلى الجنة إلا إذا ذاق مرارة الدنيا، فكيف يشتاق العبد لله والدار الآخرة وهو هانئ في الدنيا.

○ الرابع عشر: الابتلاء درس في التوحيد والإيمان والتوكل:

يطلع الابتلاء الداعية عمليًّا على حقيقة نفسه ليعلم أنه عبد ضعيف، لا حول له ولا قوة إلا بالله، فيتوكل عليه حق التوكل، ويلجأ إليه حق اللجوء، حينها يسقط الجاه والتيه والخيلاء، والعجب والغرور والغفلة، ويفهم أنه مسكين يلوذ بمولاه، وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه.

قال ابن القيم: «فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهَّله لأشرف مراتب الدنيا؛ وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة؛ وهو رؤيته وقربه»(١).

---

(١) زاد المعاد، ٤/ ١٩٥.

الخامس عشر: الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويقربها إلى الله:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥] فعن الربيع بن أنس قال: قال رجل يوم حنين: «لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي ﷺ فكانت الهزيمة»[١].

قال ابن القيم: «واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة، مع كثرة عَدَدِهم وعُدَدِهم وقوة شوكتهم؛ ليضع رؤوساً رفعت بالفتح، ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعاً رأسه، منحنياً على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعاً لربه وخضوعاً لعظمته واستكانة لعزته»[٢].

السادس عشر: إظهار فضائل الناس ومعادنهم:

فهناك ناس لا يعرف فضلهم إلا في المحن، فعن أبي سلمة قال: «افتتن ناس كثير -يعني عقب الإسراء-، فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له، فقال: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء، قال: فسمي بذلك الصديق»[٣].

ويتمثل ذلك في سحرة فرعون عندما قال لهم: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ

---

(١) جامع البيان ١٤/ ١٨١، وينظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٤٤.

(٢) زاد المعاد، ٣/ ٤٧٧.

(٣) مصنف عبدالرزاق ٥/ ٣٢١ (٩٧١٩)، والمستدرك على الصحيحين ٣/ ٦٥ (٤٤٠٧)، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧١ - ٧٣].

وكذلك معدن زوجة فرعون، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١].

السابع عشر: الابتلاء يُذكِّر بالذنوب للتوبة منها:

الابتلاء فرصة للتفكير في عيوب النفس وأخطاء الماضي، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠].

وفي معركة أحد يقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]. وبين لهم ما وقعوا فيه بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

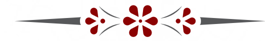
فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة:٢١]، والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها، وما يصيب الإنسان من سوء وشر.

وإذا استمرت الحياة هانئة فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكبر، ويظن نفسه مستغنياً عن الله، فمن رحمته سبحانه أن يبتلي الإنسان حتى يعود إليه.

الثامن عشر: الابتلاء يُذَكِّر بفضل نعمة الله والصحة والعافية وشكرها:

فإن هذه المصيبة تشرح بأبلغ بيان، معنى الصحة والعافية التي كنت يتمتع الإنسان بهما سنين طويلة، ولم تتذوق حلاوتهما، ولم تقدرهما حق قدرهما.

فالمصائب تذكرك بالمنعم والنعم، فتكون سبباً في شكر الله سبحانه على نعمته وحمده، وهذا ظاهر في قصة موسى بعد ابتلاءاته الكثيرة التي مر بها، بعد هذا كله يعلم أن هذا ما فيه هو من نعم الآن نتيجة لهذا البلاء العظيم، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].



المطلب الخامس

الحكمة من ابتلاء الأنبياء والدعاة ومن بعدهم

قال ابن القيم: «فإنه سبحانه كما يحمي الأنبياء ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم:

١- ليستوجبوا كمال كرامته.

٢- وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم.

٣- ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم.

فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم، وله الحكمة البالغة، والنعمة السابغة، لا إله غيره، ولا رب سواه»[(١)].

وقال: «وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان... وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين الكرامة في حقهم، فصورته صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله مِن نعمة جسيمة ومنَّة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان.

فتأمل حال أبينا آدم ﷺ وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المنزلة.

وتأمل حال أبينا الثاني نوح ﷺ وما آلت إليه محنته وصبره على قومه تلك القرون كلها حتى أقر الله عينه، وأغرق أهل الأرض بدعوته، وجعل العالم بعده من ذريته، وجعله خامس خمسة وهم أولو العزم الذين هم أفضل الرسل، وأمَر رسولَه ونبيه محمَّداً أن يصبر كصبره، وأثنى عليه بالشكر فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣]. فوصفه بكمال الصبر والشكر.

ثم تأمل حال أبينا الثالث إبراهيم ﷺ إمام الحنفاء وشيخ الأنبياء وعمود العالم وخليل رب العالمين من بني آدم، وتأمل ما آلت إليه محنته وصبره وبذله نفسه لله، وتأمل كيف آل به بذله لله نفسه ونصره دينه إلى أن اتخذه الله خليلاً لنفسه... وضاعف الله له النسل وبارك فيه وكثر حتى ملؤوا الدنيا، وجعل النبوة والكتاب في ذريته خاصة، وأخرج منهم محمَّداً ﷺ وأمَره أن يتبع ملة أبيه إبراهيم...

---

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٤٥٢.

ثم تأمل حال الكليم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وما آلت إليه محنته وفتونه من أول ولادته إلى منتهى أمره حتى كلَّمه الله تكليما، وقرَّبه منه، وكتب له التوراة بيده، ورفعه إلى أعلى السموات، واحتمل له ما لا يحتمل لغيره، فإنه رمى الألواح على الأرض حتى تكسرت، وأخذ بلحية نبي الله هارون وجرَّه إليه، ولطم وجه ملك الموت ففقأ عينه، وخاصم ربه ليلة الإسراء في شأن رسول الله، وربه يحبه على ذلك كله، ولا سقط شيء منه من عينه، ولا سقطت منزلته عنده، بل هو الوجيه عند الله القريب، ولولا ما تقدم له من السوابق وتحمل الشدائد والمحن العظام في الله ومقاساته الأمر الشديد بين فرعون وقومه ثم بنى إسرائيل وما آذوه به وما صبر عليهم لله، لم يكن ذلك.

ثم تأمل حال المسيح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبره على قومه واحتماله في الله وما تحمله منهم حتى رفعه الله إليه وطهره من الذين كفروا وانتقم من أعدائه، وقطَّعهم في الأرض ومزَّقهم كل ممزق وسلبهم ملكهم وفخرهم إلى آخر الدهر...

فإذا جئت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأملت سيرتَه مع قومه وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبي قبله، وتلون الأحوال عليه مِن سِلْم وخوف، وغنى وفقر، وأمن وإقامة في وطنه وظعن عنه وتركه لله وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى من القول والفعل والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله يدعو إلى الله فلم يؤذ نبي ما أوذي، ولم يحتمل في الله ما احتمله، ولم يعط نبي ما أعطيه، فرفع الله له ذكره وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهاً، وأسمعهم عنده شفاعة، وكانت تلك المحن والابتلاء عين كرامته، وهي مما زاده الله بها شرفاً وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات.



وهذا حال ورثته من بعده الأمثل فالأمثل كلٌّ له نصيب من المحنة، يسوقه الله به إلى كماله بحسب متابعته له»[١].

المطلب السادس
ما يتسلى به الداعية عند الابتلاء

لا بد للداعية عند الابتلاء أن يتذكر نعم الله عليه ولطفه في ابتلائه له تسلية لنفسه، وذلك بأن يتذكر أمورا كثيرة منها:

١- أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه، وادَّخر له إن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

٢- أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، ولينظر يمنة فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟ وأنه لو فتَّش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم، أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرَّت يوماً ساءت دهراً، وإن متَّعت قليلاً منعت طويلاً.

٣- أن يعلم أن الجزع لا يردها - أي: المصيبة - بل يضاعفها، وهو في الحقيقة من تزايد المرض.

٤- أن يعلم أن فوات ثواب الصبر والتسليم وهو الصلاة والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع أعظم من المصيبة في الحقيقة.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٩٩-٣٠١.

٥- أن يعلم أن الجزع يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه، وإذا صبر واحتسب أرضى ربه، وسر صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يعزوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم، لا لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، والسخط على المقدور.

٦- أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ويكفيه من ذلك «بيت الحمد» الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه[1]، فلينظر أي المصيبتين أعظم: مصيبة العاجلة، أو مصيبة فوات بيت الحمد في جنة الخلد.

٧- أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به، ولا ليعذبه به، ولا ليجتاحه، وإنما افتقده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحا ببابه، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً قصص الشكوى إليه.

٨- أن يعلم أنه لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يفتقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عبوديته، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه.

---

(١) إشارة إلى قول النبي ﷺ قال: **(إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد)** جامع الترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب (١٠٢١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٠٨).



٩- أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة، يقلبها الله سبحانه، كذلك وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك، فإن خفي عليك هذا فانظر إلى قول الصادق المصدوق ﷺ: «حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»[(١)][(٢)].

١٠- أن يعلم أن هذا البلاء مكتوب عليه لا محيد عن وقوعه واللائق به أن يتكيف مع هذا الظرف ويتعامل بما يتناسب معه.

١١- أن يذكر مصاب الأمة الإسلامية العظيم بموت رسول الله ﷺ الذى انقطع به الوحي وعمت به الفتنه وتفرق بها الأصحاب.

١٢- أنه ربما ابتلاه الله بهذه المصيبة دفعاً لشر وبلاء أعظم مما ابتلاه به، فاختار الله له المصيبة الصغرى وهذا معنى لطيف.

١٣- أنه فتح له باب عظيم من أبواب العبادة من الصبر والرجاء، وانتظار الفرج فكل ذلك عبادة.

١٤- أنه ربما يكون مقصر وليس له كبير عمل فأراد الله أن يرفع منزلته ويكون هذا العمل من أرجى أعماله في دخول الجنة.

١٥- قد يكون غافلاً معرضاً عن ذكر الله مفرطاً في جنب الله مغتراً بزخرف الدنيا، فأراد الله قصره عن ذلك وإيقاظه من غفلته ورجوعه إلى الرشد.

فإذا استشعر الداعية هذه المعاني واللطائف انقلب البلاء في حقه إلى نعمة وفتح له باب المناجاة ولذة العبادة، وقوة الاتصال بربه، والرجاء، وحسن الظن بالله، وغير ذلك من أعمال القلوب، ومقامات العبادة، ما تعجز العبارة عن وصفه.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها بدون باب (٢٨٢٢).

(٢) زاد المعاد ٤/ ١٨٩-١٩٥.

المطلب السابع
واجب الدعاة تجاه الابتلاء

يمكن إجمال ذلك في النقاط الآتية:

✧ أولاً: أن يتيقن أن المؤمن كل أمره خير فهو في نعمة وعافية في جميع أحواله:

قال الرسول ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تكرهوا الملمات الواقعة، والبلايا الحادثة، فَلَرُبَّ أمرٍ تكرهه فيه نجاتك، ولَرُبَّ أمرٍ ترجوه فيه عطبك»[٢] أي: هلاكك.

وقال الفضل بن سهل: «إن في العلل لنعَماً ينبغي للعقلاء أن يعرفوها، تمحيص للذنوب، وتوخٍ لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وتذكير بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للتوبة، وحضّ على الصدقة»[٣].

فالمؤمن يبحث في البلاء عن الأجر، ولا سبيل إليه إلاّ بالصبر.

✧ ثانياً: تلقي البلاء على أنه نعمة ومنحة لا محنة:

كان ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يعد سجنه نعمة عليه تسبب فيها أعداؤه، قال ابن القيم: «وقال لي مرة – يعني شيخ الإسلام – ما يصنع أعدائي بي!! أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحت فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٢٩٩٩).
(٢) الكشف والبيان للثعلبي٥/ ٤٠١-٤٠٢
(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخي ص١٦٩، تاريخ بغداد١٢/ ٣٤٢



سياحة.. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله.. وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣].

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»(١).

✧ ثالثاً: توطين النفس على الابتلاء وتعويدها على ذلك:

يقول الشيخ عبد العزيز الجليل وبعد ذكر نماذج من صور الأذى والصد، التي تعرض لها صفوة البشر وأحبهم إلى الله تعالى: «هل لقائل أن يقول إنه يجب الابتعاد في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن كل ما من شأنه أن يجر على الداعية الأذى والمحن؟ إن صاحب هذا القول قد نسى أو تناسى سنة الله ﷻ في الصراع بين الحق والباطل، وسنته سبحانه في الابتلاء... نعم إن من بيننا من يريد المغنم من الدعوة ولا يريد العناء والمشقة؛

(١) الوابل الصيب ص٤٨.

بدليل عدم الإعداد والاستعداد لأي أذى يعترض في الطريق ولو كان قليلاً؛ فما دام الأمن وما دامت السلامة والراحة فهو نشيط ومتحرك، فإذا ظهرت المحن وبدايات الابتلاء والتمحيص آثر السلامة والراحة، وعلل ذلك بالابتعاد عن الفتن ودرء المفاسد.

ولا يعني ما سبق من الكلام أن يبحث الداعية عن الأذى والابتلاء؛ كلا. فالمطلوب سؤال الله العافية وعدم تمني البلاء كما لا يفهم منه أيضاً الدعوة إلى التهور والطيش. معاذ الله فلابد من المنطلقات الشرعية في كل التصرفات، لكن المراد أن لا تغفل عن سنة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في ابتلاء المؤمنين وأن توطن النفس على هذه الأمور؛ لأنه لابد منها لكل من ادعى الإيمان، وتصدر الدعوة والجهاد، ولابد منها لتمييز الخبيث من الطيب، ولابد منها لتمحيص القلوب والصفوف.

ومن خلال الدراسة لحياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتقليبنا لتاريخ المجددين والمصلحين نرى ذلك المعلم ظاهراً وقاسماً مشتركاً عندهم جميعاً، حيث لم تخل حياة رسول ولا مصلح مجدد من الأذى والمحن والابتلاء، بل لم يحصل التمكين لهم وإقامة دين الله سبحانه في الأرض على أيديهم إلا بعد الصبر والمصابرة على صنوف الإيذاء والمحن في سبيل الله»[(١)].

✧ رابعاً: الانتباه إلى أن الابتلاء بالخير أشد من الابتلاء بالشر:

إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، فكثيرون يصمدون أمام الابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير.. وكثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف، وقليلون هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة.. وكثيرون يصبرون على الفقر والحرمان، فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل، وقليلون هم الذين

---

(١) فبهداهم اقتده، عبد العزيز بن ناصر الجليل ص١٦٧-١٦٨.

يصبرون على الثراء ومغرياته وما يثيره من أطماع.. كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح، وقليلون هم الذين يصبرون على الدعة، ولا يصابون بالحرص الذي يذل أعناق الرجال.

إن الابتلاء بالشر قد يثير الكبرياء، ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب لاستقبال الشدة، أما الرخاء فقد يرخى الأعصاب ويفقدها المقاومة، إلا من عصم الله.

والله تعالى يحذر عباده من خطورة كثرة النعم وعدم الأخذ في الاعتبار أن هذه النعم ليست دليلا على رضا الله على العبد وإنما هي ابتلاء من الله واختبار، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التغابن: ١٥].

لذا نجد أن النبي ﷺ قد خاف على أمته فتنة وبلاء الخير والسعة أكثر من فتنة الشدة والشر، كما في الحديث (.. **فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم**)[(١)].

فالعطاء ليس دليلاً ولا مقياساً على المحبة والرضا، وإنما هو ابتلاء من الله واختبار، لينظر حال العبد في هذا الامتحان، ولا أدل على هذا من حديث الثلاثة: «الأقرع، والأبرص، والأعمى»[(٢)] واختبار الله لهم بالرخاء وكثرة المال والسعة.

فينبغي على الداعية حال الرخاء، أن يعمل بما في يده طاعة لربه، وأن يقوم بحق هذا المال والرخاء الذي وسع الله به عليه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (٣١٥٨)، ومسلم، أوائل كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث أبرص، وأعمى، وأقرع في بني إسرائيل (٣٤٦٤)، ومسلم، أوائل كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

✧ خامساً: سؤال الله العافية وحفظ النعمة وعدم تمني البلاء:

فقد يحصل من بعض الدعاة في بعض المواقف نوع من الحماس والعاطفة فيقول بعض الكلمات التي فيها طلب للبلاء في سبيل الله، وهذا أمر نهى عنه النبي ﷺ، فقد كان يُعَلِّمُ أصحابه: **«لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ»**[١].

وقال ﷺ للرجل الذي كان يدعو على نفسه ويقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: **«سبحان الله لا تطيقه، ولا تستطيعه، فهلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»** فدعا الله ﷻ، فشفاه الله ﷻ[٢].

وعبد الله بن عمر يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي: **«اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»**[٣]، فالعافيةُ لا يَعدِلُها شيءٌ، ومن أُعطي العافيةَ في الدنيا والآخرة؛ فقد كَمُلَ نَصِيبُه من الخير.

وعن عبد الله بن عمر، قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»**[٤]، قال النووي:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس (٢٨٠٤) واللفظ له، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء (١٧٤٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والداعء، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا (٢٦٨٨).

(٣) مسند أحمد ٨/ ٤٠٣ (٤٧٨٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٢٧٣٩).

«وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن في الدين والدنيا والآخرة»(١).

✧ سادساً: اليقين بفرج الله برفع البلاء:

لا بد أن يكون لدى الداعية يقين بفرج الله، وأن الله تعالى سيرفع البلاء عنه وعن دعوته، وسيزيل العوائق التي تعوقه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وأن يوقن بقول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥، ٦]، وقوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

لأن هذا التفاؤل وهذا الأمل سيجعل الداعية يتحرك ويعمل ويمارس حياته الدعوية والخاصة بإيجابية، وثبات.

فهذا يعقوب عليه السلام وبعد مدة طويلة من فقدان يوسف ثم فقدان أخيه، يقول لبنيه في ثقة ويقين: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وهذا موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩].

وهذا رسول الله ﷺ يبث الأمل في قلوب أصحابه بعدما بين لهم ابتلاء الأنبياء وأصحابهم، حينما قال له خباب رضي الله عنه: «ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ فقال ﷺ:

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ٤٥.

(كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)(١).

فهذه سنة الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

✧ سابعاً: الدعاء حال وقوع الابتلاء وسؤال الله رفعه:

فعلى الداعية إذا أصابته مصيبة أن يسترجع ويدعو بما ورد في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها)** قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟! أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها فأخلف اللهُ لي رسولَ الله ﷺ»(٢).

فلا بد للداعية من سؤال الله رفع البلاء إذا وقع، وأن يكون الداعية على يقين ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

فعند البلاء لا بد من التضرع في الدعاء، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣]. وهذه هي سنة الأنبياء عند نزول الابتلاء فهذا ليس مخالف للرضا بالقضاء والقدر، ولا يقلل من أجر صاحب الابتلاء.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ما يقال عند المصيبة (٩١٨).

فقد قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠].

وقال تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١]. وغيرها من أدعية الأنبياء.

✧ ثامناً: الاستعانة بالصلاة:

فقد أمر الله نبيه ﷺ بالصلاة أمراً مباشراً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [هود: ١١٤].

قال القرطبي: «وخصها بالذكر لأنه ثانية الإيمان، وإليها يفزع في النوائب»[١].

ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨]. «أي: أكثر من ذكر الله وتسبيحه وتحميده والصلاة فإن ذلك يوسع الصدر ويشرحه ويعينك على أمورك»[٢].

ولذا فقد «**كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة**»[٣].

وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه أخوه وهو في سفر، فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥][٤].

والمقصود أن الصَّلاة من أعظم ما يُستعان به على الثَّبات عند البلاء وكذلك لرفع البلاء، لأنَّ الإقبالَ على الصلاة، يورث العبد خشيةً وإنابةً وقرباً من الله عز وجل، وظفراً بمعيَّته الخاصَّة بالمؤمنين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٢٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٤٣٥.

(٣) سنن أبي داود، كتاب التطوع باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل (١٣٢١) وصححه الألباني.

(٤) جامع البيان ١/ ١٤، وشعب الإيمان للبيهقي ٧/ ١١٤ (٩٦٨٢).

✧ تاسعاً: الاستعانة بالصبر:

فالدعوة إلى الصبر ضرورة لثقل العبء ومشقة الطريق، ولحفظ هذه النفوس متماسكة راضية موصولة بالهدف البعيد منطلقة كذلك إلى الأفق البعيد.

فقد كان الرسول عليهم السلام يقولون لأقوامهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وبين تعالى أن الصبر سبيل كل الرسل في الابتلاء في طريق الدعوة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال تعالى عن يعقوب عليه السلام، عند فقده يوسف عليه السلام: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، وقال عند فقده ابنه بنيامين: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [يوسف: ٨٣].

وقال لقمان الحكيم لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال الله عز وجل لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠].

فالصبر من الصفات الأساسية التي لا غنى عنها للداعي، ولا سيما إذا قرن الصبر باليقين، فلا تنال الإمامة في الدين إلا بهما، قال الله عز وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

ولذا من المهم في الصبر أن يسأل الداعية ربه الصبر، فهو بتوفيق من الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقال تعالى عن سحرة فعون بعد تهديد فرعون لهم بالقتل: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

✧ عاشراً: الثبات على الحق حال الابتلاء:

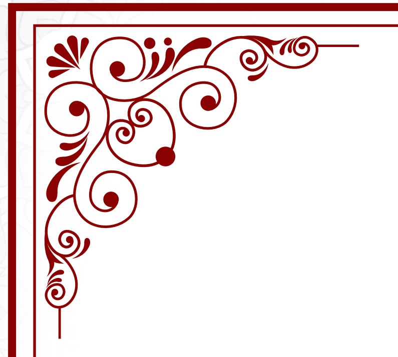
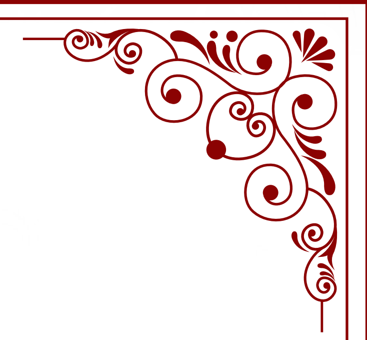
فمن الناس من لا يصمد في مواجهة الشدائد، فمنهم من يضعف، وربما تنكب طريق الحق، حرصاً على الحياة والرزق، وخوفاً من عذاب الناس، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الصنف في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت:١٠]، وموقفهم هذا ناشئ عن الجهل، أو ضعف الإيمان، أو الهزيمة النفسية التي يعيشونها.

وربما زاد بعضهم على هذا الخوف نقيصةً أخرى، فراح يهاجم العاملين للإسلام، متهمَّاً إياهم بالجهل، ومفتشاً عن أخطائهم، لعل ذلك، في تقديره، يطمس الحقيقة، ويستر خوفه وجبنه وضعف إيمانه، فيظهر أمام الناس حكيماً كيساً، لا جباناً منهزماً.

ومنهم صنف لا تهزه العواصف، ولا تزحزحه المحن؛ يشق طريقه غير عابئ بما يلاقيه في سبيل الله ﷻ، يستعذب العذاب، ويستسهل الصعب.. ولقد كان هذا الصنف هو الغالب في جيل الصحابة، وكانت مواقفه وتضحياته سبباً في انتصار الحق وبقائه.

وقد نوه القرآن الكريم بهذا الصنف، وذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦]، وفي قوله سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [الأحزاب:٢٣].



المبحث الثالث
إعراض الناس وانصرافهم عن الدعوة

وبيان ذلك في أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية علم الداعية بموانع استجابة المدعوين.

المطلب الثاني: الاستجابة للدعوة توفيق من الله.

المطلب الثالث: موانع الاستجابة من جهة المدعو.

المطلب الرابع: موانع استجابة المدعوين من جهة الداعية.






المطلب الأول

أهمية علم الداعية بموانع استجابة المدعوين[١]

لما كانت الدعوة تقوم بشكل أساسي على عرض الدعوة ومبادئها بشكل حسن، وكان من أهداف الداعية تبيين سبيل المؤمنين للناس، والتأثير في نفوسهم، وإرشادهم وهدايتهم، كان من المهم للداعية: معرفة الأسباب التي تصد الناس عن الاستجابة لها رغم حسن عرضه لها، وبذله الجهود في نشرها.

فيكون الداعية كالطبيب الذي يسعى في طلب الشفاء للمريض، فيقف على علته المرضية، بسؤاله عن تاريخ مرضه، ومراقبة أحواله لمعرفة الأسباب التي أدت به إلى هذه العلة، فيعمل حينها على إزالة هذا السبب ما استطاع، ثم يختار له الدواء الأصلح والأنفع، ويضع منه المقدار المناسب فوق الجزء المعتل، حتى يتحقق له الشفاء بإذن الله، ثم في مدة نقاهته من المرض، يجنبه الأسباب التي قد تؤدي إلى انتكاس حاله.

فيظهر مما سبق أهمية معرفة السبب وإزالته، لتحقق الفائدة وحصول النتيجة بإذن الله، لأن «قبول المحل لما يوضع فيه، مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه في بالباطل اعتقاداً ومحبة، لم يبق فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع»[٢].

وعلم الداعية بأسباب الصدود عند المدعوين يحقق الفوائد التالية:

١- إذا عرف الداعية هذه الأسباب حرص على إزالتها، أو التقليل من أثرها

(١) مقال بعنوان: أهمية علم الداعية بأسباب صدود المدعوين. د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة. باختصار.

(٢) الفوائد ص ٤٣.

السيء في نفوس المدعوين ما أمكنه ذلك، لتصبح نفوسهم مهيأة للنبت الجديد بإذن الله[١]، فإذا أهمل الداعية إزالة الأسباب – الممكن إزالتها – كان كالذي يبني دارا على أرض هشة لينة قد تنهار به في أي لحظة.

٢- إن معرفة هذه الأسباب تساعد الداعية في اختيار الأسلوب الأفضل والوسيلة الأجدى في الدعوة، فأسلوب دعوة من امتلأ عقله بالمفاهيم المنحرفة، مختلف عن أسلوب دعوة من تبين له الحق، ولكن تعلق قلبه بالدنيا، وغلبت عليه شهواتها.

٣- إن معرفة أسباب الصدود في بيئة ما، يساعد على التخطيط الجيد عند إعداد الدعاة، وتثقيفهم وتعليمهم، بما يتناسب مع المجتمع الذي يدعو فيه، فيتسلح الداعية بما يساعد على الدفاع عن الإسلام عند أصحاب الشبهات، ويتحلى بسعة الصدر ولين القول، وحسن التعامل، ليتخطى عقبة كراهية الحق ومن يدعو إليه، ويتزود بما يكسب به مودة الناس وصداقتهم ويؤلف قلوبهم.

٤- في بعض المجتمعات قد يكون من الأفضل أن يتصدى للدعوة من يتمكن من أن ينال ثقة الناس واحترامهم، لأن احتقار المدعوين للداعية وازدراءهم له وضعف ثقتهم به، أو بعلمه، أو نظرتهم له نظرة دونية، كل ذلك يحول دون الإنصات له والاستجابة لما يدعو إليه، و من الأنسب أن تراعى المكانة الاجتماعية، والمستوى المعيشي والثقافي.

٥- إن معرفة الداعية لأسباب الصدود مفيد في إنجاح العملية الدعوية وإزالة العراقيل من طريقها، فإذا تمكن الداعية بحكمته تفادي الصدام مع هذه الأسباب مباشرة، وذلك بأن يبتعد عن إثارة النعرات العصبية والشخصية عند المدعوين – حال

---

(١) للاستفادة انظر: دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها من ص ٢٨٥- ٣٧١، وقد قسم المؤلف سبل علاج هذه الموانع إلى خمسة أقسام هي: الحسية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية، وانظر: أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان من ص ٤٢٦ – ٤٣٦.

كُمون هذه الأسباب - وتأجيل ما يمكن تأجيله منها حتى ينشرح صدورهم للهدى، لأن الغالب أن يثور المدعو وتأخذه العزة بالإثم عند إثارة هذه النعرات.

٦- إن بصيرة الداعية المؤمن بمكائد الشيطان ووسائله في صد الناس عن اتباع الهدى، يدفعه إلى التوقي والحذر أن يقع يوما في حبائله، فلا يسلطه على عقله ليبث فيه الشكوك والأوهام، ولا على قلبه فيزين له الدنيا ويزخرف له متاعها، أو يلوث أخلاقه بأنواع الانحرافات الخلقية.

وخلاصة هذه الفوائد أن معرفة الداعية لهذه الأسباب، تعينه على مراعاة أحوال المدعوين، بما يهيئهم للاستجابة، وهذا ما سنتناوله في المطالب التالية بإذن الله.



المطلب الثاني

الاستجابة للدعوة توفيق من الله

من المعلوم أنه إذا أخلص الداعية، وبذل غاية وسعه، وقدم ما يمكنه من جهد ووقت ومال لنشر دين الله، ولم ير استجابة ثم راجع نفسه وحاسبها، وأعاد الدعوة كرات وكرات، فليعلم أن هناك مانعا عن الاستجابة للحق، لا يملك هو أمامه إلا الدعاء - مع الاستمرار في بذل الأسباب - بالهداية لمن كتب الله عليه الضلالة.

فعلى الداعية ألا يصيبه الإحباط أو اليأس من هدايتهم، لأن (القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)[1]، وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]. وقال

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤).

تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧].

فالله تعالى «قد أوضح السبل، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكَّن من أسباب الهداية والطاعة، بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله.

ووفق من شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه، فهذا فضله.

وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله، وخلى بينه وبين نفسه، ولم يرد سبحانه أن يوفقه، فقطع عنه فضله، ولم يحرمه عدله، وهذا أنواع:

أحدها: ما يكون منه جزاء للعبد على إعراضه عنه، وإيثار عدوه في الطاعة والموافقة عليه، وتناسي ذكره وشكره، فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه.

والثاني: أن لا يشاء له ذلك، ابتداء كما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية، ولا يشكره عليه، ولا يثني عليه بها، ولا يحبه، فلا يشاؤها له، لعدم صلاح محله»(١).

والثالث: من عَلِمَ الله تعالى أنه ليس مهيَّأً بعدُ لاستقبال الخير والحق والهدى، فيريد الله تعالى تأخر هدايته حتى تحدث له أمور وابتلاءات متنوعة، تبين له طريق الحق وتكشف له عن فساد ما كان يدين به، فتنجلي الشبه عن قلبه ويقبل على الحق(٢).



(١) الفوائد ص ٣٨.

(٢) مقال بعنوان: أهمية علم الداعية بأسباب صدود المدعوين. د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة.

المطلب الثالث

موانع الاستجابة من جهة المدعو

هناك موانع كثيرة تمنع المدعو من الاستجابة للداعية والدعوة إلى الله تعالى ذكرها الله تعالى في كتابه، وبينتها السنة النبوية، أجملها في النقاط التالية:

➢ أولاً: الجهل:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدًّا:

فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس، فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه قوي المانع من القبول جدًّاً، فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله ﷺ ازداد المانع من قبول الحق قوة، فإن هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهدى، كما سيأتي ذكر قصته إن شاء الله تعالى»[١].

➢ ثانياً: الحسد:

وهو من أعظم الأسباب المانعة من قبول الحق، قال ابن القيم: «**الحسد**» فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره،

(١) هداية الحيارى ١/ ٢٤٤.

فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه، غص بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة.

وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم، وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات، والهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء.

وقد قال المسور بن مخرمة - وهو ابن أخت أبي جهل - يا خال، هل كنتم تتهمون محمدا قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي! والله لقد كان محمد فينا صادقاً وهو شاب، يدعى الأمين، فما جربنا عليه كذباً قط، قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه؟! قال: يا ابن أختي تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي فمتى ندرك مثل هذه؟

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟[1].

➢ ثالثاً: اتباع الهوى:

وقال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ

---

(١) جامع البيان ٧/ ١٨٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٣٠.

أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال ابن القيم: «حذار، حذار من أمرين لهما عواقب سوء:أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب ورد ما يرد عليك من الحق رأساً ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك»[١].

إن الحق في هذا القرآن لبين وحجة هذا الدين واضحة، والهوى هو الذي يصد الناس عنه. ولذا فلا يوجد إلا طريقان: إما إخلاص للحق وتخلص من الهوى وإيمان وتسليم، وإما مجادلة في الحق واتباع للهوى والتكذيب والشقاق.

فالمقصود أنه إذا اتَّسمت شخصيَّة المدعوِّ باتباع الهوى لم يكد يستجيب للداعية في رحلة المتابَعة والنصح وبناء الشخصية؛ بل ترى هذه الشخصيَّة مُتَنقِّلة يميناً ويساراً، بلا هدف تسعى إليه، أو غاية ترجوها.

➢ رابعاً: التقليد الأعمى، والعصبية القبلية:

التعصب لما كان عليه الآباء والأجداد والرؤساء والكبراء وسائر أفراد المجتمع من العادات والتقاليد والدين، وما ورثوه من أخلاق وعادات عنهم، وقد بين الله تعالى قبح وضلال من يفعل ذلك في العديد من آيات القرآن كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقوله: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وعندما حضرت أبا طالب الوفاة جاء زعماء الشرك وحرضوه على الاستمساك

(١) بدائع الفوائد ٣/ ١٨٠.

بدينه وعدم الدخول في الإسلام قائلين: أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام قائلاً: **(قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة)** فقال أبو طالب: لولا تعيرني بها قريش، يقولون: إنما حمله عليها الجزع، لأقررت بها عينك[1].

ومنهج الإسلام يحث على النظر والاعتبار، ومبني الجزاء فيه على أن المسؤولية والمحاسبة مسؤولية فردية يتحملها كل إنسان عن نفسه.

➢ خامساً: تقليد الأشياخ والسادة:

فقد قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]. وقال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وتأمل هذه المحاورة بين القادة والسادة وبين التابعين لهم والمغرر بهم وذلك يوم الحسرة والندامة يوم لا ينفع متبوعٌ تابعاً ولا سيدٌ مسوداً ولا شيخٌ مريداً، حيث تدور بينهم هذه المحاورة التي يكشفون فيها عن الحقائق التي كانوا عليها في الدنيا من رد الحق وعدم قبوله والعصيان لله ومخالفة رسله. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

➢ سادساً: الكبر والطبقية:

قال تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤١٨.

جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال أبو جعفر: ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك!

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مرَّ الملأ من قريش بالنبيِّ ﷺ، وعنده صهيب وعمار وبلال وخبَّاب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ هؤلاء الذين مَنَّ اللهُ عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك! فلعلك إن طردتهم أن نتَّبعك [(١)].

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ١١] إنه الهوى الذي يجعل أهل الكبر لا يذعنوا للحق، ولا أن يستمعوا لصوت الفطرة، بل يملي عليهم العناد واختلاق المعاذير، والادعاء بالباطل على الحق وأهله، والتعالي عليهم، فقد كان الهوى هو حجة قوم نوح في رفضهم الحق، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧].

➢ سابعاً: تفلُّت المدعو من التقيُّد بالالتزام والمسؤولية:

وهذا ما دعا قوم شعيب أن ينكروا عليه دعوته بقولهم: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

---

(١) جامع البيان ١١/ ٣٧٤.

«فكثيراً ما يُصادِف الدُّعاة مدعوِّين يَثْقُل عليهم التقيُّد بالأوامر والنواهي، والنصائح الشرعية، فإذا لم يَتدارَك الداعية أو المربِّي حال هذا المدعوِّ وسعَى لتقويم هذه الآفَة، تفلَّت المدعوُّ مع الوقت عن المتابَعة الدعويَّة والتربويَّة للداعي والمربِّي له.

فنحن إذاً أمامَ مُشكِلة ذات جذور نفسيَّة أو تربويَّة، ينتج عنها التفلُّت وكراهية التقيُّد بالمنهج وبالبرنامج الدعوي والتربوي، وواجِب الداعية والمربِّي بجانِب تقويم هذه الآفَة مُراعاةُ هذه النفسيَّات، من حيث ترك الإثقال عليها في التوجيه والنُّصح»(١).

فحب الدنيا والتعلق بشهواتها هو ما منع كثيراً من الناس من الإيمان، خوفاً من بطلان مأكلهم وأموالهم التي تصير إليهم، وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [إبراهيم: ٢، ٣]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [النحل: ١٠٧].

➢ ثامناً: ربط المدعوِّ بين سوء حاله الديني وبين ترك ملازمة الداعية:

يظنُّ كثيرٌ من المدعوِّين أنَّ العلاقة بينهم وبين مَن يُتابِعهم أو يُوَجِّههم مُعَلَّقة على حالهم، فإن كان حال المدعوِّ جيداً من حيث التِزام المنهج المحدَّد له، تابَع مع مُربِّيه ومُوَجِّهه، وإن كان غير ذلك ترك المتابعة معه؛ لأنَّه يرى في نفسه التقصير والتفريط!

وأصل هذا الخطأ الكبير مُتولِّد من أزمة الاستِقلاليَّة في التفكير واتِّخاذ القرار دُون الرُّجوع إلى أهله من أصحاب المعرفة والذكر، وأزمةُ الاستِقلاليَّة هذه يَنبَعِث منها أخطاء كثيرة في جانِب التصوُّرات وجانِب السلوك عند المدعوِّ والمربَّى، ما لم تعالج.

وعلى الداعية أو المربِّي ترسيخ واجِب الرُّجوع والمشاوَرة لأهل الخبرة والدِّراية، كما عليه توضيح ما عليه عمله مع المدعوِّ، وعليه تقويمه ونصحه، وخطُّ مَعالِم الطريق

(١) لماذا يبتعد المدعو عن الداعية في الدعوة د. حسن عبدالحي، مقال على موقع الألوكة بتصرف.

له، سواء وُفِّق للهداية أو تعثَّر في بعض الطريق، ثم غايته ليست هداية المدعوِّ بقدر القِيام بواجب التبليغ والنصح، ومعرفة المدعوِّ كل هذا تُغَيِّر عنده هذا التصوُّر السطحي.

المطلب الرابع

موانع استجابة المدعوين من جهة الداعية

هناك موانع تمنع المدعويين من الاستجابة نابعة من تصرفات الدعاة ومنها[(١)]:

أولاً: سوء فَهْمِ الداعية لشخص المدعوِّ ونفسيَّته:

بحيث لا يلحظ الداعية أو المربِّي الوسائل المناسِبة في التعامُل مع المدعوِّ أو المربَّى، أو في نصيحته وإرشاده؛ ممَّا يترتَّب عليه نفور المدعوِّ وانقِطاعه عن الداعية أو الدعوة القائم عليها.

ونفوس المدعوِّين تختَلِف؛ فتختَلِف وسائل نصحهم وتقويمهم، وما ينفع زيداً لا ينفع عمراً، والناظر في سنَّة النبي ﷺ يجد اختِلافاً بيِّناً في شكل ووسائل تربية أصحابه ونصحهم؛ وذلك لاختِلاف مراتبهم في القرب والبعد منه ﷺ واختِلاف أحوالهم الإيمانيَّة، واختِلاف مَدارِكهم وشخصيَّاتهم.

فهذا سائل يسأله يا رسول الله: أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار؟ فقال النبي ﷺ: **(تعبدالله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم)**[(٢)].

وآخر يقول له أوصني، فيقول له الرسول ﷺ: (لا تغضب)[(٣)].

---

(١) ينظر: لماذا يبتعد المدعو عن الداعية في الدعوة د. حسن عبدالحي، مقال على موقع الألوكة بتصرف وزيادات.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة (١٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٦١١٦).

وآخر يسأله الوصية كذلك فيقول له ﷺ: (أوصيك أن تستحي من الله ﷻ كما تستحي من الرجل الصالح من قومك)[(١)].

وآخر يسأله السؤال نفسه، فيقول له ﷺ: (لا يزال لسانك رطباً بذكر الله)[(٢)].

✍ ثانياً: ظهور فساد بعض أحوال الداعية للمدعوِّ:

وهذا من أعظم أسباب هجر المدعوِّ للداعية، وإن كان يُفِيده علماً وتَوجِيهاً، إلاَّ أنَّه في الحقيقة يَصعُب على المدعوِّ الجمعُ بين قول شخصٍ يُخالِف فعله، وتوجيه مُرَبٍّ يَنقُضه بمخالفته في نفسه.

وعين المدعوِّ عادَةً تَرقُب تصرُّفات الداعية أكثرَ ممَّا تَعِي أذنه من توجيهاته وأقواله؛ ولهذا كان للاقتِداء في الدعوة مفعول قوي، سواء بالإيجاب أو السلب.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال تعالى عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨]. وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب ٢١].

✍ ثالثاً: القرب الشديد للمدعوِّ من الداعية والإكثار عليه في النصح:

فهذا يخلق عند المدعوِّ نوعاً من الزهد، ونوعاً من الملل، ويتحوَّل هذا الزهد فيما بعدُ لتركٍ وابتِعاد كامل.

وكان عبدالله بن مسعود يُذَكِّر الناس في كلِّ خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن،

---

(١) شعب الأيمان للبيهقي ٦/ ١٤٥ (٧٧٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٤١).

(٢) مسند أحمد ٤/ ٩٠ (١٧٧٣٤) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

لوددت أنَّك ذكَّرتنا كلَّ يوم، قال: «أمَا إنَّه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملَّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ **يتخوَّلنا بها؛ مخافَة السآمَة علينا**»[1].

والقُرْبُ الشديد للمدعوِّ من الداعية والموجِّه، فيه إهدارٌ لهيبة الداعية الواجبَة، وفيه أيضاً تعلِيق المدعوِّ بشخص الداعية نفسه لا بما يحمِله من منهج، وكذلك القُرْبُ الشديد من الداعية يُتِيح للمدعوِّ الاطِّلاع الزائد على حياة الداعيَة، وما يتخلَّلها من هفوات تُحسَب على الدعوة ذاتها.

رابعاً: حظوظ نفس الداعية في تربية أو توجيه المدعوِّ:

عندما يكون للداعية أو المربِّي حظوظ نفس في العمليَّة الدعويَّة والتربويَّة، فإنَّه عادةً يفسد ما بينه وبين المدعوِّ والمربَّى مع الوقت؛ وذلك أنَّ مسألة الانقِياد لبشرٍ -مهما كانت منزلته ومكانته- صعبةٌ على النفس البشرية جدَّاً، وإنما تتحمَّلها نفس المدعو لما يرى في حقيقتها من انقِياد للشرع، فإذا اختَلطَتْ بحظوظ نفس بشرية ربَّما ترك المدعوُّ عمليَّة التربية والدعوة كلَّها، بما فيها مصلحته الشرعيَّة من ملازمة الداعية والمربِّي؛ تجنُّباً لهذه الحظوظ الثقيلة عليه.

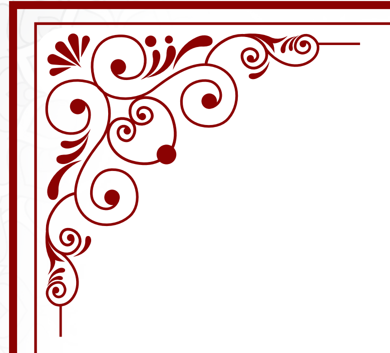
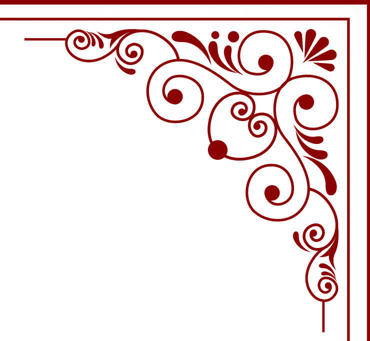
وحظوظ نفس الداعية أو المربِّي كثيرة ومُتفاوِتة؛ فقد تكون في حبِّ التعظيم الزائد، وقد تكون في حبِّ الخدمة، وقد تكون في شدَّته بغير مُسَوِّغ، وقد تكون فيما هو أغلظ من ذلك؛ كحبِّ تملُّكه للمدعوِّ والمربَّى بحيث لا يصدر إلا عن رأيِه فحسب في أمور حياته.

على أنَّ الفارِق بين حظوظ نفس الداعية وبين كثيرٍ من وسائل التوجيه الصحيحة، فارِقٌ دقيقٌ جِدَّاً، ولكنَّه يَظهَر في المحكَّات، وعند الاختِلافات، ومُحاسَبة النفس، وبصيرة الداعية أو المدعوِّ.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة (٧٠)، ومسلم، صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة (٢٨٢١).



المبحث الرابع

قلة الرفيق والمعين في طريق الدعوة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اليقين بأن الله هو المعين والنصير.

المطلب الثاني: العمل على تكوين رفقة صالحة تعين الدعاة.

المطلب الثالث: الاصطفاء والاختيار للأنصار.

المطلب الرابع: الاختبار للأنصار.

المطلب الخامس: نماذج نبوية في تكوين الأنصار والأعوان.






قضت سنة الله أن ذوي العصيان أكثر عدداً ممن يطيع الرحمن قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٦٦].

أما أنصار الدعوات فهم قلة، كقول الباري سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود: ٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [هود: ١١٦].

فهذه سنة الله تعالى في الدعوات، ولكن هذه السنة تحتاج من الداعية إلى عمل وليس إلى تصادم أو استسلام.

ونوجز حَلَّ هذه المشكلة من خلال خمسة مطالب:

المطلب الأول

اليقين بأن الله هو المعين والنصير

لا بد أن يكون الداعية على يقين بأن الله تعالى هو المولى والنصير والمعين، وكفى به وليّاً ونصيراً، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢] «أي ناصركم ومعينكم، فثقوا بولايته ونصرته نِعْمَ الْمَوْلى فلا يضيع من تولاه وَنِعْمَ النَّصِيرُ فلا يغلب من نصره»[1].

---

(١) محاسن التأويل ٥/ ٢٩٣.

«ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عِزَّ له، ولا قائمة له»(١).

فإذا عرف الداعية أن الله مولاه لم يخف أو يخش «لأنه إذا تولى أحداً كفاه كل ما أهمه، وإذا نصر أحداً أعلاه على كل من خاصمه»(٢).

«أي متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، فكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله»(٣).

من كان الله مولاه، فما حاجته بولاية أحد من خلقه؟ ومن كان الله ناصره فما حاجته بنصرة أحد من العبيد؟

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول: **(رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ)**(٤).

ولذلك فإن الثبات على الحق -حتى مع قلة الرفيق والمعين- واجبٌ على الدعاة، فلا تراجع عن هداية الخلق ولو كثر الانحراف، ولا يأس من السير في الدعوة ولو اعتز

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٢١.

(٢) نظم الدرر ٥/ ١٨١.

(٣) التفسير القيم ٣/ ٢٢٧.

(٤) مسند أحمد ٣/ ٤٥٢ (١٩٩٧) وقال شعيب الأرناؤوط إسناده صحيح.

الباطل، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق؛ ولو كنت وحدك»[١].

قال الفضيل ابن عياض رحمه الله: «عليك بطريق الهدى وإن قل السالكون، واجتنب طريق الردى وإن كثر الهالكون»[٢].

وقال ابن القيم: «قال بعض السلف: عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين.. وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك»[٣].



المطلب الثاني

العمل على تكوين رفقة صالحة تعين الدعاة

لا بد للداعية من محاولة تكوين رفقة صالحة من الأصدقاء أو الأقارب أو الزوجة والأبناء وسيجد بإذن الله تعالى.

فقد طلب موسى عليه السلام من ربه من ينصره ويعينه على دعوته، فلبي الله تعالى طلبه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/ ١٢٢- رقم ١٦٠، وصحح سنده الشيخ الألباني كما في تعليقه على مشكاة المصابيح: ١/ ٦١.

(٢) ذكره الشاطبي في الاعتصام ١/ ٨٣، والنووي في المجموع ٨/ ٢٧٥.

(٣) مدارج السالكين ١/ ٤٦.

لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٣ - ٣٥].

«فموسى عليه الصلاة والسلام طلب من ربه أن يساعده بأخيه هارون لأنه كما قال تعالى في بيان سبب ذلك الطلب: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ ومعنى ردءاً أي: وزيراً ومعيناً ومقوِّياً لأمري يصدقني فيما أقوله، ويبين عني ما أكلمهم به فإنه أفصح مني لساناً، ويفهم عني ما لا يفهمون، فالداعي المسلم لا يتردد أبداً في الاستعانة بكفاءة غيره من المسلمين وقدرته في مجال الدعوة، وسيكون مسروراً جدًّا إذا ما وجد مسلماً ذا قدرة وكفاءة وأمانة في أمور الدعوة مع رغبته في الإسهام في هذا المجال، وإذا ما أحس الداعي بضيق في صدره من عمل المسلم الكفء في الدعوة إلى الله، فإن إخلاصه لا بد أن يكون مشوباً بحب السمعة والرياء فليسارع إلى تنقية إخلاصه، وفسح المجال للكفء الأَمين بالإسهام في جهاد الدعوة إلى الله تعالى»(١).

فالأخوة رحمة من رحمات الله «والاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة»(٢).

وهذا صاحب ياسين يقول الله عنه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٣، ١٤]، إلى أن قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠].

ولما علم عيسى عليه السلام وتيقن أن بني إسرائيل يريدون قتله وعازمون علي محاربته دعا الناس إلي تأييد دعوته ونصرة شريعته، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ

(١) أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ٢/ ١٤.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٣١٩

ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾ [الصف: ١٤]، أي من معيني في الدعوة إلى الله ﷻ؟ ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾: وهم أتباع عيسى عليه السلام: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ أي نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازروك على ذلك، ولذلك بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين والسيوانيين[1].

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ أي: استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ قال مجاهد: أي من يتبعني إلى الله؟ وقال سفيان الثوري وغيره: من أنصاري مع الله؟ وقول مجاهد أقرب.

كما كان النبي ﷺ يقول في مواسم الحج، قبل أن يهاجر: **(هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)**[2] حتى التقى الأنصار فآووه ونصروه، ثم هاجر إليهم فآسوه ومنعوه من الأسود والأحمر. وهكذا عيسى ابن مريم، انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه[3].

وذلك حين همّ به بنو إسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه فأنقذه الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم وألقى شبهه على أحد أصحابه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم في ذلك غالطون وللحق

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٦٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣٣٦ (٣٦٥٨٢)، مسند أحمد ٢٣/ ٣٧١ (١٥١٩٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٥-٤٦.

مكابرون، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه، وكِلا الفريقين في ذلك مخطئون[١].



المطلب الثالث
الاصطفاء والاختيار للأنصار

المقصود أن يقوم الداعية بدعوة الناس أفرادا، عن طريق الاختيار والاصطفاء، ودعوة كل فرد بما يحتاج.

وذلك بأن يحصل اتصال الداعية بالمدعو اتصالاً شخصيًّا مباشراً بهدف إحداث نقلة في مقدار تمسكه والتزامه بالإسلام بحيث تتحقق فيه صفات المسلم الحق ويتوفر لديه الاستعداد للقيام بواجب الدعوة إلى الله والعمل للدين في شتى الميادين[٢].

فالاصطفاء والاختيار يهدف إلى تعبيد الناس لرب العالمين، وإصلاح المسلم وفق شريعة الله، وصناعة الدعاة إلى الله، وتكثير عدد العاملين لدينه جل وعلا.

إن دعوة النبي ﷺ كانت في بدايتها سرية وفردية تقوم على الاصطفاء، والاختيار للعناصر التي تصلح أن تتكون منها الأمة المؤمنة، التي تسعى لإقامة دعوة الخلق إلى دين رب العباد، والتي تقيم حضارة ليس لها مثيل، وهذا ظاهر جدًّاً في السابقين للإسلام، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجعفر بن أبي طالب أبو ذر وحمزة بن عبدالمطلب، ومصعب بن عمير، والطفيل بن عمرو، وكذلك الست نفر الذين كانوا ثمرة الدعوة في المدينة.. وغيرهم كثير.

---

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٤٣١.

(٢) مقال: الدعوة الفردية -موقع مفكرة الإسلام.

فعن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**إنَّما النَّاس كالإبل المائة، لا تَكاد تجِد فيها راحلةً**)[١].

يقول الحافظ في الفتح: «المعنى: لا تجِد في مائة إبل راحلةً تَصلح للركوب؛ لأنَّ الذي يَصلح للركوب يَنبغي أن يكون وطيئاً سهلَ الانقياد، وكذا لا تَجد في مائة من النَّاس مَن يصلح للصحبة، بأن يُعاون رفيقَه ويلين جانبه»[٢].

وهكذا الكثير من خلْق الله قديماً وحديثاً لا تجِد منهم إلَّا القليل ممَّن صلحَت أحوالُهم، واستقامَت أعمالُهم، وخلصَت لله نيَّاتُهم.

«الدعوة إلى الإسلام واجبة على الجميع، وليست مقصورة على طلاب علوم الشريعة فقط، وإن كانت مسؤولية هؤلاء أكبر من مسؤولية سواه.

على أنه ينبغي لنا أن نتذكر أن الإسلام يستوعب الجميع؛ الجبان والشجاع، والبخيل والكريم، والغبي والذكي، وما إلى ذلك، لكن العمل الدعوي لجلالته وأهميته وخطورته، يحتاج إلى المعادن العالية من أهل المروءة والكرم، والشجاعة والصبر، والعزيمة والرجولة، والإنصاف والإيثار، فينبغي لنا التركيز على أصحاب هذه المعادن واكتسابهم وتقديمهم، فهم زينة في الرخاء وعدة في الشدة، وعلى أمثالهم تقوم الدعوات.

وهذا لا يعني أنهم مبرَّؤون من الخطأ والنقص؛ فلكل إنسان نصيب من ذلك، ولكن معناه أنهم في جملتهم معادن عالية، إذا أخطأتْ عادت إلى الصواب، كما أنها تؤثِر العامَ على الخاص، والجوهر على الشكل، والحقيقة على الصورة، وتثبت على المبدأ، أيّاً كانت المخاطر، حتى تلقى الله عَزَّ وَجَلَّ عليه.

---

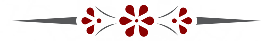
(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاء، باب رفع الأمانة (٦٤٩٨)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ **(الناس كالإبل مائة)** رقم (٢٥٤٧)

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٣٥.

وكلما كثرت المعادن العالية في العمل الدعوي وقلَّ سواها كان هذا من أمارات النجاح والعكس بالعكس.

والرسول ﷺ دعا أيام ضعف الدعوة في مكة المكرمة أن يُعزَّ الله الإسلام بأحد العُمَرين، لأنه يعلم أنهما معدن نفيس، ففاز بهذه الدعوة الصحابي العبقري عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان منه في نصرة الإسلام ما كان.

ولهذا ينبغي للعمل الدعوي أن يركز في اختياره لأبنائه على المعادن العالية بالدرجة الأولى؛ مع ترحيبه بالجميع، قال ﷺ: **(الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا)**[1]»[2].



المطلب الرابع
الاختبار للأنصار

ذكر الله قصة مَلِكٍ ونبيٍّ سبقونا شملت تفاصيل الاختبار للاختيار والاصطفاء.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] (٣٣٨٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام (٢٣٧٨).

(٢) ميثاق الشرف الدعوي د. هشام الطالب.

ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١].

حماسة الأعداد الكبيرة قد تخدع الدعاة لو أخذوا بمظهرها، فيجب أن يضعوها على محك التجربة قبل أن يخوضوا بهم الصعاب.. فقوله تعالى: ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ﴾ إنها كلمة التأكد، فما يجوز أن تكون كلمات الدعاة وأوامرهم موضع تردد أو عبث أو تراخ.

فالتولي سمة ينبغي للدعاة أن يكونوا منها على حذر، وأن يحسبوا حسابها في الطريق الوعر، كي لا تفاجئوا بها، فيتعاظموها! فهي متوقعة من الأعداد البشرية التي لم تبلغ تربيتها الإيمانية مبلغاً عالياً من التربية.. وهي خليقة بأن تصادف الدعوة والدعاة في أي جيل.. فيحسن الانتفاع فيها بتجربة قصة بني إسرائيل التي جعلها الله لنا عبرة.

فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ

بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: «لما فرض عليهم القتال، ورأوا الحقيقة، ورجعت أفكارهم إلى مباشرة الحرب: ﴿ تَوَلَّوۡاْ ﴾ أي: اضطربت نياتهم، وفترت عزائمهم. وهذا شأن الأمم المتنعمة، المائلة إلى الدعة؛ تتمنى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كَعّت وانقادت لطبعها»[(١)].

وقد ختم الله الآية بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فقد «سألوا البلاء وكان من حقهم سؤال العافية، ثم لما أجيبوا إلى ما سألوا أعرضوا عنه فكفوا حيث ينبغي المضاء ومضوا حيث كان ينبغي الكف فعصوا الله الذي أوجبه عليهم، فجمعوا بين عار الإخلاف وفضيحة العصيان وخزي النكوص عن الأقران وقباحة الخذلان للإخوان»[(٢)].

إن الذي يعرف أنه على الحق، وأن عدوه على الباطل.. ثم يتولى ولا ينهض بتبعة الحق الذي عرفه في وجه الباطل الذي عرفه.. إنما هو من الظالمين المجزيين بظلمهم.. ظالم للحق الذي خذله وهو يعرف أنه الحق، ثم تتخلى عنه للمبطلين!.

ثم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾.

دلت هذه التجربة على أن النية الكامنة وحدها لا تكفي، ولا بد من التجربة والتدريب العملي..، إذ لا بد من قوة كامنة تقف أمام القوة الظاهرة الغالبة، وهذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة التي تضبط الشهوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة، وتحتمل تكاليفها، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء..

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٣١.

(٢) نظم الدرر ١/ ٤٧٢.

كما قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

فكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف، لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة، والجيوش ليست بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق.

المطلب الخامس

نماذج نبوية في تكوين الأنصار والأعوان

☑ أولاً: دعوة النبي ﷺ لأهل بيته رضي الله عنهم:

فبعد نزول قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر: ١، ٢]، قام رسول الله ﷺ يدعو إلى الله وإلى الإسلام سرًّا، وكان مقتضاها أن يبدأ بأهل بيته، فكانت أول دعوة فردية وجهت لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فأسلمت، وبعد ذلك دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الإسلام، وكان أول من آمن من الصبيان، وكانت سنَّه إذ ذاك عشر سنين على أرجح الأقوال، فقد كان يتربى في بيت النبي ﷺ.

ثم أسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهو أول من آمن بالدعوة من الموالي، وكذلك سارع إلى الإسلام بنات النبي ﷺ، كل من زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة رضي الله عنهن، فقد تأثرن قبل البعثة بوالدهن ﷺ في الاستقامة وحسن السيرة، وبذلك أصبح بيت النبي ﷺ أول أسرة مؤمنة بالله تعالى منقادة لشرعه في الإسلام.

وهذا مَعْلَم مهم من معالم الدعوة الفردية، وهي: أهمية بناء **الفرد الصالح والأسرة**

الصالحة، كأول حلقة من حلقات الإصلاح، والبناء، ثم المجتمع الصالح.

لأن الفرد المسلم هو حجر الزاوية في أي بناء اجتماعي، والأسرة هي الوسيط بين الفرد والمجتمع، فإذا كان هذا الوسط سليماً قويّاً أمد طرفيه -الفرد والمجتمع- بالسلامة والقوة[١].

☑ ثانياً: دعوة النبي لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرجال الأحرار، والأشراف، فهو من أخص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر؛ إلا أبا بكر، ما عكم -ما تلبث بل سارع- حين دعوته ولا تردد فيه)**[٢].

فأبو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن إسلامه إسلام رجل، بل كان إسلامه إسلام أمة، فهو في قريش في موقع العين، فقد كان رجلاً مألوفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أعلم قريش بالنسب، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً، وذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لأمور كثيرة؛ لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته[٣].

☑ ثالثاً: دعوة أبي بكر لمجموعة من العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم:

عندما أسلم أبو بكر تحرك في دعوته للإسلام بطريقة فردية، فاستجاب له صفوة من خيرة الخلق وهم: عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص،

---

(١) ينظر: السيرة النبوة عرض وقائع وتحليل أحداث ١/ ٨٦- ٨٨ باختصار وتصرف.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٥٢.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٧١ بتصرف يسير.

والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم.. كان هؤلاء الأبطال الخمسة أول ثمرة من ثمار الصديق أبي بكر رضي الله عنه، دعاهم إلى الإسلام فاستجابوا، وجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرادى، فأسلموا بين يديه، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة، وكانوا العدة الأولى في تقوية جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبهم أعزه الله وأيده[(١)].

☑ رابعاً: دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه في المدينة:

يعتبر مصعب بن عمير رضي الله عنه سفير الإسلام إلى المدينة، ذاك الداعية الموهوب فتح الله به قلوب أهل المدينة للإسلام قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم حيث دعا سعد بن معاذ وأُسيد بن حُضير دعوة فردية، وحدثهم حديثاً شخصيّاً منفرداً، راعى فيه حال المستمع ومكانته، واختار للمقام مقالاً، فأسلما على يديه، فأسلم قومهم بإسلامهما[(٢)].

واستمر على دعوته للناس حتى تكاثر الأنصار في الإسلام، وبقي يعلمهم دينهم حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها مهاجراً، وما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد دخل الإسلام كثير من بيوت الأنصار.



---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٥٠.

(٢) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام١/ ٤٣٦، السيرة النبوية لابن كثير٢/ ١٨٢ باختصار.





الفصل الخامس

مشكلة وعائق قلة الموارد المالية

تواجه الدعوة، في سيرها، كثيراً من المشكلات التي تُعيقها، أو تسبب وهناً وضعفاً في جانب من جوانبها، ومنها مشكلة قلة الموارد المالية للدعوة والداعية.

فالمال عماد إقامة الحياة، وبه تقوم الدعوة بعد توفيق الله تعالى، وهو شكل من أشكال القوة التي تعين الدعوة على حركتها وانتشارها.

وإبراز ملامح المشكلة وعرض حلولها نجمله في سبعة مباحث[(١)]:

المبحث الأول: مفهوم مشكلة قلة الموارد المالية.

المبحث الثاني: أسباب قلة الموارد المالية.

المبحث الثالث: آثار قلة الموارد المالية على الدعوة والدعاة.

المبحث الرابع: دور الداعية في علاج مشكلة قلة الموارد المالية للدعوة.

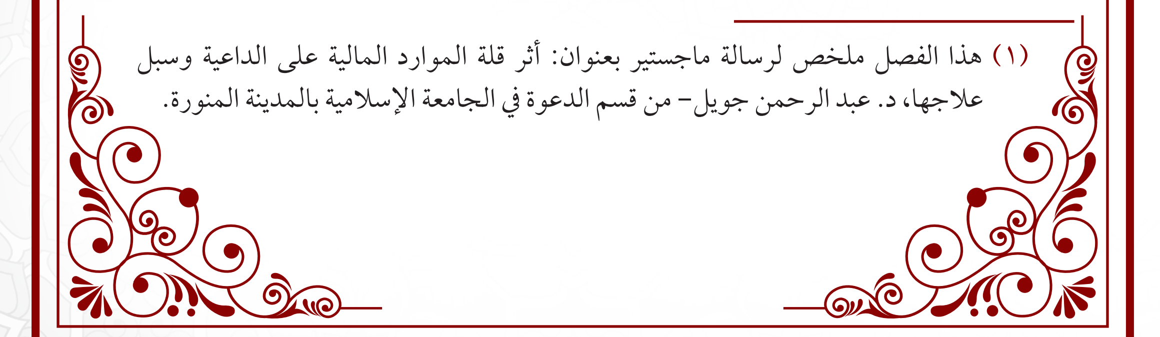
المبحث الخامس: دور المؤسسات الدعوية في علاج المشكلة.

المبحث السادس: الإسلام يدعو إلى وجوب تفريغ طائفة تدعو إلى الله.

المبحث السابع: تنويع الإنفاق في مجال دعم الدعوة والدعاة.

---

(١) هذا الفصل ملخص لرسالة ماجستير بعنوان: أثر قلة الموارد المالية على الداعية وسبل علاجها، د. عبد الرحمن جويل- من قسم الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.





المبحث الأول

مفهوم مشكلة قلة الموارد المالية

أولاً: مفهوم القلة:

قلة الموارد تعني: إما أن الموارد معدومة، أو لا تفي بالغرض.

وتحديد القلة للموارد المالية لدى الداعية وللدعوة يصعب؛ حيث إن حجم قلة الموارد يختلف من داعية إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن برامج إلى أخرى، فكل دعوة لها ظروفها الخاصة بها؛ سواء من ناحية المكان أو الزمان أو الوسائل التي تحتاجها، فهي نسبية.

ثانياً: مفهوم الموارد:

الموارد المالية: **هي المصادر التي يُكتسب منها المال، سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر.**

فالمباشر مثلاً: أن يأتي إلى الداعية أو القائمين على الدعوة من يعطيهم ما يسد حاجته أو حاجة الدعوة، أو أن الداعية يقوم بإنجاز عمل معين ويأخذ أجرة عليه.

أما غير المباشر: فهو أن يُعطى الداعية أو الدعوة مثلاً مكاناً لتعليم الناس ودعوتهم، كبناء مسجد أو رباط، أو يُسلم مؤسسة خيرية تقوم على العناية بالدعوة والمدعوين.

ثالثاً: تعريف المال:

«**المال**: كل ما يملكه الفرد، أو تملكه الجماعة من متاع، أو عروض تجارة، أو

عقار، أو نقود، أو حيوان»[١]، «وسمي المال مالاً لأنه يميل القلوب»[٢].

فالمال ليس مقصوراً على النقود الورقية المعروفة فقط؛ بل كل شيء مادي محسوس له قيمة مالية، يستطيع أن يستفيد الداعية من عينه، أو مما ينتجه من عِوض.

رابعاً: المفهوم مركباً:

عند تركيب المصطلح «قلة الموارد المالية» فإنه ينصرف به الذهن إلى معنيين:

١- قلة الموارد المالية التي يستخدمها الداعية والدعوة في الوسائل والأساليب الدعوية من بناء مسجد أو توزيع كتب أو مساعدة محتاج...إلخ.

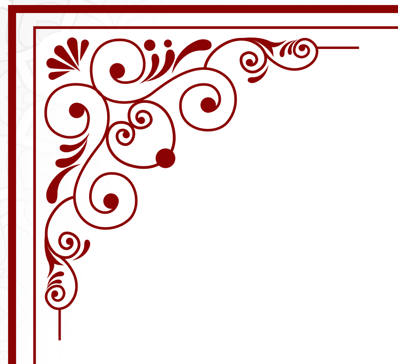
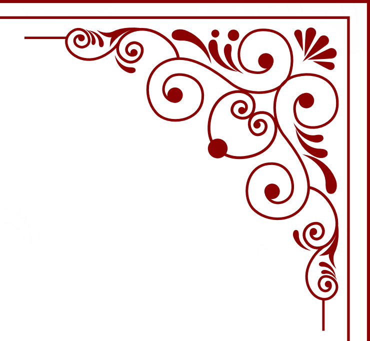
٢- قلة الموارد المالية في إعانة الداعية على أموره الحياتية من ملبس ومسكن ومأكل.

فقلة الموارد المالية: انعدام أو عدم كفاية مصادر الدعم المالي للداعية أو الدعوة.



(١) القاموس الفقهي ص ٣٤٤..

(٢) هذه المقولة لسفيان الثوري، ينظر: تاريخ بغداد ٤/ ٤٤.

المبحث الثاني
أسباب قلة الموارد المالية

عند النظر إلى الأسباب نجدها إما أن تخص الداعية أو الدعوة:

المطلب الأول: أسباب قلة الموارد المالية لدى الداعية.

المطلب الثاني: أسباب قلة الموارد المالية لدى الدعوة.






المطلب الأول

أسباب قلة الموارد المالية لدى الداعية

من أهم أسباب قلة الموارد المالية لدى الداعية:

أولاً: البعد عن التخصص الشرعي الأكاديمي:

ففي العصر الحديث ترتفع قيمة الشهادات العلمية التخصصية، والمجال الشرعي والديني يمثل جزءاً كبيراً من هذه التخصصات، فنظرة بعض المجتمعات الدعوية للداعية بحسب ما يحمله من شهادات تؤهله لأن يكون داعية، وقد لا ينظرون إلى علمه بل ينظرون إلى شهاداته الرسمية.

ولا شك أن العلم الشرعي إذا كان موثقاً بشهادة أكاديمية معتبرة فإن له وقعه في نفوس الناس، والأمة بحاجة إلى ذلك وخصوصاً إذا كان حامل تلك الشهادات من الدعاة الصادقين، والعلماء الربانيين، فلا شك أنه سيكون صاحب تأثير قوي في دعوته.

بالإضافة إلى أن بعض الدعاة يحملون شهادات علمية ضعيفة، في عصر ازدهرت فيه الشهادات، ويترتب على ذلك نظرة الانتقاص للداعية من مجتمعه، وتقديم غيره عليه ممن قد يكون أقل منه علماً أو جهداً في الدعوة، وترتب على تلك النظرة عدم دعم الداعية، وعدم تقديمه في الوظائف الدعوية التي تعينه على أموره الشخصية والدعوية.

ثانياً: تاريخ الداعية:

إن تاريخ الداعية الديني والثقافي والاجتماعي والفكري والتربوي قبل سلوكه طريق الدعوة الصحيحة يؤثر تأثيراً قويّاً في قلة موارده حال دعوته.

فقد يكون الداعية قبل دخوله في المجال الدعوي ممن اشتهر ببعض المخالفات الشرعية، أو أنه لم يكن على الهدي النبوي الصحيح، أو أنه ممن تأخر في التزامه بالإسلام وتعاليمه، أو أنه ممن انضم إلى إحدى التيارات المنتسبة والفرق المخالفة للمنهج النبوي في الدعوة إلى الله، فمثل هذا يكون الناس في أمره محتارين متخوفين مرتابين.. وهذا يجعل الداعية في فترة اختبار من الله تعالى ومن المجتمع حتى إذا عُلم منه الصدق والإخلاص وأصبح صالحاً ملتزماً في دعوته ومخلصاً لها هنا يُتناسى هذا التاريخ.

وبعض الدعاة ينشأون في فترة إعدادهم الدعوي في مجتمعات دعوية متيسرة الحال فيكفلون الداعية في دعوته وفي طلبه للعلم من غير النظر إلى مستقبله، إذ إنه في وقت من الأوقات سيحمل الدعوة بنفسه، فلا يفكر الداعية في الزمن والمكان الذي سَيُقْبل عليه ولا يُنَبه للخبرات المناسبة التي تعينه في تلبية احتياجاته واحتياجات دعوته.

فهذا التاريخ الدعوي للداعية عَوَّده على الاتكالية في طلب المال، فكل ما يحتاجه يطلبه سواء في طلبه للعلم أو في تعليمه للناس، وهذا مخالف لسنة الله تعالى في مسيرة الأنبياء والدعاة عبر التاريخ. «فإقبال النبي ﷺ على رعي الأغنام لقصد كسب القوت والرزق يشير إلى نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا، لقد كان سهلاً على الله أن يهيئ للنبي ﷺ، وهو في صدر حياته من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعياً وراء الرزق، ولكن الحكمة الربانية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكد يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه»[(١)].

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ١/ ٧٤.



ولا يعني هذا طلب توقيف الدعم للدعاة في فترة التهيئة والإعداد، ولكن من المهم الأخذ بأسلوب التأهيل المتكامل للداعية لكي يكون قادراً على تلبية احتياجاته، والتكيف مع الظروف المحيطة به بدلاً من الاعتماد أو الاتكالية على الغير.

ثالثاً: ضعف التزام بعض الدعاة بالسمت الدعوي:

وهذه من كبرى المشكلات الدعوية التي لا يتوقف ضررها على عدم الدعم فقط بل على رفض الناس للدعوة أصلاً أو وصول الدعوة لهم بشكل خاطئ، والله تعالى يقول: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقد نزه شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه أن يعمل خلاف قوله فقال: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨].

فمخالفة عمل الداعية لقوله يجعل المجتمع ينظر للداعية على أنه لا يستحق أن يكون هو الموجه لهم فهو بحاجة إلى من يدعوه، ولذلك لا يجد ذلك الداعية من يعينه على دعوته.

رابعاً: التكاسل في طلب الرزق:

فقد تكاسل بعض الدعاة في البحث عن الرزق، وهذا الأمر له أسبابه التي من أهمها، الجهل بهدي الإسلام في أهمية جمع الداعية بين الدعوة والتكسب والمهنية.

فالداعية لا بد أن يتربى على الجمع بين الدعوة إلى الله والتكسب من أجل المعاش، وما كانت تلك الأعمال عَيب في حقهم، بل كانت شرفاً لهم وقد حثهم رسول الله أن يأكلوا من عمل أيديهم، قال ﷺ: **(ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأكل من عمل يده)**[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده (٢٠٧٠).

ومن أسباب التكاسل كذلك الجهل بالصناعات والحرف، وهذا سبب واهٍ، حيث إن أي حرفة أو مهنة تحتاج إلى تَعَلم ولم يولد أحدٌ نجاراً أو تاجراً أو مديراً أو مُدرساً، ولكن المشكلة تَكمن في التكاسل والاتكالية عند بعض الدعاة.

ومن التكاسل في طلب الرزق إهمال الجوانب الشرعية المتعلقة بكسب الرزق، حيث إن من أهم ما يجعل الداعية يصاب بمثل هذه المشكلات الدعوية؛ هو البعد عن الله تعالى سواء في دعائه أو في مراقبته أو في الاستغفار والتوكل، وغيرها من الأمور الجالبة للرزق مع العمل.

خامساً: الفردية في العمل الدعوي والبعد عن العمل الجماعي:

فالعمل مع الجماعة أمر مطلوب شرعاً ومن عوامل النجاح والتوفيق في كل شيء، وهذه وصية الله تعالى للمؤمنين قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يد الله مع الجماعة)**[١].

ومن هنا فإن الداعية إذا شذ عن هذا الأصل العظيم وهو التزام الجماعة، وآثر الفردية، أو حياة العزلة والفردية في الدعوة تعرض لكثير من العقبات الدعوية، ومن أهمها: انعدام المعين له على عمله الدعوي سواء في تلبية احتياجاته الشخصية أو مساعدة في الوسائل الدعوية.

سادساً: عجز الداعية وعدم قدرته على العمل:

فقد يكون الداعية ممن يعملون من كسب أيديهم، ولكن قد يحصل له ما يجعله غير قادر على توفير ما يحتاج إليه من مال ككبر السن أو الإصابة بمرض مزمن أقعده

(١) جامع الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح وضعيف جامع الترمذي (٢١٦٦).

عن التكسب ولكنه قادر على الدعوة بما يستطيع.

فهذا قد انقطعت موارده المالية وقد خدم الدعوة إلى الله في قوته وما زال يخدمها في مرضه أو عجزه، فهو مازال داعية تحتاجه الدعوة إلى الله تعالى وهو يحتاج أن تتوفر له احتياجاته الشخصية والدعوية لكي يواصل مشواره الدعوي.

سابعاً: عدم موازنة الداعية بين جوانب حياته المختلفة:

فبعض الدعاة يقبلون إقبالاً كبيراً على الدعوة والعبادة، وينسون متطلبات حياتهم الأخرى، فتظهر عندهم القلة في الموارد المالية. ولذا فلا بد من التكامل في الحياة، فالله تعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فمن تطبيقات الوسطية على الداعية هو أن يجمع بين احتياجاته واحتياجات دعوته، ولا يغلب جانباً على آخر، كما قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

ثامناً: اتباع الهوى وشهوات النفس وعدم القناعة:

فالداعية إذا اتبع هواه وتطلع للدنيا سيكون كآحاد الناس لا يكفيه من الدنيا شيء، فتجده مقبلاً على الدنيا ينظر إلى من هو أعلى منه في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، فلا يستطيع هو أن يلبي احتياجاته واحتياجات دعوته، ولا تستطيع الدعوة كذلك تلبيتها له.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس، فإنه يجمع لك دينك، فما رأينا في الأغلب منافقاً في التدين والتزهد والتخشع، ولا آفة طرأت على عالم إلا بحب الدنيا، و غالب ذلك الفقر، فإن كان له مال يكفيه

ثم يطلب بتلك المخالطة الزيادة، فذلك معدود في أهل الشره، خارج عن حيز العلماء، نعوذ بالله من تلك الأحوال»[١].

تاسعاً: قلة وعي المجتمع بواجب بذل المستطاع في دعم الدعوة والدعاة:

فمن الملاحظ أن كثيراً من التبرعات والدعم يخرج لأبواب الخير المختلفة: إعانةً لفقيرٍ أو مسكينٍ أو لمجاهدٍ أو ليتيمٍ أو لغيرها من أبواب الخير. أما جانب دعم الدعاة فلا تجد إلا القليل الذي يصل إلى الدعاة من خلال الداعمين وهذا يُفقد العمل الدعوي التكامل في البناء المجتمعي الصحيح.

فإن دعم الدعاة إلى الله تعالى لا يقل أهمية عن دعم أي مشروع خيري، حيث إن الدعاة إلى الله تعالى قوة بشرية دعوية تحي المجتمع على الإسلام فإذا حصل ذلك تقدمت كل فئات المجتمع للعمل للإسلام ودعمه بكل ما يحتاج.

وهذا واجب أوجبه الله تعالى على الأمة واعتبرهم مجاهدين في سبيل الله قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: «ففي هذه الآية دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور»[٢].

---

(١) صيد الخاطر ص ١٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٣٥٥.

عاشراً: المثالية الزائدة التي ينظر إليها المجتمع للدعاة:

وذلك بعدم الوعي بأنهم بشر لهم احتياجاتهم البشرية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وزوجة وأولاد وغير ذلك من متطلبات الحياة الكريمة.

وكذلك المثالية في طلب نوعيات من الدعاة لكي يكفلونهم ولا يراعون التدرج من حيث الشهرة والإبداع من قبل الداعية، فلا يولد الدعاة مشاهير ومبدعين إنما ذلك بالتدريب والممارسة مع نوع من الكفالة والتفريغ لهم.

ومن جهة أخرى المثالية في طلب نماذج من الدعاة ليس عندهم أخطاء، وهذا فهم خاطئ لأن الدعاة بشر من البشر ينطبق عليهم ما ينطبق علي جميع البشر من الإصابة والخطأ.

الحادي عشر: المشكلات الاقتصادية المعاصرة:

فقد انتشر في المجتمعات المعاصرة أدواء خطيرة منها: قلة فرص العمل، وارتفاع تكاليف المعيشة، والفقر، وهذه كلها ناتجة عن مشكلات اقتصادية وسياسية في المجتمع، ومن أسبابها بعد الناس عن إسلامهم، واستبدالهم بالنظم الإسلامية نظماً غربية مخالفة للتعاليم الإسلامية، فتأثر الدعاة بهذه المشكلات أمر لا مناص منه حيث إنهم جزء من المجتمع.

الثاني عشر: الصراع بين الحق والباطل:

من سنن الله تعالى في هذا الكون أن يتواصل صراع أهل الحق وأهل الباطل، ومن ذلك الصراع ما يكون من تجفيف منابع الخير، ولهم في ذلك سلف حيث يقول تعالى عن المنافقين في مواجهتهم لدعوة النبي ﷺ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

إنها خطة التجويع التي يتواصى بها خصوم الحق والإيمان على اختلاف الزمان والمكان، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان، فيحاربون بها المؤمنين، ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

الثالث عشر: نظرة بعض الدعاة للمجتمع:

قد ينظر بعض الدعاة إلى مجتمعهم أنه مجتمع فاشل غارق في شهواته وملذاته؛ فلا خير فيه، ولا ينظرون ولا يستفيدون من الجانب الإيجابي في مجتمعهم، ويعلنون ذلك بين الناس، وتناسوا قول الرسول ﷺ: **(إذا قال الرجل: هلك الناس. فهو أهلكهم)**[1].

ويتولد عن هذا الغلو والتطرف كثير من المصادمات بين هؤلاء الدعاة وبين مجتمعهم، وقد يصل الأمر إلى وقوع المصادمات مع ولاة الأمور وَتُستحل الدماء والأعراض، ويستخدم المال الذي يُدعم به الدعاة في مثل هذه الأمور المهلكة.

وهذا بلا شك يعطي صورة غير صحيحة عن الدعاة إلى الله، فيفقد المجتمع الثقة بينه وبين دعاته، ويصبح القاعدة والتصور الخاطئ على كل فئات الدعاة، وهنا يَقِل عطاء الدعاة، وتُقام العوائق والاحتياطات حول دعم الدعاة، ويتوقف توظيف الدعاة وتعيينهم في الأماكن التي هم أولى الناس بها، بل ويبعدون عنها، فيتخذ الناس رؤوساً جهالاً فَيَضِلون ويُضلون والعياذ بالله.



(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس (٢٦٢٣).

المطلب الثاني

أسباب قلة الموارد المالية لدى الدعوة

من أهم أسباب قلة الموارد المالية لدى الدعوة ومؤسساتها:

أولاً: الضغوط الدولية الغربية لحجب الخير بحجة الإرهاب[1]:

وأثر تلك الضغوط على تعامل الحكومات والمجتمعات مع هذه المنظمات، التي أسفرت عن تحجيمه ونبذه والنفور عنه، وقد اتخذت تلك الضغوط عدة صور منها:

١- اتهامه بوجود علاقة بينه وبين الإرهاب، ومحاولة تلفيق أي تهم تدينه والوصول إلى أي خيوط تثبت هذه التهمة.

٢- محاولة إجبار العمل الخيري على التخلي عن ربط الدعوة بالإغاثة لما لذلك من أثر يعرفونه في ربط الناس بالإسلام ومؤسسات الدعوة والعمل الخيري، في الوقت الذي يفتح المجال للمؤسسات التنصيرية باستغلال حاجة الناس لنشر الإنجيل - المحرف- مع الغذاء والدواء.

٣- التضييق على التبرعات والتحويلات المالية للمؤسسات الإسلامية.

٤- تصفية المؤسسات الخيرية والدعوية النشطة.

٥- الهجوم الصهيوني الغربي على العمل الدعوي من خلال الحملات الإعلامية لتنفير الناس عنه وإشاعة الخوف بينهم لمنعهم عن دعمه ومساندته.

٦- الحملة العلمانية الليبرالية في البلدان الإسلامية التي يقودها مجموعة من الكتاب بقصد تصفية العمل الخيري بحجج واهية لتقويضه ونسف مؤسساته.

---

(١) للاستفادة ينظر كتاب: العمل الخيري، د.محمد بن عبدالله السلومي.

ثانياً: تخوف الكثير من الموسرين وإحجامهم عن الاستمرار في الدعم:

متأثرين بالحملات الدعائية ومؤثرين السلامة، مع قلة وعي الكثير من المستمرين في دعمها منهم، في العطاء غير المدروس والإنفاق على أمور جانبية لا ترتقي إلى مستوى حاجة الأمة وأولوياتها في الإنفاق، إضافة إلى وجود الفارق الهائل بين إنفاقهم الشخصي وأنفاقهم الخيري.

ثالثاً: الضعف المؤسسي:

والمتمثل في الضعف في جودة التنفيذ للمشاريع الدعوية، والضعف في التواصل مع المتبرعين وضعف تأهيل الكادر الوظيفي والدعوي الميداني، إضافة إلى عدم توفر الخبرة الكافية في إدارة الموارد المالية وضعف أنظمة الرقابة على الأداء والموارد، وغيرها، الأمر الذي يكرس الشكوك ويزيد من تثبيت الكثير من الشائعات التي تدور حولها، ويزيد من ضعف حماس المتعاطفين في دعمها.

رابعاً: الثقافة السائدة بين المنظمات الدعوية من اعتماد الموارد المالية أساساً - وشبه كلي غالباً - على التبرعات والهبات التي يجود بها المحسنون، وعدم السعي الحثيث لتكوين أوقاف تعتمد عليها المنظمات في الإنفاق الدائم وغير المشروط على أنشطتها من قبل المانحين، الأمر الذي يمكنها من حرية التخطيط واختيار الاستراتيجيات المناسبة لها.

خامساً: التمويل الخارجي في بعض البلدان، رغم أهميته، إلا أنه لا يخلو من التأثيرات السلبية، منها ربط نشاط المؤسسات المحلية وفق أجندة واهتمام الجهات المانحة، وإهمال الاحتياجات الحقيقية للمجتمع.

سادساً: التخوف والهاجس الأمني الذي تعيشه المنظمات الخيرية

والعاملون فيها، في معظم الأقطار، فقل أن تسلم مؤسسة إسلامية من الحملات الإعلامية أو المساءلة والتحقيق والمراقبة والتدقيق حول نشاطها ونشاط أفرادها أو حوالة من حوالاتها، لقد أصبح افتعال القضايا وصناعة الأحداث والأخبار السلبية روتينا يوميًّاً تواجهه المنظمات حتى أوجست خيفة وحبست أنفاسها خوفاً من الدور الذي ينتظرها.

سابعاً: منع بعض الدول الغربية منح التأشيرات والتراخيص اللازمة لمشاركة الأخصائيين والأكاديميين من حضور المؤتمرات والفعاليات الدولية التي تعقد لمناقشة أوضاع العمل الخيري وعلاقته بمسمى الإرهاب، وما يعكسه من التناغم العالمي تجاه المؤسسات الخيرية والعاملين بها.



المبحث الثالث
آثار قلة الموارد المالية على الدعوة والدعاة

لقلة الموارد المالية خطورتها على الدعوة إلى الله وعلى الدعاة، ونبرز ذلك في النقاط التالية:

أولاً: ضعف الإبداع في الوسائل الدعوية فضلا عن التميز فيها:

فيحصل التكرار في تنفيذ الوسائل والأساليب وطريقة تقديمها للمدعوين، وهذه ظاهرة لا تتلاءم مع متطلبات العصر الذي ظهرت فيه وسائل شتى للتعليم والتوجيه وغرس المفاهيم والقيم.

وقد لا يستطيع الداعية القيام بوسائل الدعوة المعتادة المتعارف عليها؛ رغم أهميتها - كزيارة المريض مثلاً واستقبال المدعوين في بيته.

ثانياً: قلة الدعاة المتفرغين في المجتمع:

فمن أخطر المظاهر والآثار من قلة الموارد الدعوية لدى الدعاة والدعوة هي قلة الدعاة الذين يقومون بواجبات الدعوة التي يتطلبها المجتمع، فتجد أن كثيراً من الدعاة - الذين عندهم قلة في الموارد المالية- يعطون الدعوة أوقاتاً قصيرة جدّاً، لا توفي متطلبات الدعوة منشغلين عن ذلك بتوفير احتياجاتهم واحتياجات أسرهم.

ثالثاً: القصور في تلبية احتياجات الداعية المعيشية:

أي: نقص الاكتفاء الذاتي- لدى بعض الدعاة المنشغلين بالدعوة- في المطعم والملبس والمسكن، بل في جانب الرعاية الصحية لهم ولأسرهم.

○ رابعاً: شيوع المنكرات والموبقات في المجتمع:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى دعاة أقوياء مستقلين في العلم والحجة والهمة الدعوية ليتفرغوا للإنكار عليها وتوجيه الناس إلى السنة.

وبحمد الله فإن هناك دعاة كثيرون يقومون بهذا الواجب، لكن التيار المخالف والمفسد أكبر عدداً وعُدَّة من تلك الجهود التي أعظم ما ينقصها تفرغ الداعية العالم لدعوته.

○ خامساً: النيل من الإسلام وأهل الإسلام:

يستغل أعداء الدين قلة الموارد المالية لدى بعض الدعاة المسلمين لينالوا من الإسلام وأهله، وذلك بالتشكيك في قدرة النظام الإسلامي على تلبية احتياجات الدعوة، وكذلك يستغلون الفراغ الذي يتركه الدعاة المسلمون بسبب قلة مواردهم المالية فيرسلون هم منصريهم، ودعاتهم المضللين.

○ سادساً: الآثار السيئة العقدية والأخلاقية والسلوكية:

من المعلوم أن قلة موارد الداعية المالية تؤدي به إلى الفقر وقد قرن رسول الله ﷺ في دعائه بين الفقر والكفر فقال: **(اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر)**[1].

فالحاجة للمال قد تدفع الداعية إلى بيع دينه، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)**[2].

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٥٠٩٢) ومسند أحمد ٥/ ٣٦ (٢٠٣٩٧) قال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١١٨).

فبعض الدعاة يتنازلون عن أمور كثيرة في العقيدة كقضية الولاء والبراء من أجل تحصيل بعض الأعراض الدنيوية، وهذا حاصل ومشاهد في الواقع، والتاريخ يشهد.

○ سابعاً: ضعف الحراك العلمي والالتزام الفكري:

لقلة الموارد المالية أثرها في ضعف الحراك العلمي والالتزام الفكري لدى الداعية، وعلى سبيل المثال: فإن ضعف العلم الشرعي بين الدعاة، أثر عظيم لا يمكن إغفاله من آثار المشكلة، فانشغال بعض الدعاة بطلب المعاش مع قيامهم بالدعوة؛ أشغلهم عن مواصلة طلب العلم، فظهر الضعف العلمي في الخطاب الدعوي.

فقد قيل لسفيان الثوري: ما منعك أن ترحل إلى الزهري؟ قال: لم تكن دراهم[1].

○ ثامناً: ضعف تفاعل الدعاة مع قضايا المجتمع:

قلة الموارد المالية لدى الداعية تضعف الداعية في التفاعل مع مجتمعه، وفي أخلاقياته الاجتماعية الدعوية؛ مثل ضعف التواصل الاجتماعي، وتخليه عن كثير من الأخلاق الاجتماعية الدعوية الحميدة، مثل: الكرم للضيوف والأصحاب، والصدقة والتكافل الاجتماعي، وروح المبادرة، وصلة الأرحام، ومشاركته للناس في أعمالهم ومشاريعهم.. مع أن هذه الأخلاقيات الاجتماعية من أهم الوسائل التي يحتاجها الداعية للتواصل مع المدعوين.

○ تاسعاً: ضعف الاستقرار الأسري للداعية:

فقلة الموارد المالية مؤثر على الداعية، وذلك بلا شك له تأثير على أسرته، حيث إن الفقر يلقى بظلاله السيئة على تكوينها واستمرارها، وتأثيرها في المجتمع وفي حياة الداعية، وتمثل مانعاً أو مؤخراً رئيساً له من زواجه؛ فهو مانع لولاة أمور النساء من قبول الدعاة المتقدمين لخطبة بناتهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٦.

وقلة الموارد لدي الداعية قد تكون معوِّقاً من المعوقات عن استمرار الأسرة بعد تكوينها، فهي سبب رئيس لمعظم الخصومات بين الداعية وزوجته.

عاشراً: تأثيرها على وضع الداعية الاجتماعي بين الناس:

«فنظرة واقعية في حال الدعاة اليوم في بعض المجتمعات المسلمة تؤكد أنهم أصبحوا في مؤخرة الصف الاجتماعي، فدخلهم المادي ضئيل، ومركزهم بين الناس هَين، وليس لهم من الجاه والسلطان ما يذكر، وحري بمن هذا وضعه أن لا يسمع قوله، ولا تؤثر توجيهاته ومواعظه.

فالناس قد جبلوا على احترام صاحب الغني وصاحب الجاه والسلطان، فقد ثبت في الصحيح عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: **(ما تقولون في هذا؟)** قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع، قال: ثم سكت. فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: **(ما تقولون في هذا؟)** قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع، أن لا يشفع وإن قال أن لا يستمع. فقال رسول الله ﷺ: **(هذا خير من ملء الأرض مثل هذا)**[(١)].

الحادي عشر: التأثر بشروط المانحين:

من أعظم ما قد يؤثره نقص الموارد المالية لدى الدعوة والدعاة تأثرهم بشروط المانحين مما يفقدهم عدم الاستقلالية في الفكر والمنهج.

فالمانحون سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات أو حكومات، يمثلون اتجاهات أو تيارات مختلفة قد تجبر الداعية على التزام المبادئ والمناهج العامة للمانح وهذا بدوره قد يحرم الداعية من الاستقلالية في منهجه الدعوى.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين رقم (٥٠٩١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن جمهوراً من العلماء شغلهم العلم عن الكسب، فاحتاجوا إلى ما لا بد منه، وقل الصبر فدخلوا مداخل شانتهم و إن تأولوا فيها، إلا أن غيرها كان أحسن لهم، وهؤلاء وإن كانوا سلكوا طريقاً من التأويل فإنهم فقدوا من قلوبهم وكمال دينهم أكثر مما نالوا من الدنيا.

و قد رأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يغشون الولاة لأجل نيل ما في أيديهم، فمنهم من يداهن ويرائي، و منهم من يمدح بما لا يجوز، ومنهم من يسكت عن منكرات، إلى غير ذلك من المداهنات، و سببها الفقر»(١).

○ الثاني عشر: طلب المال من المدعوين:

وهذا خلاف الأصل، قال تعالى حكاية عن عدد من الأنبياء: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

وقد تؤدي قلة الموارد المالية لدى الداعية أن يتكفف المدعوين، مع أن الأصل أن يتعفف عما في أيدي المدعوين، وأن يكون هو ممن يُعطي ولا يأخذ، فإن من مد يده إلى ما في أيدي الناس لم يستطع أن ينهاهم عن منكر يفعلونه، أو أن يأمرهم بمعروف يتركونه، وهذا مما يقلل شأن الداعية عند المدعوين.

○ الثالث عشر: انتشار الجهل بين المدعوين وقلة المسلمين الجدد:

ففي غياب أهل العلم والدعوة، يظهر الجهل بين المدعوين في تطبيق تعاليم الإسلام، وهنا إما أن يطبق شرع الله على غير السنة، أو أن لا يطبق أصلاً، وتظهر لهم من المشكلات الشرعية والحياتية التي لا يجدون الموجه الشرعي لهم فيها.

أما فيما يخص دعوة غير المسلمين للإسلام فلا تجد دعاة متخصصين في ذلك، قادرين على إيصال الإسلام للناس جميعاً بالطرق السليمة والمتجددة، والمبتكرة.

---

(١) صيد الخاطر ص١١٩.

المبحث الرابع
دور الداعية في علاج مشكلة قلة الموارد المالية للدعوة

مشكلة قلة الموارد المالية في المقام الأول هي مشكلة الداعية، وهو الأجدر بحلها، فلا بد أن يبذل الوسائل لحلها.. ثم يأتي دور الجهات الأخرى أفرادا ومؤسسات في علاج تلك المشكلة، وسنعرض أهم معالم دور الداعية في علاج هذه المشكلة:

◆ **أولاً: الجمع بين الدعوة والعمل:**

فقد أخبر تعالى أن التكسب سنة الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان:٢٠] «أي يتجرون ويحترفون»[١]، وقيل: «أي: للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم»[٢].

وقال النبي ﷺ: **(إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)**[٣].

وقد أوصى دعاة السلف بأن يكون للداعية والعالم مصدر رزق يتكسب منه، فقد روي عن الثوري أنه قال: «أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية، فإن الآفات إليه أسرع، والألسنة إليه أسرع»[٤].

فالكسب من عمل اليد شرف، خصوصاً للدعاة، ليكونوا أعزاء في هذه الحياة،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٠٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده (٢٠٧٠).

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٤.

ولا سيما في الوقت الذي تكون فيه الدعوة ذات قلة في مواردها المالية، وتحتاج إلى الإنفاق في جوانب كثيرة من الخير.

وهذا يتطلب أن يكون عندهم ملكة القدرة على طلب الرزق، وليس على التواكل والاعتماد على الغير.

◆ ثانياً: التضحية في سبيل الدعوة:

الإسلام يحث على التضحية في سبيل الدعوة إلى الله تعالى بالمال والنفس، وذلك من خلال الآيات والأحاديث الدالة على مبدء التكافل العالم بين الناس ويدخل فيهم الدعاة إلى الله دخولاً أوليًّا لأن نفعهم عام ومصالح وصلاحها في الدنيا والآخرة مرتبطة بوجودهم وتفاعلهم مع الناس.

قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

فإذا حصلت التضحية والبذل في سبيل الله، من الدعاة ومن كل مسلم حصل اكتفاء ذاتي للمسلمين في دعوتهم ودعاتهم، وعرف كل فرد دوره في تلبية احتياجات دعوته، وقام كل فرد بما يستطيع في ذلك، فتلك هي الوقاية من أن يكون في الصف المسلم طائفة من الدعاة عاجزين عن تلبية احتياجاتهم واحتياجات دعوتهم.

◆ ثالثاً: دور الداعية الإيماني والتربوي في علاج مشكلته:

لابد للداعية أن يوطن نفسه على كثير من الأمور قبل المشكلة وأثنائها وبعدها ومن أهمها وأجمعها، الاستعانة بالوسائل الشرعية الجالبة للرزق كالدعاء والتوكل على الله والاستعانة به وتحري الحلال، مع الأمل والثقة بفرج الله، وتقوى الله والاستغفار وصلة الرحم، والبكور في العمل، والزواج.

وعلى الداعية أن يتذكر أن الغنى والفقر ابتلاء من الله تعالى، وأن يتيقن بأن الله ﷻ تكفّل برزق الخلائق، واستشعار حقيقة الدنيا مقابل الآخرة، والتقلل والزهد فيها.

◆ رابعاً: التعاون والتكافل بين الدعاة:

فعلى الدعاة إيجاد وسائل للتكافل فيما بينهم اجتماعية رسمية أو أهلية، تغنيهم عن من سواهم وتجعلهم مستقلين في قراراتهم وأولوياتهم.

وهذا أمرٌ مهمٌّ حتى لا يكون على الدعاة مِنَّةٌ من أحد، أو ضغط من أحد، أو تأثر بشؤون المناحين.. وهذا داخل تحت النصر والتعاون والتكافل الوجب بين الدعاة[1].

◆ خامساً: دعم أقارب الداعية للداعية:

فالداعية إلى الله مكلف بدعوتهم قبل أي أحد كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ في بداية أمره بالدعوة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فكما أنه مكلف بهم بادئ ذي بدء فهم من باب أولى مكلفون به، فهو يهديهم ويدعوهم لما فيه صلاح أمور دينهم؛ وهم لا بد أن يقوموا بما يصلح حاله في أمور دنياه.

فإن القريب من أهل الداعية إذا دعم وكفل وتصدق على قريبه الداعية فهو أولى من غيره من المحتاجين، ويحصل له بذلك أجر الصدقة، والصلة، وأجر الدعوة إلى الله تعالى، كما قال ﷺ: **(إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة)**[2].

وقد فعلته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ، وفعله أبو بكر رضي الله عنه.

---

(١) ينظر الكتاب الرابع من هذه الموسوعة، فصل: واجبات الدعاة فيما بينهم.

(٢) جامع الترمذي، كتاب الزكاة، باب الصدقة على ذي القرابة (٦٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨).

المبحث الخامس
دور المؤسسات الدعوية في علاج المشكلة

▪ أولاً: حث المجتمع على دعم الدعوة والدعاة:

حث العلماءِ المجتمعَ أفراداً ومؤسسات حكومية أو خاصة على دعم العلماء والدعاة من خلال المؤسسات الخيرية المهتمة بشؤون الدعوة، وذلك من خلال بيان فوائدها وجهودها وإنتاجها الدعوي، وبيان فضل ذلك وما يرجى لهم من الأجر العظيم عند الله تعالى، قال الإمام ابن المبارك حاثاً على رعاية الدعاة والعلماء: «إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم احتاجوا؛ فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم»[1].

▪ ثانياً: غرس ثقافة العمل الحرفي والمهني وأهميته للدعاة في نفوس المتعلمين:

فإنه «لابد من بناء عادات إتقان العمل الجيد والنجاح، والتهيئة النفسية للدعاة للانطلاق في ميدان العمل الدنيوي وكسب العيش، ومما يدخل في ذلك تأصيل أهمية الاعتناء بكسب العيش والعمل الدنيوي وأنه ليس ركوناً للدنيا وطمعاً فيها، وإنما هو توجيه يوجه به النبي ﷺ وأصحابه وأمته»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.

(٢) الحاجات العلمية والتربوية لطلاب المنح في الجامعات السعودية، محمد الدويش، ص ١٨ بتصرف يسير.

■ **ثالثاً: التواصل مع الجهات المعنية بالدعوة لكفالة وإعانة الدعاة:**

في كثير من الدول الإسلامية توجد مؤسسات دعوية سواء كانت حكومية كوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد والأوقاف والإفتاء على اختلاف مسمياتها من دولة لأخرى، أو كانت مؤسسات خيرية دعوية أهلية.

وهذه المؤسسات تعنى بشأن الدعوة إلى الله سواء داخل البلاد أو خارجها، ودور الجامعات في دعم الدعاة من خلالها هو التنسيق والرفع بأسماء الخريجين والعمل على توظيفهم بإشراف ومتابعة من الجامعات، وهذا نوع من أنواع التكامل في العمل بين المؤسسات القائمة على شؤون الدعوة.

والمقترحات في ذلك كثيرة وعلى الدعاة أن ينظروا في واقعهم ويتخيروا الوسائل المناسبة في ذلك، متوكلين على الله باذلين للأسباب.

■ **رابعاً: رفع المستوى الفني والمهني للداعية والمؤسسات الدعوية:**

أي: العمل على رفع مستوى التأهيل والتنمية للموارد البشرية والمالية للمؤسسات الدعوية، والعمل على الاستقلالية المالية للمؤسسات والدعاة حتى لا تتوقف الأعمال الدعوية، وذلك من خلال تنمية جانب التسويق الدعوي والتنظيم الإداري، وبناء الأوقاف وتطويرها والمحافظة عليها، وتدريب من يقوم على تنمية الموارد المالية لدى المؤسسات الدعوية، وابتكار الوسائل للدعم.



المبحث السادس
الإسلام يدعو إلى تفريغ طائفة تدعو إلى الله تعالى

وهذا الأمر من وسائل علاج المشكلة، وأفردته لأهميته، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «فهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به»(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة ١٢٢].

يقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «إن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها ولا يلتفت إلى غيرها لتقوم مصالحهم وتتم منافعهم ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحداً، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكم العامة النافعة في جمع الأمور»(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٣٥٥.

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر: **(والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)**[١]، «فإذا كانت هداية رجل واحد خيرٌ من حمر النعم التي هي خيار أموال العرب عندهم؛ فإن الذي يبذل ماله لهذا الداعية رغبة فيما عند الله يناله هذا الفضل العظيم من الله تعالى»[٢]، لقول النبي ﷺ **(الدال على الخير كفاعله)**[٣]، فإن الداعم للداعية يدخل معه في الأجر دخولاً أوليّاً إن شاء الله تعالى.

«فمن مَنَّ الله عز وجل عليه بكفالة العلماء والدعاة، فقد ساهم في نشر العلم وصيانة الملة ومحاربة الشرور في شتى بقاع الأرض، ويكفيه فخراً تأسيه في ذلك بنبينا محمد ﷺ، واقتداءه بصحابته الكرام، والأئمة الأعلام من سلف هذه الأمة، مع إسهامه في صيانة هذه الفئة الصالحة من تغير حالهم، وحمايتهم من الانصراف عن أعمالهم الجليلة أو تدنيسها تحت قهر الاحتياجات الضرورية، ومن ثم كسب قلوب هذه الفئة التي هي أبرك فئات المجتمع، فيكون ذلك سبباً في دعائهم له؛ فرب دعوة من أحدهم تورث كفالة البركة في ماله وأهله وولده وبقاء الذكر الحسن»[٤].

وقال ﷺ: **(من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا)**[٥].

ومما سبق تبين أن الأمة تحتاج إلى تفريغ بعض الدعاة وكفايتهم لكي يقوموا بواجب طلب العلم وتعليمه، وعلى ذلك فإن رعايتهم وكفالتهم واجبة على مجموع

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ (٢٩٤٢) ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٢٤٠٦).

(٢) رعاية طلاب العلم دراسة تأصيلية، محمد بن عبدالعزيز العواجي ص١٣ بتصرف.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب الدال على الخير كفاعلة (٥١٢٩)، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب الدال على الخير كفاعله (٢٦٧٠)،، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٦٠).

(٤) رعاية طلاب العلم دراسة تأصيلية ص٣٣ بتصرف يسير.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير(٢٨٤٣).

الأمة، إذ القاعدة الشرعية تقول: **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**[(١)]، فإن كفالة الدعاة والعلماء واجب يخضع لمدى الحاجة لهذا الداعية، أو للعلم الذي ينشره.

وكفالة الدعاة المالية من مبادئ التكافل العام في الإسلام الذي من أهم معالمه الأخوة، وهذا المبدأ عام مع كل المسلمين، وهو للدعاة وبين الدعاة أوجب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات ١٠].

«**فمن شرط الأخوة:** أن لا تحوج أخاك إلى الاستعانة بك والتماس النصرة منك، ولا تُقَصر في تفقد أحواله؛ بحيث يشكل عليك موضع حاجته، فيحتاج إلى مسألتك»[(٢)].

هذا في جميع الناس فكيف بالدعاة إلى الله تعالى الذين يحملون همَّ إصلاح الناس وينفقون في ذلك أوقاتهم وأنفسهم، وأموالهم.

وقال تعالى في مصارف الزكاة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ «في النفقة في نصرة دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها لعباده»[(٣)]. ومن أعظم ذلك دعم من يقوم على نصرة دين الله تعالى من الدعاة إلى الله.

قال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أهم ما يُنفق ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في زماننا هذا إعداد الدعاة إلى الإسلام، وإرسالهم إلى بلاد الكفار من قبل جمعيات منظمة، تمدهم بالمال الكافي»[(٤)].

---

(١) ينظر: العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الفراء ٢/ ٤١٩.

(٢) لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري ٧/ ٢٩٢.

(٣) جامع البيان ١٤/ ٣١٩.

(٤) تفسير المنار، رشيد رضا ١٠/ ٥٨٧.

المبحث السابع
تنويع الإنفاق في مجال دعم الدعوة والدعاة

ليس المقصود بدعم الدعاة هو الدعم المباشر بالمال فقط، ولكن الشارع الكريم شرع مجموعة من أبواب التكافل، يمكن أن تطبق في دعم الدعاة والدعوة.

ومن من أبرز وأهم أبواب التضحية والتكافل ما يلي:

١- **الزكاة والوقف**، وهما من أوجه التضحية بالمال التي ترتكز عليهما قاعدة التكافل الإسلامي.

٢- **الصدقة العامة**، حيث إن «الإنفاق في سبيل الله لا يقتصر على الزكاة فحسب بل إن هناك حقوقاً أخرى ينفق الإنسان فيها ولو كان قد أدى الزكاة»[(١)].

قال القرطبي: «اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة، فإنه يجب صرف المال إليها»[(٢)].

والحاجة قائمة في هذا الزمان ومنها حاجة الدعاة للموارد المالية.

٣- **القرض الحسن**، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن نبي الله ﷺ كان يقول: **(من أقرض الله مرتين كان له مثل أجر أحدهما لو تصدق به)**[(٣)]. وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(كل قرض صدقة)**[(٤)].

---

(١) رحماء بينهم، راغب السرجاني ص٤٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٤٢.

(٣) صحيح ابن حبان ١١/ ٤١٨ (٥٠٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ١٧ (٣٤٩٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٤٢).

٤- العارية، هي: تمليك المنفعة بغير عوض[(١)]، وقيل: إباحة المنفعة بلا عوض[(٢)] وهي من السنن المهجورة بين الناس إباحة أو تمليك المنفعة لمن يحتاج إليها، «وقد تكون العارية واجبة في بعض الأحيان إذا احتاج إنسان من أخيه شيء تتوقف عليه حياته، فهنا يجب إعارته إياه، وإذا امتنع يكون آثماً»[(٣)].

فقد ذم الله تعالى في سورة الماعون من يمتنعون من إعانة الناس بما لديهم قال تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤ - ٧]. قال الطبري: «يمنعون الناس منافع ما عندهم، وأصل الماعون من كل شيء منفعته»[(٤)].

وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الماعون فقال: «هو ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس، والقدر، والدلو»[(٥)].

ويؤيد هذا ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ جاء رجل على راحلته فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ: **(من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له)**. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[(٦)].

٥- الوصية بالدعوة والدعاة، فمن السنة أن يوصى الإنسان قبل موته بعمل فيه نفع

---

(١) القوانين الفقهية، ابن جزي، ص٣٧٣.

(٢) مغني المحتاج، محمد الخطيب الشربيني ٢/ ٢٦٤.

(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٩١.

(٤) جامع البيان ٢٤/ ٦٣٤.

(٥) جامع البيان ٢٤/ ٦٣٤، المعجم الكبير ٩/ ٢٠٦ (٩٠٠٦) وفيه يحيى الجزار صدوق، وبقية رجاله ثقات.

(٦) صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال (١٧٢٨).

له بعد موته، وأفضل هذه الأبواب دعم الدعاة لأنه من الأعمال التي يجمع فيها بين أجر الوصية وأجر الوقف وأجر الصدقة، ويبقى معه حتى بعد وفاته لقول النبي ﷺ: **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)**[1].

٦- توفير فرص عمل للدعاة، وهو باب واسع جدًّا، ومتيسر لكل صاحب مال وتجارة، خصوصاً مع ارتفاع معدلات البطالة، وهذا لا يكلف صاحب العمل، بل سينال الأجر بالنية الصالحة.

وهذا ما فُعل مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن طريق الرجل الصالح والد المرأتين اللتين سقى لهما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨].

٧- إنظار أو إبراء المعسر وسداد ديون الدعاة والمؤسسات الدعوية، فقد يلجأ بعض الدعاة والمؤسسات الدعوية إلى الاقتراض من المحسنين وميسوري الحال لضرورة، كما ثبت أن النبي ﷺ اقترض من أحد الأعراب ووفاه[2].

فقد شرع الله تعالى باباً من أبواب الخير يقوم به الدائن؛ وهو: أن يبري المدين مما عليه من مال، ورتب على ذلك الأجر الكبير قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. وقال

(١) جامع الترمذي، كتاب الزكاة، باب الوقف (١٣٧٦)، وسنن النسائي، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة على الميت (٣٦٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون، باب حسن القضاء (٢٣٩٣).

رسول الله ﷺ: **(من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه)**[1]. فالتخفيف عن الدعاة إما بإبرائهم من ديونهم، أو التخفيف منها، أو تأخيرهم في السداد، باب كبير من أبواب الخير ساقه الله للمسلمين ليدخلهم به الجنة، ويخفف عنهم من هول حساب يوم القيامة وشدته.

فهذه بعض الجوانب التي يمكن من خلالها أن يضحي أهل الخير في سبيل العناية بالدعاة إلى الله تعالى ويحصل بها الخير لهم ولدعوتهم.



(١) صحيح مسلم، كتاب المساقات، باب فضل إنظار المعسر(١٥٦٣).

الخاتمة

بعد هذا العرض لمجموعة من المشاكل والعقبات التي تواجه الدعوة والدعاة، يمكن أن نبين أهم النتائج والتوصيات من خلال النقاط التالية:

النتائج المتعلقة بالتمهيد:

١- تتنوع المعوقات والمشكلات في طريق الدعوة إلى الله تعالى بتنوع مصادر هذه المعوّقات ووسائلها، ويرتفع أثرها وينخفض بحسب ما ينجم عنها من إعاقة وتثبيط للداعية والدعوة والمدعو على حد سواء.

٢- تتفاوت المشكلات والمعوّقات من بيئة إلى أخرى بحسب قوة هذا العامل المسبب للمشكلة، لذلك فالتعرف على المشكلات لا ينبغي أن يتركّز على جانب واحد من الجوانب، كما أن سبل العلاج لا بد وأن تنبني على فكرة اتساع النظرة وتعدد الرؤية، ليكون العلاج متكاملاً.

٣- إن معوّقات الدعوة كثيرة ومتفاوتة التأثير، فمنها ما يعيق الداعية عن القيام بواجب الدعوة إلى الله، ويضعف أثر الجهود الدعوية، ومنها ما يقلل عدد المستفيدين منها، ويصرف المدعو عن السماع للنصيحة والتأثر بها، ومنها ما يجعله يتشكك في الدعوة وأهلها، ومنها ما يشتت الجهود الدعوية ويصرفها في غير وجهها الصحيح.

٤- مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحاضر يمكن تقسيمها لقسمين، عقبات من داخل الدعوة ونفسها، وعقبات من خارج الدعوة.

◈ النتائج المتعلقة بالمشكلات المنهجية:

٥- من أخطر ما يهدد الدعوةَ المشكلاتُ المتعلقةُ بمنهج الدعوة حيث إن تأثيرها أعم بكثير من كل المشكلات الأخرى، ويترتب عليها كثير من المشكلات السلوكية والتربوية والمالية والسننية.

٦- البصيرة بالدعوة وسلامة المنهج من أهم مقومات الدعوة الناجحة، وكذلك الخلل في البصيرة والمنهج من أهم العوائق الدعوية ومن أسباب فشل الدعوة.

٧- العوائق والمشكلات المنهجية كثيرة، من أهمها: البعد عن المنهج الإسلامي علماً وعملاً، وضعف الوعي الدعوي، والغلو في الدين، والتساهل في الدين، واستعجال النتائج واستبطاء الثمرة، والنظرة السلبية للمجتمع.

٨- **مشكلة البعد عن المنهج الإسلامي علماً وعملاً،** تنطلق من القصور في فهم الإسلام بشمولية وتكامل، والتزام جميع شرائعه كافة، مما يؤدي إلى القصور في الجوانب العلمية والعملية والدعوية والإصلاحية، فيتأثر بذلك عامة المسلمين بطبيعة الحال، ويؤثر ذلك في واقعهم، بل قد يصل الأثر إلى الدعاة أنفسهم من خلال مجاراتهم لهذا الواقع.

٩- إنما أُتي المسلمون من أمرين فيما يخص المنهج:

الأمر الأول: تجزئة الدين وعدم أخذ الإسلام بشموليته علماً وعملاً ودعوة وإصلاحاً.

والثاني: قلة الفقه بالأولويات والمقاصد، وترتب على ما سبق وضع رؤى منقوصة، وحلولاً قاصرة؛ لخروج الأمة من أزمتها.

١٠- التكيف مع الواقع له دور كبير في تعزيز البعد عن المنهج الإسلامي، حيث وقوع بعض الدعاة في هزيمة نفسية، بل وتطويع النصوص أحياناً لهذا الواقع.

١١- **ضعف الوعي الدعوي من المشكلات المنهجية الخطيرة**، إذا كان الداعية إلى الله ضعيف في وعيه وإدراكه لما يدور حوله من الفرص والمخاطر المحيطة بالدعوة إلى الله فلا شك أن دعوته ستكون من الضعف بمكان من حيث الانتشار والتأثير.

١٢- الوعي هو: حالة من اليقظة تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها وتجميع عناصرها السابقة وربطها في محاولة لإدراك الكل كما يعني استعداداً ذهنياً لاستيعاب الأحداث والتفاعل معها بشكل صحيح.

١٣- للوعي أهمية كبيرة حيث أنه يحقق: حسن العمل، وجمال الاستعداد، وسعة العقل، وتمييز المواقف، وسبر الأشخاص، وفقه العلوم، وضبط المشاعر، والخروج من المأزق الفشل والخطأ والحزن والإحباط، والتراجع.

١٤- الوعي يتكون عبر ثلاث مراحل: الوعي بالذات، ثم الوعي بالبيئة المحيطة والظروف الحالية، ثم الوعي بالعالم وحركة التاريخ.

١٥- تتنوع وسائل تشكيل الوعي في العصر الحديث، نظراً لكثرة وسائل النشر والإعلام والتثقيف.

١٦- هناك أساليب عديدة لتشكيل الوعي في الأمة، وهي قابلة للتجديد والاختيار بحسب البيئة وبحسب الفئة، ومنها: أسلوب المثال التاريخي، وأسلوب التحفيز والاستثارة، وأسلوب بناء القناعات، وأسلوب نقل الخبرة، وأسلوب التخصص في تشكيل الوعي.

١٧- والمعنيون بتشكيل الوعي هم أهل العلم والدعوة، وأهل الفكر والرأي، وأصحاب القرار والسلطة، وموجهي الرأي العام من سياسيين وإعلاميين ومثقفين، والأسرة.

١٨- **مشكلة الغلو في الدين تعني** الميل والانحراف عن الطريق المستقيم، أو أن يزيد في الدين ما ليس منه؛ بحيث يتجاوز الحد المشروع، أو يتشدد في العبادة، أو يتعسف في أدائها، حتى يخرج بها عن الصفة المشروعة.

١٩- ومن **مظاهر الغلو في الدين:** كثرة الافتراضات، والسؤالات عمَّا لم يقع، أو عمَّا عفا الله ، عنه وسكت، والمبالغةُ في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو تضييع الواجب، والعدول عن الرخصة في موضعها إلى العزيمة، والاشتغال بمسائل الفروع على حساب الأصول، أو استفراغ الجهد في المختلف فيه، مع إهمال المجمع، أو المتفق عليه، والتكفير بالمعصية، أو بالكبيرة، وجعل الأصل في الأشياء الحظر، أو الحرمة، مع أن القاعدة أن الأصل في الأشياء الإباحة أو الحل، إلا ما جاء النص بخلافه، وكذلك إحياء الكلام في المسائل التي فرضتها ظروف معينة، ثم انتهت بانتهاء هذه الظروف.

٢٠- ويقع الغلو في الدين لأسباب عدة، وبواعث كثيرة نذكر منها: البيئة، والتكوين النفسي والفكري للدعاة، والذكاء مع الفراغ، وعدم البصيرة بالأولويات، والاعتماد على النفس في تحصيل العلم، أو المعرفة، بعيداً عن العلماء، والأخذ أو التلقي عن الجاهلين، وخلو الساحة أو الميدان من العلماء الذين يضبطون الفكر والتصور بل والسلوك، وتعطيل شرع الله في الأرض، والحظوظ النفسية، من حب الذيوع والشهرة، أو الثناء والمحمدة، أو المغنم والجاه، والرغبة في تحقيق مزيد من القرب من الله مع الغفلة عن السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، والكراهية للإسلام مع التظاهر بحبه،



والشدة أو الإكراه والضغط، سواء من البيت أو المجتمع أو الدولة، وكذلك الهجوم العلني والتآمر الخفي على الأمة الإسلامية.

٢١- **ومن آثار الغلو في الدين:** كراهية الناس، ونفورهم من الدين وأهله، الفتور أو الانقطاع، وتضييع العمر والجهد في غير فائدة، والتقصير في حقوق الآخرين، والقلق والاضطراب النفسي، والفرقة والتمزق، وكيد أعداء الإسلام للدعوة، والحيلولة دون كسب الأنصار.

٢٢- **ومن وسائل علاج الغلو في الدين:** معرفة النصوص من القرآن والسنة في التحذير من الغلو والتطرف في الدين، وفهم النصوص وفق فهم السلف، والتبصير بفقه العبودية، والدعوة إلى الله، والفتوى، ودوام النظر في التاريخ البشري بعامة، والإسلامي بخاصة، ومعاملة المغالين بروح الأبوة والأخوة، ولفت النظر إلى الآثار والعواقب المترتبة على الغلو، وشغل أوقات الفراغ بالنافع المفيد.

٢٣- **مشكلة التساهل في الدين** لا تقل خطورة عن مشكلة الغلو في الدين، وتكون في أمرين: **الأول:** التساهل بترك الواجبات وفعل المحرمات واتباع الشهوات، **الثاني:** التساهل في الدعوة والبلاغ.

٢٤- من صور التساهل في الدين، التساهل في عرض الدين للناس وتتبع الرخص، والتساهل في بعض الذنوب التي تحتاج إلى تحرز من الدعاة، والتساهل في مظاهر التدين وضعف العمل بما يدعو إليه.

٢٥- **مشكلة النظرة السلبية للمجتمع** من المشكلات الخطيرة التي حيث ينظر بعض الدعاة إلى الدعوة ومجتمع الدعوة على أنه مجتمع فاشل غارق في شهواته

وملذاته؛ فلا خير فيه، وقد يعلنون ذلك بين الناس، ومن ثَمَّ لا ينظرون ولا يستفيدون من الجانب الإيجابي الذي يمكن أن يستفاد منه.

٢٦- موقف الإسلام من النظرة السلبية للمجتمع، ذمها وتوعد من يعتقد ذلك لأن فيه سوء ظن بالله تعالى وقدرته على هداية الخلق، وفيها نوع من الانسحاب من مهمة الدعوة، ويتولَّد عنها كثيرٌ من المصادمات بين الدعاة والمجتمع، وتعطي صورة غير صحيحة عن الدعاة بل عن المسلمين ككل، وتؤدي إلى أن يفقد الدعاة ثقة الناس فيهم، ويعَمم التصور الخاطئ على كل فئات الدعوة، ويَقِل عطاء الدعاة، وتُقام العوائق النفسية والتخوفات حولهم.

٢٧- ومن وسائل علاج النظرة السلبية للمجتمع: نظرة الداعية للمجتمع نظرة حب وشفقة لا باللوم والعتاب، واعتقاد الدعاة بأن المجتمع يستحق التغيير إلى الأفضل حتى وإن كنا نَصفهم بالسلبية، وبقدرة الله على تغييرهم وإصلاحهم، وأن الله يجعله سبباً وطريقاً إليه، وقدرة المدعوين على التغير للأفضل، والاعتقاد بأن المجتمعات لديها وعي وتحتاج من يحول هذا الوعي إلى أفكار عملية، ومشاركة المجتمع في تصحيح أخطائه، وإيجاد البدائل الشرعية لهم، والنظر في التاريخ والسير وفي سنن الله في الدعوة.

٢٨- استعجال النتائج واستبطاء الثمرة من المشكلات الدعوية المؤثرة على الداعية وعلى استمرارية العمل الدعوي ونجاحه.

٢٩- والإسلام ينظر إلى الاستعجال نظرة عدالة وإنصاف، فلا يحمده مطلقاً، ولا يذمه مطلقاً، وإنما يحمد بعضه، ويذم البعض الآخر: **فالمحمود منه:** ما كان ناشئاً عن تقدير دقيق للآثار والعواقب، وعن إدراك تام للظروف والملابسات، وعن حسن إعداد



وجودة ترتيب، **وأما المذموم منه:** ما كان مجرد ثورة نفسية خالية من تقدير العاقبة ومن الإحاطة بالظروف والملابسات، ومن أخذ الأهبة والاستعداد.

٣٠- إن تربية الأجيال على الفضائل، وتقويم السلوك الإنساني تحتاج لأناة المربين، وحنكة السائسين وعدم عجلتهم وهذه سياسة لا يُحسنها إلا العظماء الذين سددهم الله.

٣١- **القاعدة الشرعية تقول:** «من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»، هذه القاعدة الذهبية لها تطبيقات كثيرة، وفي مجالات مختلفة، عمادها تحقيق مقاصد الشريعة، وسد الذرائع، وتحقيق فقه النواتج، والبحث في المآلات، والنظر السليم في مفردات السياسة الشرعية.

٣٢- **العجلة** مشكلة تصيب الداعية فتَحرمه الوصول إلى غايته وإصابة هدفه، وتصدر الدعوة نماذج غير مؤهلة قد تنفر من الإسلام والدعاة إليه، بل قد تتأثر الدعوة بالشبهات والشهوات فلا تقوم لها قائمة، وتنفر الناس من الدين، وتؤدي كذلك للفتور حيث لا يجد المستعجل النتيجة الفورية فيفتر ويمل، وخسارة الدعوة قدرات وجهود وأعمال دعوية مكتسبة، وتعطيل أو تراجع في العمل الدعوي، وزيادة وضع الأحجار والعقبات على الطريق.

٣٣- لا بد للدعاة من الرفق والأناة مع المدعوِّين، فلا يستعجلوا في ضخ المعلومات والأفكار والمواعظ والتوجيهات.

٣٤- **ومن أبرز أسباب مشكلة الاستعجال، ما يأتي:** العاطفة المجردة، والتهييج النفسي، دون الأخذ بأسباب التغيير، وعدم مراعاة سنن الله الكونية، وعدم وجود الخطط الواقعية المزمَّنة المدروسة، غياب التفاعل والتكامل بين أجيال العمل الدعوي، استدراج

الأعداء، ضعف فقه الواقع، نقص التربية السليمة، وطبيعة العصر والأحداث المتسارعة، الجهل بأساليب الأعداء، شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب وفقه تغييرها، العجز عن تحمل مشاق الدعوة، العمل الدعوي بعيداً عن ذوى الخبرة، الغفلة عن سنن الله.

٣٥- من أهم وسائل علاج مشكلة الاستعجال في الدعوة: الحذر من سيطرة العاطفة المطلقة، والهيجان الفكري، والحذر من الاستعجال في ضم الجدد للعمل الدعوي، من غير تمحيص، فلا يتقدَّم لقيادة الدعوة إلا من اشتدَّ عوده، الصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، التربية على الوسطية الإسلامية، إمعان النظر في الآثار والعواقب المترتبة على الاستعجال، دوام النظر في كتاب الله ,، والسنة والسيرة النبوية، وكتب التراجم والتاريخ، العمل مع ذوى الخبرة والتجربة، العمل من خلال منهاج وبرنامج، الفهم الدقيق لأساليب ومخططات الأعداء، عدم الرهبة أو الخوف من تسلط الأعداء، مجاهدة النفس وتدريبها على ضرورة التريث والتأني، الانتباه إلى الغاية أو الهدف، الانتباه إلى موقف المسلم من المنكرات وأسلوب تغييرها.

٣٦- بناء الرجال أصعب من بناء المصانع والعمارات، ولذا الحاجة ماسة لعدم الاستعجال والعمق التربوي والتدريب الذي يؤهل الداعية.

٣٧- ومن صور الاستعجال في تأهيل الدعاة: الاستعجال في تأهيل الدعاة بدون مرحلية ومراعاة لأحوالهم، ثم تكليف الدعاة بالقيام بالدعوة مباشرة قبل تأهيلهم التأهيل الكافي وملائمة الظروف المحيطة، والاستعجال في ثمرة تأهيل الدعاة واستجابة الناس.

◈ النتائج المتعلقة بالمشكلات والعوائق التربوية:

٣٨- كثير من العوائق والمشكلات التي تواجه الإنسان عامة والداعية خاصة هي بسبب مشكلات داخلية تربوية.

٣٩-من أهم العوائق التربوية التي تؤثر في مسيرة العمل الدعوي: الرغبة في الصدارة والإمارة، والفصل بين القول والعمل، والتساهل في التقدم للفتوى من غير تهيب لها، والعجب والغرور، والترف.

٤٠-الرغبة في الصدارة والإمارة أمر تعوَّده الناس منهم، حتى أفضى الأمر إلى نزاعات وخلافات ومفاسد وفتن كثيرة، وقد تسلل إلى مجتمع الدعاة إلى الله، وسيطر على بعض النفوس فأمرضها، شعرت أم لم تشعر.

٤١- إن الحرص على الإمارة يفسد دين المرء الحريص عليها، ويضيع نصيبه في الآخرة، ويجعله شخصاً غير صالح لهذا المنصب.

٤٢- طلب الجاه بالأمور الدينية، أفحش وأخطر؛ لأنه طلب للدنيا بالدين، وتوصل إلى أغراض دنيوية بوسائل جعلها الله تعالى طرقاً للقرب منه ورفعة الدرجات، وهذا هو المقصود بحديثنا هنا.

٤٣- وردت نصوصٌ تنهى عن سؤال الإمارة وتمنيها، وتحذِّر من ذلك، وتبين عاقبته، وتنهى عن تولية من سألها أو حرص عليها، والسبب في عدم توليته الإمارة لمن سألها أنه غير صالح ولا مؤهل لهذا الأمر؛ لأن سؤاله له وحرصه عليه ينبئ عن محذورين عظيمين: **الأول:** الحرص على الدنيا وإرادة العلو، وقد تبيّن ما فيه. **والثاني:** أن في سؤاله نوع اتكال على نفسه، وعُجباً بقدراتها وغروراً بإمكاناتها، وانقطاعاً عن الاستعانة بالله ﷻ.

٤٤-توجد مظاهر كثيرة للرغبة في الصدارة والإمارة ومنها: العجب بالنفس، وكثرة مدحها، بيان عيوب الآخرين وخاصة الأقران، الشكوى من عدم نيله لمنصب ما، الحرص على تقلُّد الأمور التي فيها تصدُّر وبروز؛ عدم المشاركة بجدٍّ عندما يكون

مرؤوساً، كثرة النقد بسبب وبغير سبب، ومحاولة التقليل من أهمية المبادرات والمشاريع الصادرة من غيره، الإصرار على رأيه، وعدم التنازل عنه، السعي للتقرب من السلاطين والولاة ومن بيده القرار، الجرأة على الفتوى، والحرص عليها، والمسارعة إليها.

٤٥- ومن أهم آثار ومفاسد الرغبة في الصدارة والإمارة: فساد النية، وضياع الإخلاص، أو ضعفه، ودنو الهمة، والغفلة عن الله تعالى، وعن الاستعانة به، المداهنة في دين الله تبارك وتعالى؛ اتباع الهوى، وارتكاب المحارم؛ من الحسد والظلم والبغي والعدوان ونحوه مما يوقع فيه هذا الحرص ويستلزمه أحياناً الحرمان من توفيق الله وعونه وتسديده، تعريض النفس للفتنة في الدين، تضاعف الأوزار وكثرة الأثقال؛ توقع سوء العاقبة في الدنيا، وحصول بلاء لا يؤجر عليه.

٤٦- ومن أهم أسباب الرغبة في الصدارة والإمارة: ضعف الإيمان والرغبة فيما عند الله تعالى، فساد النيَّة، الإكثار من مدح الداعية والثناء عليه، عدم الكشف عن الطاقات الكامنة في الداعية لتوظيفها فيما يناسبها، التوهم بخدمة الدعوة من خلال المنصب، الغيرة من الأقران، والظن بأن المنصب تشريف، والغفلة عن كونه تكليفاً ثقيلاً.

٤٧- علاج الرغبة في التطلع للصدارة وللإمارة بعد تدبر الأسباب يظهر في عدد من الخطوات، من أهمها: تكثيف التربية الإيمانية؛ القائمة على الإخلاص والتجرد لله تعالى، والعمل للآخرة، والزهد في الدنيا والطاعة وهضم النفس منذ الصغر، والرضا بالموقع الذي يعمل فيه، والتزام الضوابط الشرعية في المدح، وتجنب مدح أحد الأقران أمام قرينه مطلقاً، توضيح الأسس الشرعية لاختيار المسؤول في العمل الدعوي، المصارحة والمكاشفة لمن تبدو عليه علامات الحرص، تبيان الآثار المفسدة لنفس العالم والداعية من جرَّاء حرصه عليها، وتوضيح تبعاتها في الدنيا والآخرة، الاعتبار بحال

السلف الصالح في تواضعهم لله تعالى، وكراهيتهم الشهرة والتصدُّر، الانشغال بما يجب عليه من الدعوة والعبادة لله والسعي للإصلاح، وترك ما لا يجب عليه مما لا يملكه.

٤٨- التوازن بين كراهية الصدارة والشهرة، وبين وجوب قيادة الناس وقتل الطموح، وتفضيل دنو الهمة والقعود والخمول والعجز والكسل والتهرب من المسؤولية، وترك العمل، والتخاذل عن الواجبات، وفروض الكفايات، خاصة إذا تعينت على الأكفاء، وترك اغتنام الفرص النافعة في الدعوة إلى الله ﷻ.

٤٩- المقصود أن الداعية المخلص يكره التصدر والإمارة والشهرة بطبعه؛ لإخلاصه وبُعده عن الرياء، ولكنه في نفس الوقت هو صاحب المبادرة الخيرة، وهو فارس الميدان إذا تعين عليه التصدر.

٥٠- **الفصل بين القول والعمل**، من المشكلات الظاهرة في حياة بعض الدعاة، مع **أن** من أهم الصفات التي يجب على الداعية أن يتحلى بها ليسلم من الإثم في الآخرة ولتستقيم له دعوته في الدنيا وتؤتي ثمارها: موافقة قوله عمله.

٥١- تظاهرت نصوص الكتاب والسُّنة على ذم مخالفة قول الإنسان عملَه؛ لأن ذلك نوع من الكذب، ويدل على ضعف الإيمان، وهو طريق إلى النفاق، فقد وردت نصوص تثبت أن الأنبياء عليهم السلام - وهم رؤوس المصلحين وأئمة الدعاة والخطباء - توافق أقوالُهم أفعالَهم؛ ، ونصوصٌ تفيد أن الله تعالى قد ذمَّ بني إسرائيل على عدم إتْبَاع العلم العمل، وتنوعت النصوصُ في الوعيد على مخالفة العلم والقول العملَ.

٥٢- **ومن وسائل علاج الفصل بين القول والعمل:** خشية الله تعالى بالغيب؛ الحذر من معاصي السر، والإصرار عليها، اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء، الإكثار

من الأعمال الصالحة المكفرة للذنوب، وأن يتذكر الدعاة أنهم قدوة للناس، ولن يقبل الناسُ دعوتَهم إن رأوهم مخالفين ما يدعون إليه، أن يتذكر الدعاة أنهم بمخالفة أقوالهم أفعالهم يشوهون سمعة الدعاة والخطباء وأهل الخير عند الناس، ويتسببون في فري أعراضهم، وأن يعلم الدعاة بركة موافقة القول الفعل، ومنها: ثبوت العلم ونماؤه وزيادته؛ حصول الرفعة في الدنيا والآخرة.

٥٣- **التساهل في التقدم للفتوى من غير تهيب لها** من المشكلات الخطيرة التي يقع فيها كثير من الدعاة.

٥٤- المطلوب من الداعية أن يكون متهيباً للإفتاء، لا يتجرأ عليه إلا حيث يكون الحكم جليَّاً في الكتاب أو السنة، أو يكون مجمعاً عليه، أما فيما عدَا ذلك مما تعارضت فيه الأقوال والوجوه وخفي حكمه، فعليه أن يتثبت ويتريث حتى يتضح له وجه الجواب، فإن لم يتضح له توقف وسأل أهل العلم.

٥٥- الإفتاء بغير علم حرام، بل من الكبائر، لأنه يتضمن الكذب على الله تعالى ورسوله، ويتضمن إضلال الناس، ومن أجل ذلك كثُر النقل عن السلف أنهم كانوا إذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول للسائل: لا أدري.

٥٦- **العُجب والغرور من الأمراض السريعة الفتَّاكة** حيث يشعر الدعاة بالإحساس بالتميِّز، والافتخار بالنفس، والفرح بأحوالها، وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال، محمودة أو مذمومة.

٥٧- مما يُدخل العُجب على الداعية نظره لما منحه الله تعالى إياه من بلاغة أو فصاحة وبيان أو سعة في العلم وقوة في الرأي، فإذا انضاف إلى ذلك حديث الناس عن أعماله، وتعظيمهم له، وإقبالهم عليه؛ ولم يَسلم حينئذٍ إلا القليل.

٥٨- من مظاهر العجب على الداعية: الإكثار من الثناء على النفس ومدحها، والحرص على تصيُّد العيوب وإشاعتها، وذم الآخرين، والنفور من النصيحة، وكراهيتها، وبغض الناصحين، والاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير.

٥٩- من مخاطر العجب وآثاره على الداعية: أنه طريق إلى الغرور والكبر، والحرمان من التوفيق والهداية؛ وبطلان العمل، والعجز والكسل عن العمل؛ العقوبة العاجلة أو الآجلة، كما خسف الله بالمتبختر المعجب الأرض.

٦٠- ومن آثار العجب على الدعوة: توقفها أو ضعفها وبطؤها بسبب قلة الأنصار؛ نظراً لنفور الناس، وكراهيتهم للمعجبين، وسهولة اختراق صفوف الدعاة وضربها؛ نظراً لانهيار الدعاة المعجبين حال الشدائد.

٦١- من أسباب العُجب عند الداعية: الجهل المعجب بحق الله وقدره، وقلة علمه بأسمائه وصفاته، وضعف تعبده بها، والغفلة عن حقيقة النفس، والجهل بطبيعتها وعيوبها، وإهمال محاسبتها، ويدخل تحتهما: تجاهل النعم، ونسيان الذنوب، واستكثار الطاعات.

٦٢- من وسائل علاج الداعية للعجب: الحرص على العلم الشرعي، الذي يهذب النفوس، ويصلح القلوب، والإقبال على كتاب الله تعالى، وسنة النبي ﷺ، وسيرة السلف الصالحين، ومجالسة العلماء والدعاة الصادقين، ومحاسبة النفس، وتنقيتها من داء العجب والفخر، ومتابعة البارزين ومن يخشى عليهم العجب، واتباع الآداب الشرعية في المدح والثناء، والتوقير والاحترام، والطاعة والانقياد.

٦٣- كما أن العجب بالعمل يورث التواكل والتكاسل، فإن احتقار العمل إذا لم



ينضبط فإنه يورث أثراً مشابهاً وهو: (الإحباط والملل والسآمة)؛ لذا كان للعبد أن يفرح بالحسنة، ويغتبط بالطاعة، بل إن هذا دليل الإيمان، ولكن الواجب عليه في هذا الفرح، أن يكون مستشعراً فضل الله ﷻ ومنته ورحمته وتوفيقه، مثنياً عليه بذلك، لا يرى لنفسه في الانبعاث لذلك العمل أثراً يعوَّل عليه؛ إذ إن الذي منح القدرة والهداية هو الله ﷻ.

٦٤- **الترف** من المشكلات التي ظهرت على الساحة الدعوية، وحقيقته مجاوزة حد الاعتدال بنعمة أو الإكثار من النعم التي يحصل بها الترف.

٦٥- ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في موضع الذم له والتحذير منه، كما ورد العديد من الأحاديث النبوية التي ينهى بعضها عن الترف جملة وتحذر من تعلُّق القلب به، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، وبعضها الآخر ينهى عن مظهر من مظاهر الترف، ويحث على تركه والانصراف عنه إلى ما هو خير في الدارين.

٦٦- **من مظاهر الترف على الدعوة والدعاة:** الإفراط في تناول الطعام والشراب وتوفير متطلبات النفس مما لذ وطاب، وجعل المال في الملابس الراقية، والاستكثار من وسائل الزينة، وعدم الحرص على الطاعة والتواني عن القيام بما يقرِّب في الآخرة، وتتبع أقوال أهل العلم للأخذ بالأيسر منها، ويرجع ذلك إلى أن كثرة النعم تقود إلى الدعة والراحة، وتلك تقود إلى اقتحام سبيل الشهوات والانغماس في الملذات.

٦٧- **آثار الترف على الدعوة والدعاة:** تقليد تجارب دعوية سابقة، وقل أن يبرز من أوساطهم قيادات دعوية جديدة تتأمل في تجارب من سبقها وتأخذ منها ما كان صالحاً في نفسه ومناسباً للمرحلة التي تمر بها الدعوة، ومن الآثار كذلك عدم تقدم الدعوة إلى مراحل متقدمة، والداعية المترَف أقل اهتماماً بدعوته والقيام بها من غيره، وأقل إفادة للمدعوين من غيره، والترف يدفع الدعاة إلى عدم نشر الدعوة بجدية بين

كافة فئات المجتمع، ويؤدي إلى فتور المربِّين عن ممارسة الأعمال التربوية نظراً لمشقة ذلك على النفس وما تتطلبه العملية التربوية من وقت وجهد، وذلك ما يعجز عنه المترفون لعدم تعودهم عليه.

٦٨- **ومن وسائل علاج الترف:** النظر في هدي السلف الصالح في التعامل مع مُتع الحياة وملذاتها، للأخذ منهم والسير على هديهم، وإشغال نفسه بما يعود عليه نفعه في الآخرة، والنظر في حال أهل الترف قديماً وحديثاً، والتأمل في أوضاعهم وما يعانيه غالبهم من غفلة، وقلة طاعة، وقسوة قلب، وكثرة همٍّ، وتشتت فكر، والنظر في أحوال المسلمين والتأمل في شدة ما يعانون من فقر وجهل ومرض، وتربية النفس على الاستقامة والجدية، وتعويدها على أخذ الإسلام بجدية، وتصريف طاقات الدعاة وتوجيههم إلى حسن استثمار أوقاتهم، ولا بد من معرفة منهج الإسلام في التعامل مع النعم.

◈ النتائج المتعلقة بالمشكلات والعوائق السلوكية:

٦٩- يوجد بعض التصرفات التي تظهر على سلوكيات الدعاة تمثل عائقاً حقيقيّاً في طريق الدعوة إلى الله، وهذه السلوكيات مبنية على خلفيات منهجية وتربوية غير سوية تحدثنا عن بعضها في الفصلين الماضيين، ومن أهم تلك السلوكيات: التنازع بين الدعاة، والإقصاء في العمل الدعوي، والفوضوية في العمل الدعوي، والعنف في العمل الدعوي، والتثبيط والتوهين عن الدعوة.

٧٠- **التنازع بين الدعاة** والتنازع والتقاطع والتدابر الحاصل من أكبر أسباب فشل الدعوات.

٧١- الأوامر الشرعية في كتاب الله سبحانه وفي سنة نبيه ﷺ لَتَدعونا -في كلِّ وقت

وحين- إلى الاعتصام، ولَمِّ الشمل، وإصلاح ذات البين، ونبذ الخلافات، والتعاون على البر والتقوى، والتأدب مع الدعاة والعلماء.

٧٢- **من أسباب التنازع بين العاملين في الدعوة:** بغي الخلق بعضهم على بعض، وظلمهم لبعضهم، واتباع الهوى، واتباع وساوس الشيطان، واتباع المتشابه، والتأويل الباطل للنصوص، والجدال والخصومة في الدين، والتعصب، وبعض الآفات القلبية والسلوكية، وقلة الفقه، وضعف الوعي والبصيرة في الدعوة، وعوامل خارجية قادت إلى تفاقم الاختلاف.

٧٣- إن التنازع والاختلاف بين الدعاة له آثاره الخطيرة على الأمة، سواء كان هذا التنازع على مستوى الأفراد أو المجتمعات ومن آثار ذلك: الفشل، والضعف والعجز، وهلاك الأمة، والعقوبات المعنوية، والجهل بالحق والبعد عنه، وبراءة الرسول ﷺ من المفترقين، وأنه سبب للتدابر والتقاطع، والذَّم ولحوق الوعيد.

٧٤- **من وسائل دفع النزاع بين الدعاة:** طاعة الله ورسوله، والاعتصام بحبل الله، ووحدة الصف والتعاون على البر والتقوى وأدب الخلاف وفقه الخلاف وقواعده، وحسن الظن، والتثبت قبل إطلاق الأحكام، والإخلاص في تحري الحق، والتجرد للحق، والتبصير بمكائد أعداء الأمة ومرادهم من نشر الخلاف بين العاملين لله، وإقناع المتنازعين إلى أن يدور خلافهم في حدود العلم والمادة العلمية بأصولها، وألا يتعدى ذلك إلى التثوير واتباع الهوى ورغبات النفس، والعمل على بناء جُذُرِ الثقة بين الدعاة والعلماء بعضهم بعضاً، وإعادة روح المحبة والألفة، ودفعهم للعمل على وقوفهم وحدة واحدة أمام تيارات التعصب والجهل وأفكار التكفير والإفساد في مجتمعاتنا الإسلامية، والعمل على عقد ميثاق شرف بين الدعاة والعلماء بعضهم بعضاً يعملون

في حدوده ويلتزمون بمواثيقه المستمدَّة من هدي رسول الله ﷺ، وأن يشترك الجميع في الدعوة إلى الله كل حسب وسعه وتخصصه، وكل يسد ثغرة من ثغور الإسلام، وعدم التنافس المذموم الذي يكرر الجهود ويوغل الصدور.

٧٥- الإقصاء في العمل الدعوي من المشكلات التي وقع فيها كثيرٌ من الدعاة والجماعات الإسلامية؛ فمارسوا الإقصاء والتَّهميش داخل كياناتهم وخارجها.

٧٦- **للإقصاء عدَّة مظاهر منها:** احتكار الصواب، أو حيازة الخيرية فقط دون ما سواها، وتهميش مجموعة من أفراد العمل داخل فريق العمل الواحد.

٧٧- **من أسباب الإقصاء في العمل الدعوي:** الخلل في منهج الاستيعاب الدعوي في فريق العمل، والتعامل مع الجميع ولا يكون وفق مرضاة الله، وإهمال مبدأ الشورى في العمل الدعوي، وعدم أخذ رأي من يستحق أن يستشار، فشل متصدِّرو المشهد الدعوي أو صانعو القرار في استثمار الطَّاقات الدعوية المختلفة وتوظيفها، والممارسة الإقصائيَّة تكشفُ عن معضلةٍ فكريَّة تقوم على احتكار الصَّواب واعتقاد الأفضليَّة الفكريَّة على الغير، وكذلك الممارسة الإقصائيَّة تكشف عن مشكلة نفسيَّة تقوم على غياب الشُّعور بالتَّكامل الأخوي بين العاملين في الحقل الإسلامي من مختلف المكوِّنات.

٧٨- **من أهم التوجُّهات لِمَن وقع عليه الإقصاء من الدعاة:** لا تغرق في المثالية، وذلك حتى لا تقنط أو تنقطع عن الطريق، فمن تأمل سيرة النبي ﷺ رأى مواقف عدة برز فيها الضعف البشري من أصحاب النبي ﷺ، وأنَّ الواجب إرخاء الستر عن الأخطاء والتأسي بخير البشر محمد ﷺ في التعامل مع الأخطاء، على الداعية ألاَّ يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذى، وطلب الوصول إلى درك ثأره وشفاء نفسه.

٧٩- عند الحديث عن كيفية علاج الإقصاء والتَّهميش داخل العمل الإسلامي؛ فإنَّ العلاج يجب أن ينطلق من عدة منطلقات منها: التنبُّه إلى أنه لا ينجو من هذا الداء إلا من تنبَّه له من البداية، ويجب أن يكون تحرير معلم الولاء والبراء للحق لا للأشخاص، والاهتمام بالتربية للأفراد، والبناء العقائدي، وتغييرُ المناهج لا الخطابات، وتوظيف الطاقات وتقديمها على رغبات النفس.

٨٠- الفوضوية في العمل الدعوي، المقصود بها: أن يمضي الداعية على غير هدىً وبدون ترتيب، فليس هناك نظام ولا خطة ولا هدف، ولا معالم واضحة للسير، وإنما كل ما هناك رؤية عابرة، وكلمة طائرة.

٨١- ومن مظاهر الفوضوية في الدعوة إلى الله: ألاَّ يدري الداعية ما يقول، ولا يدري ما يعطي للمدعو ليقرأه أو ليسمعه، وعدم التجانس التربوي، والانتقاء العشوائي: فالداعية يهتم بمن جاء إليه، ودخل تحت سقف مسجده، دون تأمل وتفكير، وعدم محاسبة الداعية نفسه، وعدم معرفة عوامل النجاح وأسباب الإخفاق، وغياب الخطة والهدف، وحصول الفتور، العشوائية في البرامج المطروحة والدروس الملقاة، والإهمال الفظيع للتربية الإيمانية.

٨٢- من أسباب الفوضوية في العمل الدعوي: عدم ترتيب الأولويات، ضعف التربية، الجليس الفوضوي، وضعف الإرادة.

٨٣- ومن أهم آثار الفوضوية: ضياع الأوقات والطاقات، والفشل المحقق، والفتور والانقطاع.

٨٤- ومن أهم وسائل علاج مشكلة الفوضوية: معرفة قيمة الوقت وتنظيمه وفق

الأولويات والمراحل الدعوية، والتخطيط الجيد وكتابة الأهداف، ووضوحها لدى الداعية، وجود مرجعية للدعاة، لكي يحس بالأمان بأنه يعمل ضمن فريق وقيادة وأهداف واضحة، لها مراحلها، وإدراك الدعاة الدور المنوط بهم، وأهمية العلم بقواعد منهج الدعوة، وأن يحدد الداعية طبيعة الأعمال التي لا بد أن يقوم بها وكم الوقت اللازم لها، وعدم خلط الأعمال الدعوية وواجبات الحياة الشخصية ببعضها، وأن يخصص الداعية وقتاً لنفسه بعيداً عن العمل الوظيفي والعمل الدعوي والحياة الأسرية، وتجنب ساعات العمل الإضافية، ولا بد للداعية من محاولة الانتهاء من العمل الذي بدأه قبل الانتقال إلى عمل آخر، والوقوف موقف الحزم مع نفسه، والبُعد عن التردُّد في اتخاذ القرارات، وإصلاح الأخطاء، واستخدام الداعية الوسائل المعينة على تنظيم الوقت، وعدم تحميل الداعية نفسه ما لا تَستطيع تحمله.

٨٥- ومن ثمرات الترتيب وترك الفوضوية: الاستمرارية والدوام وعدم الانقطاع، حسن الأداء، والاستفادة من الخبرات الدعوية المتنوعة، لعلاج الفوضوية أثر غير مباشر على المدعوين، إذ إن المدعوين تعظم استفادتهم وقبولهم للنشاطات الدعوية المنظمة، تقوية إيمان الداعية، لأن التنظيم والترتيب استفراغ ما في الجهد البشري، وبذل للأسباب، مع التوكل على الله تعالى، ثم الرضا بقضاء الله وقدره بعد ذلك، والتنظيم يحدد أهداف الدعاة وغايات البرامج والمشروعات الدعوية، كما يفيد في حسن الأداء أثناء التنفيذ والتقويم الدقيق بعد ذلك، ويساهم في اختيار طرق الدعوة المناسبة والملائمة، ويجعل من السهل التنبؤ بمعوقات البرنامج الدعوي، ويسهم في ترتيب الأولويات، ويُحدث كثيراً من الانسجام والتناسق بين أعمال الداعية، ويوفر كثيراً من النفقات المالية والجهود البشرية، والتنسيق بين العاملين أو الجهات الدعوية، وتقويم الواقع الدعوي في المواقع المختلفة.

٨٦- **العنف في العمل الدعوي هو** كل تصرفٍ يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين، وقد يكون هذا الأذى جسميّاً، أو نفسيّاً؛ كالسخريَّة والاستهزاء، وفرض الآراء بالقوة، وإسماع الكلمات البذيئة، وجميعها أشكال مختلفة لظاهرة العنف.

٨٧- يُعتبر الإسلامُ نقيضَ العنف والقمع لأنه دين التسامح والرحمة والعفو، وهو الدين الذي ينبذ كافَّة أشكال العنف والإكراه والقسوة في كافَّة مجالات الحياة.

٨٨- إن هدف الفتوحات الإسلامية نشر الإسلام من خلال إزالة العوائق التي تقف أمام الناس في حرية الاعتقاد، فهم لا يُكرهون الناسَ على الدخول في الدين وإنما انطلقوا لينشروا الإسلام وليرفعوا الظلم عن المظلومين الذين حيل بينهم وبين معرفة الحق.

٨٩- اهتم الدين الإسلامي الحنيف بحفظ النفس البشرية كما لم يهتم بذلك دينٌ قبله ولا مذهب ولا قانون وضعي، بل إن الحياة البشرية لم تشهد تشريعاً للأحكام والوسائل التي تحفظ النفس الإنسانية وتعصمها كما في الشريعة الإسلامية.

٩٠- العنف في الدعوة إلى الله أمر طارئ وشاذٌّ لمخالفة أصل مقاصد الدعوة، وله أسباب كثيرة منها: سوء الفهم للنص الشرعي، والظلم، والخواء العقدي، والقصور في التربية الدينية، وازدراء الرأي الآخر، وعدم فتح قنوات للحوار أمام الشباب، وتدنِّي الموارد الاقتصادية في كثير من الدول الإسلامية، والحملات الإعلامية الظالمة، والجهل بالشريعة الإسلامية المبنية على الحكمة، والهوى الذي يعمي عن رؤية الحق ويصم عن سماعه ويبكم عن النطق به كالفرق الضالة القديمة كالخوارج والمعتزلة.

٩١- **من وسائل علاج ظاهرة العنف:** إقامة العدل ورفع الظلم، وعلاج التطرف الفكري، وتعزيز ثقافة التسامح، وبناء منهجية التدرج وعدم الاستعجال في العمل



الدعوي، والعلمي والتربوي، والعناية بفقه إنكار المنكر، وعرض القضايا المنهجية وفق منهج أهل السنة.

٩٢- التثبيط عن الدعوة، والتهوين من شأن وقيمة البرامج الدعوية من الأخطاء الكبيرة التي تقع من بعض المنتمين للدعوة تجاه بعضهم، أو من خارج الدعوة تجاه الدعاة، وهي مشكلة وعائقٌ استسلم له وتأثر به بعض الدعاة.. فولَّد السلبية والقعود، وضعف حسن الظن بالله.

٩٣- المقصود بالتثبيط والتهوين: إضعاف الهمم، وزيادة التشكيك والتخويف، وتعظيم الأمور الهينة وتضخيمها وتصعيبها، مما يؤدي بالعامل أن يتراجع عن الخير، وأن يترك سيره وعمله لربه سبحانه وتعالى.

٩٤- إذا ظهر بعض الأخطاء في العمل الدعوي، يكون دور المثبطين تكبير هذه الأخطاء، والتذمر من وقوعها، ويسعون إلى إقعاد العاملين عن الأعمال الجادة، أو التهوين من شأن الأعمال الكبيرة والتهوين من نتائجها وثمراتها.

٩٥- والتثبيط والتهوين لأعمال الدعوة يظهر في الاعتراض الدائم، وإظهار عدم التحمس لأعمال الدعوة والخير، وإيذاء الدعاة العاملين محاولة لإفشالهم، وتأخيرهم عن العمل وتأخير ثمرتهم.

٩٦- من أسباب التثبيط والتهوين: اليأس من الإصلاح والقنوط من إحداث التغيير المنشود والاتكاء على دعوى فساد الزمان وعدم جدوى محاولة تزكية النفوس وإصلاح القلوب ... وكذلك من الأسباب مرض التشاؤم والنظر للأشياء بمنظار الشر، والجهل بالسنن الكونية والشرعية لله ﷿، والجبن الذي يخفى وراء التثبيط والتهوين،

وقد يكون من أسبابه: الحسد، أو الغيرة، وقلَّة الحيلة وضعف التدبير، والانهزاميَّة الفكريَّة، وقلَّة الإنصاف.

٩٧- من وسائل علاج مشكلة التثبيط والتهوين: إحياء الثقة بالله سبحانه وتعالى في القلوب، والتأكيد على أن الدعوة إلى الله تعالى واجبٌ وفريضة إسلامية بغضِّ النظر عن النتائج والثمار، والتأكيد على أن الخير في أمة المصطفى ﷺ إلى يوم الدين، وأن اليأس والقنوط من إصلاح القلوب وتزكية النفوس منهي عنه، والعناية بدراسة السيرة النبوية وترجمة حياة السلف الصالح، ومحاولة أن يكون المثبطين جزءاً من هذا المشروع، ونشر ثقافة التشجيع بين هدم المشاريع ونقدها، والدعوة للتفاؤل والتشجيع.

◈ النتائج المتعلقة بالمشكلات والعوائق السُّنَنِية:

٩٨- لله سبحانه سنن وقوانين، فمنها سنن تتعلق بشكل كبير بالدعوة؛ إذا وعاها الدعاة استطاعوا أن يتعاملوا معها معاملة صحيحة، ويقوا أنفسهم ودعوتهم من التأثر بها، ومن هذه السنن: العداء للإسلام وأهله، والابتلاء، وإعراض الناس وانصرافهم عن الدعوة، وقلة الرفيق والمعين في طريق الدعوة.

٩٩- العداء للإسلام سُنَّة في كل دعوات الأنبياء، ولا يزال الصراع بين الحق والباطل قائماً منذ خلق الله الأرض ومَن عليها، إلى أن تقوم الساعة.

١٠٠- تتفاوت وسائل أهل الباطل في كل زمان ومكان وتتنوع، ولكن ربما تتشابه أصول أفكارهم أحياناً، ومن ذلك: تزيين الباطل، والتشويه، والتعذيب والقهر والإذلال، والمنع من إبلاغ الدعوة والتضييق على أهلها، والمجادلة بالباطل، والمساومة، والتهديد بالبطش، ومحاولة صرف الناس عن حقيقة الدين ومراد الله من الرسالة، والتحريش بين المسلمين.

١٠١- من وسائل علاج العداء وسُبل أمن مكر الأعداء: أن يعرف الدعاة أن الصراع سُنة كونية يميز اللهُ بها الخبيث من الطيب، وأن سُنة المدافعة سنة ربانية بين الحق والباطل، واليقظة ومعرفة الخير والشر، وإدامة الإعداد والاستعداد، والصبر والمصابرة.

١٠٢- مشكلة الابتلاء، تظهر في إرادة الله سبحانه أن يخضع الدعاة لصنوف من الاختبارات، فلا يصل الدعاة إلى تحقيق أهدافهم الدعوية إلا مروراً بالابتلاء.

١٠٣- فمفهوم حقيقة الابتلاء يدور حول: الاختبار، والامتحان والتجريب، فالابتلاء امتحان واختبار للناس عموماً، والدعاة خصوصاً لصقل معادنهم.

١٠٤- شمولية مفهوم الابتلاء للخير والشر، حيث يتقلَّب الإنسانُ عامة والداعية خاصة في رحلة حياته الدنيوية بين بلاءين واختبارين، وقد يبتلي الله تبارك وتعالى الإنسان بشيء ظاهره الشر لكنه في حقيقته خيرٌ كثيراً وقد يكون عكس ذلك.

١٠٥- يمكن تقسيم أنواع الابتلاء إلى ثلاثة: ابتلاء عامٌّ يشمل جميع البشر مؤمنهم وكافرهم، ابتلاء خاصٌّ بالمؤمن، وابتلاء خاصٌّ بالدعاة إلى الله.

١٠٦- لقد كثُر في القرآن ذكر قصص الأنبياء والمرسلين، وخاصة في الفترة المكية -فترة الاستضعاف- التي مرَّ بها المسلمون الأوائل، ليلفت الله نظرهم لمجموعة من السنن حتى لا يستوحشوا طريق الدعوة، فيملوا ويتخلوا عن الدين الذي جاءهم به محمد ﷺ.

١٠٧- من خلال دعوة الأنبياء في القرآن تبيَّن أن هناك صوراً شتى ابتلي بها الأنبياء ومن سار على نهجهم من الدعاة إلى الله ومن أهمها: الدعاية المغرضة ورمي



المصلحين بتهم لا أساس لها، واعتماد سياسة الترهيب، والابتلاء بالمال والأقربين والرفقاء والأتباع الذين لا يعرفون حقيقة الطريق، والابتلاء بما يتطلب الموقف الصريح والواضح.

١٠٨- من خلال الآيات والأحاديث النبوية يظهر للدعاة كيف ينظرون للابتلاء، ومن ذلك: التدريب على تحمل الصِّعاب، اصطفاء العناصر القوية الصالحة للدعوة، والتفريق بين الصادقين والمدَّعين وبين الخبيث والطيب، والتمايز بين المؤمنين والمعادين للدين وكشفهم، والترابط الأخوي بين الدعاة، ودخول الناس في الإسلام وثباتهم عليه، والخوف الدائم من الله الذي يولِّد المراقبة وإحسان العمل، وإخلاص العبودية لله وتجريد الدعوة له وحده، وإرادة الخير للدعاة وللدعوة، وبيان حقيقة دعوة المصلحين وفساد دعوة أهل الباطل، ورفع درجات المؤمنين وتكفير خطاياهم، إظهار آياته للناس، ويبين لعباده عاقبة الظلم والظالمين، ويستخلف عباده الصالحين مهما طالت مدة الابتلاء، والتجافي عن الدنيا والإقبال على الله والدار الآخرة، والابتلاء درسٌ في التوحيد والإيمان والتوكل، والابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله، وإظهار فضائل الناس ومعادنهم، والابتلاء يُذَكِّر بالذنوب للتوبة منها، والابتلاء يُذَكِّر بفضل نعمة الله والصحة والعافية وشكرها.

١٠٩- **قال ابن القيم:** «فإنه سبحانه كما يحمي الأنبياء ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم: ليستوجبوا كمال كرامته، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم، ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الآجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الأرض منهم».



١١٠- من واجب الدعاة تجاه الابتلاء: أن يتيقن أن المؤمن كل أمره خير فهو في نعمة وعافية في جميع أحواله، وتلقي البلاء على أنه نعمة ومنحة لا محنة، وتوطين النفس على الابتلاء وتعويدها على ذلك، والانتباه إلى أن الابتلاء بالخير أشد من الابتلاء بالشر، وسؤال الله العافية وحفظ النعمة وعدم تمني البلاء، واليقين بفرج الله برفع البلاء، والدعاء حال وقوع الابتلاء وسؤال الله رفعه، والاستعانة بالصلاة، والاستعانة بالصبر، والثبات على الحق حال الابتلاء.

١١١- إعراض الناس وانصرافهم عن الدعوة، من العوائق التي تؤثر في مسيرة الدعوة وعمل الدعاة، ومن الأهمية علم الداعية بموانع استجابة المدعوين ليكون الداعية كالطبيب الذي يسعى في طلب الشفاء للمريض، فيقف على علته المرضية.

١١٢- ليوقن الدعاة أن الاستجابة للدعوة توفيق من الله فإذا أخلص الداعية، وبذل غاية وسعه، وقدَّم ما يمكنه من جهد ووقت ومال لنشر دين الله، ولم يرَ استجابةً ثم راجع نفسه وحاسبها، وأعاد الدعوة كرات وكرات، فليعلم أن هناك مانعاً عن الاستجابة للحق، لا يملك هو أمامه إلا الدعاء - مع الاستمرار في بذل الأسباب - بالهداية لمن كتب الله عليه الضلالة، فعلى الداعية ألا يصيبه الإحباط أو اليأس من هدايتهم.

١١٣- من موانع الاستجابة من جهة المدعو: الجهل، والحسد، واتباع الهوى، والتقليد الأعمى، والعصبية القبلية، وتقليد الأشياخ والسادة، والكبر والطبقية، وتفلُّت المدعو من التقيُّد بالالتزام والمسؤولية، وربط المدعوِّ بين سوء حاله الديني وبين ترك ملازمة الداعية.

١١٤- من موانع استجابة المدعوين من جهة الداعية: سوء فَهْمِ الداعية لشخص المدعوِّ ونفسيَّته، وظهور فساد بعض أحوال الداعية للمدعوِّ، والقرب الشديد للمدعوِّ

من الداعية والإكثار عليه في النصح، وحظوظ نفس الداعية في تربية أو توجيه المدعوِّ.

١١٥- قلة الرفيق والمعين في طريق الدعوة، من المشكلات الدعوية المؤثرة في حياة الدعاة، فقد قضت سنة الله أنَّ ذوي العصيان أكثر عدداً ممن يطيع الرحمن.

١١٦- لا بد أن يكون الداعية على يقين بأن الله تعالى هو المولى والنصير والمعين، وكفى به وليّاً ونصيراً، فإذا عرف الداعية أن الله مولاه لم يخف أو يخش لأنه إذا تولَّى أحداً كفاه كل ما أهمَّه، وإذا نصر أحداً أعلاه على كل مَن خاصمه.

١١٧- أي متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، فكمال النُّصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله.

١١٨- العمل على تكوين رفقة صالحة تعين الدعاة، من الأصدقاء أو الأقارب أو الزوجة والأبناء.

١١٩- المقصود أن يقوم الداعية بدعوة الناس أفراداً، عن طريق الاختيار والاصطفاء، ودعوة كلِّ فردٍ بما يحتاج، وذلك بأن يحصل اتصال الداعية بالمدعو اتصالاً شخصيّاً مباشراً بهدف إحداث نقلة في مقدار تمسكه والتزامه بالإسلام بحيث تتحقق فيه صفات المسلم الحق ويتوفر لديه الاستعداد للقيام بواجب الدعوة إلى الله والعمل للدين في شتى الميادين.

١٢٠- الاختبار للأنصار من الأمور المهمة للدعاة؛ لأن حماسة الأعداد الكبيرة قد تخدع الدعاة لو أخذوا بمظهرها، فيجب أن يضعوها على محكِّ التجربة قبل أن يخوضوا بهم الصعاب.

◈ النتائج المتعلقة بمشكلة وعائق قلة الموارد المالية:

١٢١- تواجه الدعوة، في سيرها، كثيراً من المشكلات التي تُعيقها، أو تسبب وهناً وضعفاً في جانبٍ من جوانبها، ومنها مشكلة قلَّة الموارد المالية للدعوة والداعية، فالمال عماد إقامة الحياة، وبه تقوم الدعوة بعد توفيق الله تعالى، وهو شكلٌ من أشكال القوَّة التي تُعين الدعوة على حركتها وانتشارها.

١٢٢- **قلة الموارد تعني:** إمَّا أنَّ الموارد معدومة، أو لا تفي بالغرض.

١٢٣- وتحديد القلة للموارد المالية لدى الداعية وللدعوة يصعب؛ حيث إن حجم قلة الموارد يختلف من داعية إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن برامج إلى أخرى، فكلُّ دعوة لها ظروفها الخاصة بها؛ سواء من ناحية المكان أو الزمان أو الوسائل التي تحتاجها، فهي نسبية.

١٢٤- **من أهم أسباب قلة الموارد المالية لدى الداعية:** البُعد عن التخصص الشرعي الأكاديمي، وتاريخ الداعية الديني والثقافي والاجتماعي والفكري والتربوي قبل سلوكه طريق الدعوة الصحيحة، وضعف التزام بعض الدعاة بالسمت الدعوي، والتكاسل في طلب الرزق، والفردية في العمل الدعوي والبعد عن العمل الجماعي، وعجز الداعية وعدم قدرته على العمل، وعدم موازنة الداعية بين جوانب حياته المختلفة، واتباع الهوى وشهوات النفس وعدم القناعة، وقلة وعي المجتمع بواجب بذل المستطاع في دعم الدعوة والدعاة، والمثالية الزائدة التي ينظر إليها المجتمع للدعاة، والمشكلات الاقتصادية المعاصرة، والصراع بين الحق والباطل، ونظرة بعض الدعاة للمجتمع.

١٢٥-من أهم أسباب قلة الموارد المالية لدى الدعوة ومؤسساتها: الضغوط الدولية الغربية لتجفيف منابع الخير بحجة الإرهاب، وتخوف الكثير من الموسرين وإحجامهم عن الاستمرار في الدعم، والضعف المؤسسي، اعتماد المنظمات الدعوية غالباً على التبرعات والهبات وعدم السعي الحثيث لتكوين أوقاف تعتمد عليها، ربط نشاط المؤسسات المحلية وفق أجندة واهتمام الجهات المانحة، وإهمال الاحتياجات الحقيقية للمجتمع، التخوف والهاجس الأمني الذي تعيشه المنظمات الخيرية والعاملون فيها.

١٢٦- من آثار قلة الموارد المالية على الدعوة والدعاة: ضعف الإبداع في الوسائل الدعوية فضلاً عن التميز فيها، قلة الدعاة المتفرغين في المجتمع، والقصور في تلبية احتياجات الداعية المعيشية، وشيوع المنكرات والموبقات في المجتمع، والنيل من الإسلام وأهل الإسلام، والآثار السيئة العقدية والأخلاقية والسلوكية، وضعف الحراك العلمي والالتزام الفكري، وضعف تفاعل الدعاة مع قضايا المجتمع، وضعف الاستقرار الأسري للداعية، التأثير على وضع الداعية الاجتماعي بين الناس، والتأثر بشروط المانحين، وطلب المال من المدعوين، وانتشار الجهل بين المدعوين وقلة المسلمين الجدد.

١٢٧-للداعية دور كبير في علاج مشكلة قلة الموارد المالية لديه، ومن ذلك: الجمع بين الدعوة والعمل، والتضحية في سبيل الدعوة، ودور الداعية الإيماني والتربوي في علاج مشكلته، والتعاون والتكافل بين الدعاة، ودعم أقارب الداعية للداعية.

١٢٨-وللمؤسسات الدعوية دورٌ كبيرٌ في علاج المشكلة، ومن ذلك: حث المجتمع على دعم الدعوة والدعاة، وغرس ثقافة العمل الحرفي والمهني وأهميته للدعاة في نفوس المتعلمين، والتواصل مع الجهات المعنية بالدعوة لكفالة وإعانة



الدعاة، ورفع المستوى الفني والمهني للداعية والمؤسسات الدعوية.

١٢٩ - «الإسلام يدعو إلى تفريغ طائفة تدعو إلى الله تعالى متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به».

١٣٠ - ليس المقصود بدعم الدعاة هو الدعم المباشر بالمال فقط، ولكن الشارع الكريم شرع مجموعة من أبواب التكافل، يمكن أن تطبق في دعم الدعاة والدعوة، ومن ذلك: الزكاة والوقف، والصدقة العامة، والقرض الحسن، والعارية، والوصية في مال الميت بالدعوة والدعاة، وتوفير فرص عمل للدعاة، وإنظار أو إبراء المُعسر وسداد ديون الدعاة والمؤسسات الدعوية.

◈ التوصيات:

نبيِّن خلاصة توصيات هذا الكتاب من خلال عرض ما جاء في توصيات مؤتمر الدعوة والدعاة في المدينة المنورة فيما مجال مشاكل الدعوة والدعاة:

أولاً: تظهر بين الدعاة أفراداً وجماعات خلافات متنوعة منها ما هو في أمور العقيدة، ومنها ما هو في فروع الفقه، ومنها ما هو في أسلوب العمل، ولذلك فإن المؤتمر يوصي بما يلي:

١ - اعتماد القرآن والسنة في مجال الدعوة أساساً، وسيرة الرسول ﷺ منهاجاً، وتربية المسلمين تربية عملية على عقيدة التوحيد الخالص الخالي من البدع والخرافات.

٢- توكيد أن الخلافات الفرعية لا يجوز أن تكون مَثار خصومة وشقاق وأن توحيد الصف الإسلامي فريضة لازمة تجاه الخصوم الكثيرين الذين تألبوا عليه.

٣- وضع مناهج عمل مشتركة لتوحيد المفاهيم والأفكار لدى الدعاة على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من قِبَل لجان متخصصة تدعو إليها أمانة المؤتمر، تشترك فيها بعض الحركات والهيئات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة.

ثانياً: إن نقص المعلومات المختلفة في العالم لدى الداعية يقلل من أثر الدعوة، ويفقد الدعاة مادة حية لمعالجة أسلوب دعوتهم بما يكفل نجاحها سواء أكانت معلومات جغرافية أو سياسية أو اقتصادية عن بلدان العالم أو عن السكان عدداً ونوعاً أو عن أحوال المسلمين في بلدان العالم الإسلامي أو الأقليات، ويوصي المؤتمر بما يلي:

١- العمل على إقامة مراكز معلومات متكاملة تضم معلومات عن العالم وعن الحركات الإسلامية وأحوال المسلمين مستفيدة مما توصل إليه العلم الحديث في تجميعها وتصنيفها.

٢- توفير هذه المعلومات للمتخصصين لتحليلها وتوفير خلاصات عنها توضع تحت تصرف الدعاة أفراداً وجماعات وهيئات شعبية ورسمية.

٣- تقوم المراكز بإحصاء الكفايات في مجال الدعوة الإسلامية والعمل على الاستفادة منها إلى أقصى حدٍّ ممكن داخل بلادها وخارجها.

٤- وعلى المراكز تقديم تجارب الحركات الإسلامية في العصر الحديث للعاملين في ميدان الدعوة.

ثالثاً: إن غياب المجتمع الإسلامي الذي يكون نموذجاً حيًّا لأنظمة الإسلام يمثل عقبة صعبة أمام الدعوة، ولكي يقام هذا المجتمع يوصي المؤتمر بالتركيز على ما يلي:

١- التركيز على إنشاء المدارس والمؤسسات التعليمية لصياغة المجتمع الإسلامي من خلالها.

٢- الإهابة بالحركات الإسلامية بوضع برامج بعيدة المدى ذات أهداف مرحلية لإنشاء مجتمعات صغيرة نموذجية في ميدان عملها تشتمل على محاضن أولية للعاملين للإسلام.

٣- مناشدة الهيئات ومنظمات الشباب والطلاب تبنِّي برامج تدريب وصقل لتوفير طاقات وعناصر قيادية للدعوة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وبعدُ؛ فلعلنا نكون بهذا التفاؤل الموجز قد ألقينا ضوءاً كافياً على ما يعترض الدعوة الإسلامية من مشكلات، وما يعترض ((الدعاة)) من عقبات حرصنا على أن نضعها في أطرها العامة ليسهل التعرف عليها، والنفاذ إلى جذورها وأسبابها، بما يهيء السبل الصحيحة لعلاجها والخلاص منها.

وأخيراً: لا ندعي الكمال ولكنها محاولة بَشَرٍ أراد الخير لأمته ودعوته، فهذه محاولة أردنا بها أن نعالج أهم المشكلات في طريق الدعوة، والتي قد يندرج تحتها مشكلات أخرى كثيرة، وموسوعة دليل الداعية بجملتها هي محاولة لحل كثير من مشكلات الدعوة.

واللهَ نسأل أنْ ينفع بهذا العمل، وأنْ يجعله حجة لنا لا علينا، وأنْ يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأنْ يجبر تقصيرنا في هذه الدراسة، وأنْ يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأنْ يبارك في الطيب منها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، دار الراية، الرياض، ط١٤١٢هـ.

٢- الابتـلاء طريق الدعاة إلى الله ﷻ، د. محمد علي محمد إمام، كتاب إلكتروني منشور على موقع المكتب العربية.

٣- إحياء علوم الدين للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت.

٤- أخبار أبي حنيفة وأصحابه، أبو عبدالله حسين بن على الصيمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٦م.

٥- أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجُرِّيُّ البغدادي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

٦- آداب الشافعي ومناقبه، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧- الآداب الشرعية والمنح المرعية، الإمام أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، بيروت.

٨- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، ط١٩٨٦م.

٩- الاستبعاد الاجتماعي، كتاب عالم المعرفة، العدد ٣٤٤.

١٠- الاستذكار، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١١- أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٣- الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ط ١٣٨٨هـ.

١٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.

١٦- آفات على الطريق، د.السيد نوح، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط٧، ١٤١٣هـ.

١٧- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام المعروف بابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: ناصر عبدالكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ.

١٨- اقتضاء العلم العمل، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي،

١٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن محمد الخَلَّال، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٠- البابا والإسلام، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٢١- الباعث الحثيث، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٢- مقال: أسلوب التخطيط في الدعوة: التخطيط الدعوي ومتطلباته وآثاره، د. هند بنت مصطفى شريفي، منشور على موقع الألوكة.

٢٣- مقال: كيفية تشكيل الوعي الإسلامي، منشور على موقع مركز التأصيل للدراسات والأبحاث بتاريخ الجمعة ٢٤ جمادى الأول ١٤٣٧ هـ.

٢٤- مقال: متى نصر الله الابتلاء في حياة الدعاة، د. أحمد بلوافي، منشور بمجلة السنة، العدد٨.

٢٥- بدائع الفوائد، ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، عادل عبدالحميد العدوي، أشرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٦- برنامج هكذا هي الحياة، كيف نفهم الأشياء من حولنا، د. عبد الكريم بكار.

٢٧- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن حمد آل سعدي، المحقق: عبدالكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٨- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩- تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله المعروف بابن عساكر، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٠- تجديد الوعي د. عبدالكريم بكار، دار القلم للطباعة، ضمن سلسلة: الرحلة إلى الذات.

٣١- التخطيط أول خطوات النجاح، جيمس آر شيرمان، ترجمة: محمد طه علي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٣٢- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٣- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكناني، مع تعليقات المحقق: السيد محمد هاشم الندوي، دار المعالي ط٣، ١٤١٩هـ.

٣٤- الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم، ناصر عبدالله العمار، أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ٢٠٠٥م.



٣٥- التسهيل في علوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جزي، المحقق: د.عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

٣٦- التشريع الجنائي الإسلامي، د. عبد القادر عودة، الكاتب العربي، بيروت.

٣٧- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٨- التفسير القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.

٣٩- تفسير المنار، رشيد رضا، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.

٤٠- تفسير جزء الذاريات، محمد بن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، وتفسير السورة ضمن مجموعة سور في مجلد واحد.

٤١- التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط٧، ١٤٢٨هـ.

٤٢- تلبيس مردود في قضايا حية، صالح بن حميد، كتاب منشور على موقع طريق الإسلام.

٤٣- التنازع والتوازن في حياة المسلم، محمد بن حسن بن عقيل بن موسى، الطباعة والصحافة والنشر - جدة.

٤٤- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، أحمد بن إبراهيم ابن النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٤٥- التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٦- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله آل الشيخ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د.عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٨- جامع البيان، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠هـ.

٤٩- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٥٠- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالبر النمري، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٥٢- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الكتاب، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣ه، تحقيق: د.محمود الطحان.

٥٣- الحاجات العلمية والتربوية لطلاب المنح في الجامعات السعودية، د.محمد بن عبدالله الدويش، قدمها في ملتقى طلاب المنح في الجامعات السعودية، من تنظيم الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٥٤- الحسبة لشيخ الإسلام، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني، حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، ط٢، ١٧/ جمادى الأولى/ ١٤٢٥هـ.

٥٥- حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، محمود زقزوق، دار الشرق الدولية، القاهرة.

٥٦- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د.سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٥٨- خواطر في الدعوة، د. محمد العبدة، المنتدى الإسلامي.

٥٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د.عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦٠- دعوة الرسل إلى الله د. محمد العدوي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧مـ.

٦١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.



٦٢- دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها، عبدالرحمن بن يوسف الملاحي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، ط:١، ١٤١٤هـ.

٦٣- ديوان المتنبي، أحمد بن حسين الجعفي المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.

٦٤- رحماء بينهم، أ.د. راغب السرجاني، شركة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٦٥- رسالة دكتوراة: السياسة الشرعية في حالة غياب حكم إسلامي: لأحمد محيي الدين، الجامعية الإسلامية بالمدينة المنورة.

٦٦- رسالة دكتوراة: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، علي بن نفيع العلياني، كلية الشريعة، فرع العقيدة، جامعة أم القرى، دار طيبة - الرياض، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٦٧- رسالة ماجستير: أثر قلة الموارد المالية على الداعية وسبل علاجها، د. عبدالرحمن جويل- من قسم الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٦٨- رسالة ماجستير: العوامل الاجتماعية المؤدية للعنف - لفهد علي الطيار، كلية نايف الأمير نايف للدراسات الأمنية، الرياض ٢٠٠٥م.

٦٩- رعاية طلاب العلم دراسة تأصيلية، أ.د. محمد بن عبدالعزيز العواجي، مكتبة طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٩هـ.

٧٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٧١- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش.

٧٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١٤، ١٤٠٧هـ.

٧٤- الزهد، أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤١٢هـ.

٧٥- الزهد، عبدالله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٧٦- الزهد، هناد بن السري الكوفي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ، ط١.

٧٧- سراج الملوك، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، من أوائل المطبوعات العربية، مصر، ١٢٨٩هـ.

٧٨- السلسلة الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٧٩- سنة الله في الفتنة والابتلاء وأثرها العقدي د. الزايدي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

٨٠- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٨١- سنن أبي دواد، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٨٢- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ

٨٣- السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٨٤- سنن النسائي، عبدالرحمن بن أحمد النسائي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

٨٥- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٩هـ.

٨٦- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث، على محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٧- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، دار القبلتين للثقافة الإسلامية، جدة.



٨٨- السيرة النبوية، ابن كثير: الإمام أبي الفداء إسماعيل، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٨٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ.

٩٠- شرح حديث «ما ذئبان جائعان» لابن رجب.

٩١- شعب الإيمان، أحمد بن الحسيني البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ،تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٩٢- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨.

٩٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٩٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتناء: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.

٩٥- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.

٩٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٩٧- صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ، اعتناء: فريق بيت الأفكار الدولية.

٩٨- صحيح وضعيف جامع الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٩٩- صفوة الآثار والمفاهيم، عبدالرحمن الدوسري، دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥ هـ.

١٠٠- صناعة الوعي د. عدي عدنان البلداوي، مؤسسة البلداوي للطباعة، ط١، ٢٠١٣م.

١٠١- الضغط المدرسي، سميرة عبدي، ماجستير. جامعة مولود معمري. كلية الآداب والعلوم الانسانية. ٢٠١١. الجزائر.

١٠٢- الطبقات الكبرى، ابن سعد محمد بن سعد الزهري، دار صادر، ودار بيروت، ١٣٧٦هـ.

١٠٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٠٤- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، ط٢، ١٤١٠ هـ.

١٠٥- عقبات في طريق الدعاة، عبدالله علوان، دار السلام، ط١، ١٩٨٧م.

١٠٦- العمل بالعلم بين الواقع والواجب للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان.

١٠٧- العنف في العمل الإسلامي المعاصر- قراءة شرعية ورؤية واقعية، كتاب ضمن سلسلة قضية وحوار من إصدارات مركز البحوث والدراسات الإسلامية.

١٠٨- الغيبة وأثرها السيئة على المجتمع، د. حسين العوايشة، دار ابن حزم، الدمام.

١٠٩- فبهداهم اقتده، عبد العزيز بن ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

١١٠- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ.

١١١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن حجر العسقلاني، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ.

١١٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن على الشوكاني، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٥هـ.

١١٣- الفتور، أ.د. ناصر العمر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣١هـ.

١١٤- الفرج بعد الشدة للتنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١١٥- الفرق بين النصيحة والتعيير، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبدالحميد، دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٠٩هـ.



١١٦- الفروع، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٤ هـ.

١١٧- فصول في التفكير الموضوعي، د. عبدالكريم بكار، دار القلم، دمشق.

١١٨- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: أبو عبدالرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

١١٩- الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ.

١٢٠- الفوضوية في حياتنا، د. عادل العبدالعال، نسخة إلكترونية منشورة على الشبكة.

١٢١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٢٢- القاموس الفقهي،سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٢٣- قصص الأنبياء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد.

١٢٤- قواعد الدعوة إلى الله، د. همام سعيد، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١.

١٢٥- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكي، ابن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد، مطبعة الأمينية، الرباط، ط١، ١٩٥٨م.

١٢٦- الكامل في الضعفاء، أبي أحمد بن عدي الجرجاني ابن عدي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٧- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى: ٥٩٧هـ، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

١٢٨- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٢٩- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.

١٣٠- لطائف الإشارات، عبدالكريم القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٣١- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، عبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين السواس، دار ابن كثير، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.

١٣٢- مجلة البيان، عدد ٩٠، ص ١١١.

١٣٣- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٢هـ.

١٣٤- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط١٤١٦هـ.

١٣٥- المجموع شرح المهذب للنووي، النووي، دار الفكر، ١٩٩٧م.

١٣٦- محاضرة صوتية مفرغة: الاستيعاب والاقتباس في الدعوة، د. عمر بادحدح، ومنشورة على موقع إسلام ويب.

١٣٧- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، عبدالحق بن عطية الأندلسي، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، ط١، ١٣٩٨هـ.

١٣٨- مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، ١٣٩٨ هـ.

١٣٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

١٤٠- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

١٤١- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٤٢- مسند الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري، عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٤٣- مشاكل الدعوة والدعاة، محمد أمان بن علي جامي، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

١٤٤- مشكاة المصابيح، حمد بن عبدالله الخطيب العمري، أبو عبدالله ولي الدين التبريزي، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

١٤٥- مشكلات الدعوة والداعية د. فتحي يكن، مؤسسة الرسالة، بيروت.



١٤٦- مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها؟ للدكتور محمد حسين الذهبي، بحث ضمن أبحاث مؤتمر توجيه الدعوة والدعاة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٤٧- مشكلات وحلول في حقل الدعوة، عبدالحميد البلالي، مكتبة المنار الإسلامية، ط١.

١٤٨- مصنف ابن أبي شيبة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

١٤٩- مصنف عبدالرزاق، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٥٠- معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المحقق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٥١- معالم السنن لشرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ.

١٥٢- معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، دار السير للنشر والتوزيع، القاهرة.

١٥٣- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٥٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٥٥- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت.

١٥٦- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٥٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥٨- مفردات ألفاظ غريب القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الرشد، الرياض.

١٥٩- مقال: ابتلاءات بعض الأنبياء والرسل.. في القرآن الكريم، د. جلال المنوفي منشور على موقع طريق الإسلام.

١٦٠- مقال: إشكالية الخلاف بين الدعاة.. رؤية للحل.. ودعوة للاستجابة، د. خالد رُوشه، منشور على موقع المسلم.

١٦١- مقال: الاستعجال وأثره على العمل الإسلامي، عامر البو سلامة، منشور على موقع حركة البناء الوطني في الجزائر.

١٦٢- مقال: الإقصاء والتّهميش في العمل الإسلاميّ أ. محمد خير موسى، منشور على موقع الجزيرة.

١٦٣- مقال: التخطيط في حياة الداعية يحيى عبيد ثماني الخالدي، منشور على موقع مهارات الدعوة.

١٦٤- مقال: الترف وخطره على الدعوة والدعاة، د.فيصل البعداني، منشور في مجلة البيان.

١٦٥- مقال: الدعوة الفردية -موقع مفكرة الإسلام.

١٦٦- مقال: الرغبة في الصدارة رؤية دعوية حول حقيقتها ومظاهرها وآثارها د. عبد الحكيم بن محمد بلال، منشور على موقع صيد الفوائد.

١٦٧- مقال: الشورى هل نلتزم بها، د/ محمد العبدة، مجلة البيان العدد ٣٨.

١٦٨- مقال: العُجْبُ وخطرهُ على الداعية، عبدالحكيم بلال، منشور على موقع صيد الفوائد.

١٦٩- مقال: الفوضوية في الدعوة، منشور على موقع تيار الإصلاح.

١٧٠- مقال: الفوضوية في حياة الدعاة، موقع: صيد الفوائد.

١٧١- مقال: أهمية علم الداعية بأسباب صدود المدعوين. د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة.

١٧٢- مقال: أهمية معرفة معوقات وعقبات الدعوة، د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة.

١٧٣- مقال: بين الحق والرجل، د.محمد محمد بدري، موقع طريق النجاة.

١٧٤- مقال: سياسة التهميش في العمل الإسلامي، د. محمد المصري، منشور على موقع المركز العربي للدراسات والأبحاث.

١٧٥- مقال: فوائد الوعي د./ حمزة الفتحي على موقع صيد الفوائد.

١٧٦- مقال: كيف أنظم حياتي اليومية منشور على موقع موضوع.

١٧٧- مقال: كيف تنظم حياتك؟... كيف تدير شؤون نفسك؟ منشور على موقع: تسعة.

١٧٨- مقال: لماذا يبتعد المدعو عن الداعية في الدعوة د. حسن عبدالحي، موقع الألوكة.

١٧٩- مقال: مرافعة لأجل الحقيقة د. حامد البشير إبراهيم، مجموعة مقالات منشورة على موقع:

https://sudaneseonline.com.

١٨٠- مقال: معوقات الدعوة المعاصرة، د. ناصر بن سعيد السيف، منشور على موقع الألوكة.

١٨١- مقال: موافقة قول الخطيب عمله - د. مصطفى عطية جمعة مجلة البيان عدد «٢٧٨».

١٨٢- مقدمات حضارة الإسلام، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠.

١٨٣- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.

١٨٤- شرح صحيح مسلم للنووي، يحيى بن شرف النووي، إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٨٥- المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، نسخة المكتبة الشاملة.

١٨٦- موسوعة فقه الابتلاء، جمع وإعداد د. علي بن نايف الشحود، منشورة على المكتبة الشاملة.

١٨٧- ميثاق الشرف الدعوي، د. هشام الطالب، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط٢، ٢٠١٩م.

١٨٨- ندوة علمية بعنوان: أسباب الغلو والتطرف ومعالجتهما في ضوء الكتاب والسنة لفضيلة الشيخ: د. إبراهيم بن ناصر الحمود، وفضيلة الشيخ: د. يوسف بن محمد السعيد، منشورة على مجلة الفرقان الكويتية، على الشبكة العنكبوتية.

١٨٩- نصب الراية، عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

١٩٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٩١- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير،، المكتبة العلمية، بيروت.

١٩٢- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية ط١، ١٤١٦هـ.

١٩٣- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.



فهرس الموضوعات

الفصل الرابع: مشكلات وعوائق سننية



الفصل الخامس: مشكلة وعائق قلة الموارد المالية



